الشرق الأوسط الديمقراطي

فصلية فكرية تحليلية تعنى بشؤون الشرق الأوسط

العدد 55 - كانون الأول / ديسمبر 2021م

المحور الأول:

الأزمات الفكرية للمجتمعات الشرقية قضايا عالقة

- دروس المذابح والإبادة.. ما يجمع بين الأرمن والكرد
- قضية الصراع السني الشيعي، الأسباب والنتائج، والحلول
- أزمة الأنظمة القومية
- قضية الأكراد واستعصاء الحل

المحور الثاني:

اتجاهات الصراعات الدولية ومآلاتها

- الإسلام السياسي والإرهاب السياسي
- تركيا موقعها ودورها في الصراعات الدولية
- إيران ما بين الدبلوماسية التقاربية والعداوة الظاهرية
- النظام العالمي الجديد

المحور الثالث:

فكر وثقافة

- العلاقات الكردية العربية في الإسلام (الجزء الثاني)
- الدبلوماسية الروحية والإبراهيمية ترسم خارطة الشرق الأوسط
- موجز لمكونات شمال شرق سوريا عبر التاريخ

الشرق الأوسط الديمقراطي

مجلة فصلية فكرية تحليلية تعنى بشؤون الشرق الأوسط

العدد ٥٥ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٢١م

إدارة المجلة

مجلس الإدارة

الاشراف العام

زياد محمد

رئيس التحرير

صلاح الدين مسلم

هيئة التحرير

روشن مسلم

عواس علي

أحمد دالي

مصطفى شيخ مسلم

الهيئة الاستشارية

السيد عبدالفتاح

ياسر شوحان

جاسم الهويدي

حسن ظاظا

هجار شكر

الإخراج الفني

كليستان كوسا

الآراء المنشورة تعبر عن رأي أصحابها وليس بالضرورة أن تعبر عن رأي المجلة

وسائل التواصل

يمكنكم متابعتنا والإدلاء بآرائكم ومقترحاتكم وإرسال مساهماتكم عبر وسائل التواصل التالية:

http://www.alawset.info

serqalawset@gmail.com

@AlawsetMagazine

@KovaraAlewset

@/alawsetmagazine

رقم الاعتماد
لدى نقابة الصحفيين العراقيين
١٤٨
رقم الإيداع
دار الكتب والوثائق ببغداد
٨٦٨ لسنة ٢٠٠٥

لدى وزارة الثقافة المصرية
دار الكتب والوثائق في القاهرة
رقم ٢٤٢١٧

مكتب القاهرة:
18 شارع ضريح سعد - القاهرة
ت: 27907104 / 01554349602

محتويات العدد

العدد :55 - كانون الاول - 2021

كلـــمة العـــدد — رئيس التحرير — ٣

◆ الأزمات الفكرية للمجتمعات الشرقية-قضايا عالقة

دروس المذابح والإبادة.. ما يجمع بين الأرمن والكرد ..... روشن مسلم ٤ - ١١

قضية الصراع السني الشيعي، الأسباب والنتائج، والحلول ..... شرفان مسلم ١٢ - ٢٠

أزمة الأنظمة القومية ..... أحمـد شيخـو ٢١ - ٢٧

قضية الأكراد واستعصاء الحل ..... عواس علي ٢٨ - ٣٧

◆ اتجاهات الصراعات الدولية ومآلاتها

الإسلام السياسي والإرهاب السياسي ..... د. أنمار نزار الدروبي ٣٨ - ٥٢

كيف تحدد الجغرافيا سلوك الدول وما تأثير الجيوبوليتيك على السياسة أحمد دالي ٥٣ - ٥٩

تركيا موقعها ودورها في الصراعات الدولية ..... دلشـاد مـراد ٦٠ - ٦٣

إيران ما بين الدبلوماسية التقاربية والعداوة الظاهرية ..... أحمـد العنـاني ٦٤ - ٦٦

النظام العالمي الجديد ..... جيهان مصطفى ٦٧ - ٧٧

أبواب تركيا مغلقة أمام المهاجرين ..... مصطفى عبدي ٧٨ - ٨٠

القضيّة الكُرديّة في الصراعات الدّوليّة بين الحربين العالميّتين ..... جمـيل رشـيد ٨١ - ٨٨

طَبيعةُ الصّراعات الدّوليّة واتّجاهاتها ..... فـوزي سليمـان ٨٩ - ٩١

◆ فـكر وثقافة

العلاقات الكردية العربية في الإسلام (الجزء الثاني) ..... عبدالله شكاكي ٩٢ - ١٠٠

الدبلوماسية الروحية والإبراهيمية ترسم خارطة الشرق الأوسط ..... شيمـاء ريـاض أبو زيـد ١٠١ - ١٠٩

موجز لمكونات شمال شرق سوريا عبر التاريخ ..... مصطفى شيخ مسلم ١١٠ - ١٢٦

نهب الممتلكات الثقافية بين الواقع والقرارات الدولية ..... يـاسـر شـوحان ١٢٧ - ١٣١

◆ مواضيع أخرى

الكتب التي قرأها المفكر عبدالله أوجالان في المعتقل ..... هيئة التحرير ١٣٢ - ١٥٦

كلمة العدد ٥٥

هيئة التحرير

كلّما بدأ الحديث عن الشرق الأوسط استذكرنا الأزمات والقضايا العالقة، والحروب، وتعقّد القضايا، وأزمات الأنظمة القومية والدّين، وتجاذبات النُّخب الفكرية، والقوى السياسية المتصارعة المتداخلة، وقضية الكرد في تركيا، والعراق، وإيران، وسوريا، والحلول والآفاق، وقضايا الصراع الشيعي السني، وأسبابها ونتائجها، والحلول، وأيضاً قضية الأرمن على قائمة البحث في تاريخ الشرق الأوسط، وكلّها قضايا تحتاج إلى البحث والتمحيص، للبحث عن شرق أوسط ديمقراطيّ يواجه الشرق الأوسط المرسوم بالورقة والقلم الغربيّ، من خلال معاهدات واتفاقيّات لم تعرفها الشعوب إلّا بعد أن طبّقت عليها، وحتّى الآن نسمع عن اللقاءات السرّيّة بين رؤساء الدول لتقرير مصائر الشعوب.

كلّ هذا حصل في عهد حرب المعسكرين الاشتراكي بقيادة الاتّحاد السوفيتي، والمعسكر الرأسماليّ بقيادة الولايات المتّحدة الأميركية، وأيضاً في التحول من نظام القطبية الواحدة إلى نظام متعدد القطبية وانعكاساته على منطقة الشرق الأوسط في ظل الصراعات الدائرة فيها وعليها، فهل يمكن حصر الصراع الدولي في الصراع الدائر بين الولايات المتحدة والصين وروسيا؟ وما دور القوى الجديدة الناشئة، وكذلك التكتلات الاقتصادية والسياسية على منحى الصراعات العالمية؟ وما دور قوى الإسلام السياسي في الصراعات الدولية؟ أهي عناصر تأجيج له، أم مجرد أدوات بيد القوى العظمى؟ وما موقع القضية الكردية في الصراعات الدولية؟ وما موقع تركيا ودورها في الصراعات الدولية؟ وما هو موقع إيران ودورها في الصراعات الدولية؟ وكيف تحدّد الجغرافيا سلوك الدول؟ وما تأثير الجيوبولتيك على السياسة؟

هل الدبلوماسية الروحية والإبراهيمية ترسم خارطة الشرق الأوسط؟ وماذا عن نهب الممتلكات الثقافية، فهل مكونات شمال وشرق سوريا عبر التاريخ توضّح حقيقة الحلول الديمقراطية في الشرق الأوسط؟ وبالمقابل نرى الاحتلال التركي وهو يمارس أبشع أنواع الإبادات في القرن الواحد والعشرين، حتّى باتت القضيّة الكُرديّة موضوع التعقيد والحل لقضايا الشرق الأوسط.

من خلال هذا العدد نحاول تناول هذه المواضيع آنفة الذكر، لنستطيع الولوج إلى لُبّ المشكلة، ونصل إلى الحلول والمقترحات، من خلال كُتّاب المجلة الذين نشكرهم لإنتاج هذا العدد، وحاولنا عرض بعض الكتب التي قرأها المفكّر عبد الله أوجالان في معتقله في إمرالي لعلّنا نستفيد من هذه العناوين لفهم الشرق الأوسط، والعالم، والصراع الرأسماليّ للقضاء على الكون، وعلى حركة التاريخ، فالحداثة الرأسماليّة هي المحرّك الرئيس لكلّ هذه المشكلات التي تفاقمت في العالم وفي الشرق الأوسط.

لا بدّ أن نستذكر أنّ المجتمعات لا تسكت عن حقوقها، ودائما كان التفوّق المجتمعي حاضراً في الشرق على أقلّ تقدير، ولذلك تسعى الحداثة الرأسماليّة إلى وضع خطط بديلة عن فقدان الجانب الأخلاقي في مؤسّساتها الهادمة للأخلاق، وبما أنّ الأخلاق هي محرّك الإنسان والشعوب، فهي الجانب الروحي المنتصر في النهاية على الجانب المادّي، وإلّا ستسيطر الآلات في المستقبل على الكون، ويتدمّر.

دروس المذابح والإبادة.. ما يجمع بين الأرمن والكرد

روشن مسلم

تمهيد:

تُكّون العلاقات الأثنية بين الشعوب منطقة الشرق الأوسط بقوميّاتها متعدّدة الأعراق، ومختلفة الأديان، ومتنوعة العقائد، والمذاهب، سجلاً مهماً في التاريخ الحديث والمعاصر لعمقها التاريخي، ولما أحاطها من تعقيدات، وأزمات، وصراعات محتدمة، وصلت حدّ محاولة إلغاء إحداها الأخرى، وإنهاء وجودها، بل أخذت وتيرتها تتزايد وتتصاعد ضمن معادلة سياسية استمرّت طوال القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، وارتبطت هذه المعادلة بضعف الدولة العثمانية، وتقلّص نفوذها، وانحدار سلطاتها مع ازدياد نفوذ الدول العظمى، ومنها بريطانيا، فرنسا، وروسيا، واتساع مصالحها في الشرق الأوسط، وآسيا الوسطى.

وبحسب ما استقر عليه التاريخ من البحوث العلمية الحديثة، والاكتشافات الأثرية بات من الضروري التعرف على شعوب المنطقة، ليس فقط بدافع الاهتمام، أو البحث عن الحقائق التاريخية، بل بحكم الجغرافية، والتعامل الاجتماعي بين مكوّنات المجتمعات التي تعيش متجاورةً في منطقة واحدة.

إن دراسة الحالة الأرمنية، وفتح صفحة معاناة هذا الشعب، وخصوصاً جريمة الإبادة الجماعية التي حدثت ضد الشعب الأرمني مرتبطة ارتباطاً كبيراً بمبدأ حق الشعوب في الحياة، ويعطينا دراسة هذه الحالة شرط نحن كشعب كردي رؤية، وهدف استراتيجي هو أن نعي دورس الحالة الأرمنية، وننطلق منها للحافظ على الهوية الكردية، ولا نسمح باستمرار هكذا مذابح لا على الأرمن، ولا على أي شعب، وأن نناضل من أجل ألّا تتكرر هذه المآسي من تهجير، وإلغاء الهوية، وضمان حق أي شعب، وفي مقدمتهم شعبنا الكردي، فلقد علمتنا دروس التاريخ أنّ العدو، والسارق واحد، وان اختلف شعارهُ في كل فترة.

أهمية البحث:

إنّ هذا البحث يضع يده على ضرورة الحاجة الملحة إلى احترام حقوق الشعوب في التمسك بتاريخه، وهويّته، ورؤيته السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والمطالبة بدعم دولي لوضع حدّ نهائي لإنكار هذه الممارسات، مع إدانة كافات الممارسات الفاشية التي استهدفت، وتستهدف حق الشعوب في الحياة، ويشير البحث أيضاً، أنّ هذه الممارسات، وعدم يقظة المجتمع الدولي لن يساعد في استقرار منطقة الشرق، بل ستكون سبباً في اندلاع حروب قد تصل نيرانها إلى العالم.

أهداف البحث:

نهدف من خلال البحث التعرف على حقوق الشعوب المضطهدة انطلاقاً من حق جميع الشعوب في أن تكون مختلفة، وأنّ هذا الاختلاف يساهم في تنوع، وثراء الحضارات، والثقافات التي تشكل تراث الإنسانية المشترك، والسعي لكشف حقيقة موقف النظام التركي الحالي كما يقول عن نفسه - بأنّه وريث الامبراطورية العثمانية - هذا الموقف الذي ينكر حدوث إبادة جماعية للقومية الأرمنية، والقوميات الأخرى رغم هذا الجرم الكبير الذي حدث بين عامي ١٩١٥ و١٩١٧م، على يد الحكم العثماني، والذي أدى إلى مقتل نحو مليون ونصف أرمني، وتشريد، وتهجير عشرات الآلاف خارج مناطقهم.

منهج البحث:

ولعل هذا البحث يتبلور في صفحة من تاريخ الأرمن، وتوزعهم في العالم التي تعددت عبر التاريخ بين الوثائق، والدراسات، والبحوث المختلفة منذ استيلاء الدولة العثمانية على المناطق الأرمنية التي سميت بأرمنية العثمانية عبوراً بانبثاق الطموحات السياسية الأرمينية، ووصولاً إلى تحول المسألة الأرمنية إلى قضية دولية عقب مؤتمر برلين ١٨٧٨م، وما نتج عنها من ردود أدت إلى مجازر ضد الأرمن، وميلاد أول جمهورية أرمنية في التاريخ الحديث عام ١٩١٨م، وننهيها برسالة من التاريخ، ألا وهي ما يجمع بين الشعبين الأرمني والكردي ، وكيف يستلهم الكرد بتاريخهم العريق نضال الأرمن من أجل البقاء، والحفاظ على الأرض والهوية.

المبحث الأول:

أولاً- صفحة من التاريخ:

وفقاً لوقائع التاريخ أنّ الشعب الأرمني، كقومية تعرض بشكل مستمر للقهر القومي، رغم أنّه من الشعوب التي ساهمت في التطور الثقافي، والاجتماعي في محيطه الجغرافية، والعالمي، ولقد حاول البعض إهمال العديد من المظاهر الأساسية لتاريخ الأرمن، وحضارتهم، وتعايشهم مع الشعوب القديمة، والحديثة على مدى القرون. وكان ذلك واضحاً في الفترات التاريخية في حياة أرمينا، وشعبها، والنماذج كثيرة: كأرمينيا وحكم الفرس (الأسرة الأخمينية عام ٥٥٠ -٣٣١ قبل الميلاد، الأسرة اليروانتية عام ١٨٩-٣٣١ قبل الميلاد

تحت نفوذ السلوقي، أرمينا والأسرة الأرداشيسية ١٨٩ قبل الميلاد - حتى العام الأول من التقويم الذي شاهد قيام الإمبراطورية الأرمنية وديكران الثاني، أرمينا وحكم الملوك الأجانب ١-٦٦م، أرمينا والأسرة الأرشاغونية عام ٦٦- ٤٢٩م، أرمينيا بعد سقوط الأسرة الأرشاغونية وحتى الغزو العربي عام ٤٢٩- ٦٤٠م، والأسرة الباقرادونية ٨٨٥- ١٠٧١م، الأسرة الروبينية (كيليكيا ١٠٨٠- ١٣٧٥م).

وهنا لا بد من طرح سؤال يكون نقطة انطلاق، لفهم الإطار التاريخي لتطور الحضارة الأرمنية منذ مطلعها للوصول إلى النتائج لتبيان التواصلات أوالانفصامات، وتزداد أهمية هذا السؤال في تقديرنا، بمقدار ما يظهر لنا أنّ التوحيد السياسي لأرمينيا يمكن أن يتحقق الآن، بعد أن ظل هذا الحلم بعيد المنال، إلا أنّ الوحدة الوطنية الأرمنية لا زالت في طور التكوين بسبب استمرار حملات العداء، وانشغالهم بالدفاع عن حق الوجود الإنساني. لقد غابت الحقائق الأرمنية عن أغلب الباحثين في معظم أنحاء العالم بسبب مشاغلهم اليومية، لكنّ الجهود التي بذلت من البعض الآخر أدّت إلى ولادة وجدان عالمي مُتعاطف مع القضية الأرمنية. أما هويتهم الاجتماعية فقد تشكلت على مدى عصور ما قبل التاريخ مما ينفى عنها الطابع الوراثي، فالهوية الأرمنية تنتمي إلى شعوب الهندو أوروبية الآسيوية، وبحسب رواية المؤرخ موسيس الخورينى، فإنّ الأرمن من أبناء يافث بن نوح، حيث تناسل من يافث جومر (توغرومة)، ومنه يتراس، ثم هاييك، والذي يعتبر أبو الأرمن، ويذكر أنّ هاييك تمرد على ملك بابل (بيل)، الذي خرج بعشيرته الأرمنية من بابل (العراق)، متجهاً إلى إقليم آرارات شمالاً، وانتصر هابيك في معركة مع ملك البابليين، وبنى قرية عاش فيها أبناؤه، وعشيرته، وسمّي باسم هايوتس دزور HAYOTS DZOR أي (وادي الأرمن). كما وسميت هذه الأمة بـ هايي HAi، نسبة إلى مؤسسها هايك نفسه، وأخير سمّى الأرمن بلادهم (أي أرمينا) هويسان، أي بلاد هابيك. جرى هذا كله عام ٢١٠٧ قبل الميلاد، كما

> **إن دراسة الحالة الأرمنية، وفتح صفحة معاناة هذا الشعب، وخصوصاً جريمة الإبادة الجماعية التي حدثت ضد الشعب الأرمني مرتبطة ارتباطاً كبيراً بمبدأ حق الشعوب في الحياة، ويعطينا دراسة هذه الحالة شرط نحن كشعب كردي رؤية، وهدف استراتيجي هو أن نعي دورس الحالة الأرمنية، وننطلق منها للحافظ على الهوية الكردية، ولا نسمح باستمرار هكذا مذابح لا على الأرمن، ولا على أي شعب.**

تحدد الأسطورة. ١

وهناك حقيقة أخرى، وهي أنّ الأرمن انقسموا إلى مجموعتين أثناء هجرتهم: المجموعة الآسيوية، استقرت على حدود الهند، وإيران، وأرمينيا، ومناطق من تركيا، ثم انتشرت شمالاً، حتى وصلت إلى القفقاس، وجورجيا، وشكلت رغم عرقها الواحد المشترك، شعوباً مختلفة، كالهنود، والفرس، والميديين، والبارثيين، والساسانيين، ومجموعة الهندو- أوروبية: وهي استقرت نهائياً في قارة أوروبا، وتوزعت فيها، لتشكل شعوباً مختلفة، كالجرمان، والأنكلوساكسون (الإنكليز، السويديين)، والسلاف.

من هنا لا يبدأ تاريخ الأرمن من لحظة معينة، ولذا لم يكن بدّاً من الاختيار، الأمر الذي لا يمكن أن يتحقق دون بعض الكيفية، ومهما يكن من أمر فإن أسباباً عديدة تحمّلنا على تحديد نقطة الانطلاق هذه بالأصول العرقية للأرمن، وهي أسباب تساعدنا بالإضافة إلى ذلك على أن نفهم من هم الأرمن، وكيف تأسست جمهورية أرمينيا.

وأكثر ما يفسر تاريخ الشعب الأرمني هو الموقع الجغرافي، والاستراتيجي بين أوروبا، وآسيا الذي استقرت ضمن حدوده أراضي الدولة الأرمنية، حيث كان للموقع الجغرافي، وما يترتب عليه من اهتمامات استراتيجية دور في تقرير مصير الشعوب التي تستوطنها.

لقد غدت أرمينا مسرحاً للعمليات الحربية بين الدولتين المتصارعتين التركية العثمانية السنية (١٣٠٠- ١٩٢٤)، والفارسية الصفوية الشيعية (١٥٠٢ - ١٧٣٦)، ممّا أسفر عن تقسيم أراضيها فيما بينهما، وخضعت أرمينية كلها للدولة الصفوية بين عامي ١٥٠٢ - ١٥١٤م، لكن تمكن السلطان العثماني سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠م)، من الاستيلاء على غربي أرمينية بعد هزيمة الصفويين في معركة جالديران عام ١٥١٤م .

وفي عام ١٥١٦م استولى نفس السلطان على أرمينية الصغرى (قيليقية) الواقعة تحت حكم سلاطين المماليك بمصر منذ عام ١٣٧٥ .

ومنذ عام ١٨٢٨م استولت روسيا القيصرية (١٩١٧-١٥٣٣)، على أرمينية الشرقية، وصارت تسمى أرمنية الروسية. ٢

إن التشتت الداخلي خلال القرون التي خضعت أرمينيا لنفوذ هذه الدول، قد سدّد ضربة قوية لحضارة أرمنية، ولم يكن ضياع الوطن الأرمني الكارثة الوحيدة التي ألمت بهذا الشعب، بل جاءته آلام جديدة أمرّ، وأقسى بدأتها روسيا القيصرية ببعض الانتهاكات للأرمن ثم توسعت تركيا العثمانية إلى حدود غير معقولة بتنفيذها مخطّطات الإبادة الجماعية، واضطروا إلى هجرة ملكيات آبائهم، ودمّروا اقتصادهم في نفس الوقت، ممّا أدّى إلى زوال هذه الدولة بمفهومها القومي من الخريطة السياسية، إلّا أنّ الروح القومية بقيت موجودة في الوجدان الأرمني.

ثانياً_ الطموحات السياسية الأرمنية:

كان وضع الأرمن خلال حرب ١٨٧٨م، بين روسيا والدولة العثمانية صعباً للغاية، وكانت تركيا بلداً متأخّراً حضارياً، فلم تكن تملك طرقاً معبدةً، ولا وسائل النقل البخارية، والتي كانت منتشرة على شكل شبكة تربط القارة الأوروبية.

واستخدم الأتراك بالعنف نحو ما يقارب ٢٠ إلى ٣٠ ألف من الأرمن في نقل المدافع، والمؤن إلى الجبهة، ولم يتطوع أحد من الأرمن في الجيش الروسي، وانصبّ دور الأرمن بشكل عام على خدمة المجهود الحربي العثماني رغماً عنهم، ومع ذلك تعرّض الأرمن للظلم، والانتقام، حيث قام الجنود العثمانيون بتخريب المدن الأرمنية، ونهب أملاكهم، وسبي نسائهم، ودمرت القرى، والمدن، والكنائس في ظل حالة من الخوف، والإرهاب نشرها الأتراك في نفوس الأرمن، وفي ذلك الوقت هرب بطريارك الأرمن في الآستانة «نيرسيس اياستفانوس «، ولجأ إلى القائد الروسي» نيقولا نية ولافيج»، مستنجداً به، وشرح له الأوضاع السيئة التي يعيشها الشعب الأرمني خلال هذه الحرب طالباً منه انقاد شعبه من الكارثة.

وبعد ذلك عقدت معاهد سان ستيفنسون بين روسيا، والعثمانيين، وضمنت المادة ١٦ منها بعض الإصلاحات لضمان سلامة الأرمن.

في الوقت ذاته كانت إنكلترا مهتمة بمنع طريق الهند، والشرق أمام روسيا، وخاصة بعد انتصار روسيا على العثمانيين، فاضطرت أوروبا إلى تبديل معاهدة سان ستيفنسون بغيرها في مؤتمر خاص انعقد في برلين في ١٣ حزيران ١٨٧٨م، هذا المؤتمر شاركت فيه ألمانيا، وروسيا، وتركيا، وإنكلترا، وفرنسا وإيطاليا، وكان برئاسة المستشار الألماني بسمارك، وقد كانت حقيقة هذا المؤتمر هي اقتسام غنيمة روسيا في حربها مع العثمانيين، وكان إلحاق ولاية البوسنة، والهرسك بالنمسا، بمثابة فتح طريق الشرق أمام الألمان، لقد تم استبدال المادة ١٦ من معاهدة سان ستيفنسون بمادة ٦١ من معاهدة برلين، إلا أنّه في الحقيقة لم يكن هذا التغيير سوى حبر على الورق، حيث لم تهتم الدول الموقعة بالقضية الأرمنية مطلقاً، ولقد أوضح خرميان هايريك (أبو الأرمن) الذي كان رئيساً للوفد الأرمني إلى مؤتمر برلين عندما قال: «لقد طبخت الحرية في

برلين، ولكننا لم نتمكن من أكلها بملعقة من الورق». لذلك ناشد أبو الأرمن الشعب الأرمني، ألا ينتظروا شيئاً من الدول الكبرى قائلاً: «يا أولادي لا ترجوا شيئاً منهم، فالأمل لا يملكه الأجانب بل نملكه نحن، وعلينا تدبير أمورنا بأنفسنا»، فكان ذلك نذيراً بالثورة التي أشعلها أبناء الشعب الأرمني بعد ذلك.٥

انبثق فجر حركات الأرمن بتأسيس أحزاب، وجمعيات أرمنية ثورية داخل الدولة العثمانية، وخارجها، ومن أهم الشخصيات الثورية المغذية للثورة خرميان هايريك رئيس الوفد الأرمني إلى برلين ، ومكرديج برتقاليان ورافي، فتشكلت في مدينة وان سنة ١٨٧٨م، جمعية الصليب الأسود الأرمنية، وفي عام ١٨٨٠م، أرسلت الجمعيات الأرمنية التي كانت تحت السيطرة الروسية في أرمينستان السلاح إلى أرمن الأناضول، ثم في مدينة أرضروم تأسست سنة ١٨٨١م، جمعية «المدافعون عن الوطن الأم»، وفي نهاية عام ١٨٨٥، شكّل تلاميذ برتقاليان القدماء الجمعية السياسية (الاتحاد الوطني)، في مدينة وان، وأرضروم، وفي عام ١٨٨٧م، أسس في مدينة جنيف الأرمن الشيوعيين حزب هنجاق الثوري، وكان من مطالبهم الاستقلال الذاتي، وتشكيل فيدرالية أرمنية مع أرمن روسيا، وأرمن إيران، ثم تأسست في مدينة تيفليس عام ١٨٩٠م، فيدرالية الثورة الأرمنية / طاشناق ستيون كان هدفه النضال الثوري لتحقيق استقلال أرمينيا، وبالرغم من الخطورة التي بلغتها تلك الحركات في حينها، وما تركته في النهاية من الأثر في مصير الشعب الأرمني، فلا يمكن اعتبارها إلا جهاداً ناجماً عن الآلام التي يقاسيها الشعب الأرمني في سبيل حريته، واستقلاله، لأنّها كانت نتيجة لمساعي جماعات ثورية مدفوعة بقوة طموحهم العظيم أو إيمانهم الصادق بقضيتهم.

المبحث الثاني:

أولاً_ مجزرة الأرمن:

بعدما انتهت الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٨م، تم عقد مؤتمر برلين، وبات على عبد الحميد الثاني أن ينفذ الإصلاحات التي تشملها المادة ٦١ من مؤتمر برلين بخصوص المناطق الأرمينية، إلا أنه كان يرفض هذه الإصلاحات، ويعتبر الأرمن عصابات انفصالية متمردة تهدف إلى تقسيم الأراضي العثمانية، وتخوف من هذه الإصلاحات التي تعني في القاموس السياسي (امتيازات، وحقوق، ومؤسسات)، معتبراً ذلك بذرة أولية لمنح الحكم الذاتي للمسيحيين في الدولة العثمانية، لهذا الأمر لم يلتزم بمقررات مؤتمر برلين، وخصوصاً المادة ٦١ وعدم تنفيذ بنوده الإصلاحية، وقال مقولته المشهورة: «إنني أفضل الموت على أن أقبل بهذه الإصلاحات التي ستقود شرقي الأناضول إلى الانفصال».٦

ثم قام بإلغاء الامتيازات الممنوحة لهم سابقاً من قبل أسلافه، ووضع رقابة شديدة على الطباعة، وأغلق المسارح الأرمينية، كما شكل فرق الفرسان الحميدية، وهي عدد من الفرق غير النظامية غالبيتها من المسجونين، والمحكومين بجرائم

"لا زالت الوحدة الوطنية الأرمنية في طور التكوين بسبب استمرار حملات العداء، وانشغالهم بالدفاع عن حق الوجود الإنساني. وقد غابت الحقائق الأرمنية عن أغلب الباحثين في معظم أنحاء العالم، لكن الجهود التي بذلت من البعض الآخر أدت إلى ولادة وجدان عالمي متعاطف مع القضية الأرمنية. أما هويتهم الاجتماعية فقد تشكلت على مدى عصور ما قبل التاريخ مما ينفى عنها الطابع الوراثي."

القتل، والنهب، والسلب، والتدمير. وكان يهدف بهذه الخطة إلى تخريب القرى الأرمنية بأيدي الشراكسة، والقوميات الأخرى، وإرغام الأرمن على ترك بلادهم، وهجرتهم من جميع المناطق الأرمنية الواقعة ضمن حدود العثمانية التركية، وتوطين الشراكسة، والعرب، والكرد، وغيرهم من القوميات في مناطق الأرمن، واستطاع أن يظهر للدول الخارجية بأنّ الأرمن متمردون، ويسعون إلى الانفصال. في الوقت الذي كانت روسيا، وإيران قلقتَين من تشكيل فرسان الحميدية، حيث قام الضباط، والدبلوماسيون الروس، والأرمن بتنظيم دعاية واسعة بين العشائر الكردية إلى عدم الانخراط في صفوف الحميدية، إلّا أنّ العشائر لم تتحمس بميلها نحو إيران أو بارتباط مصالحها (كعشيرة الجاف الكبيرة) لرفضها أساسا فكرة فرسان الحميدية، كما أنّ خزينة الدولة كانت لا تساعد على صرف الأموال، وتأمين الخيول لهذه الفرق، فكان المنضمّون إلى الفرق الحميدية من المشاة لا من الفرسان.

لقد كانت قضية مذابح الأرمن عبارة عن عمل نظم بدقة، واشتركت في إعداده أطراف مختلفة، ولدوافع كانت في الغالب متباينة. لم يكن بوسع الحكام العثمانيين أن يحلّوا المشكلة الأرمنية، وكانوا في الوقت نفسه يخشَون من أن تفلت أرمينيا من قبضتها، كما أفلت البلقان من قبل.

تلك هي البؤرة الأساسية للمذابح التي صار قسم قليل من الشعب الكردي إحدى الأدوات التي استخدمت في تنفيذها، بل إنه بالنسبة للمرحلة الأولى من هذه المذابح، والتي سعى السلطان عبد الحميد، وأعوانه كثيراً لإلقاء المسؤولية عنها على عاتق الشعب الكردي، هناك وثائق تاريخية تثبت بوضوح أن الباب العالي هو الذي نظمها، وعلى عاتقه تقع مسؤولية أحداثها المفجعة.

ففي بعض المناطق كانت المذبحة تبدأ على أيدي الجنود والجندرمة وتنتهي على أيديهم، فقد كلف ٣٠ ألف جندي، ودركي في أورفه، و١٦٠٠ آخرون في عربكير للقيام بإبادة الأرمن الموجودين فيهما.٧

«وكما يذكر الأستاذ عبد العزيز ياملكي، فإن المسؤولين كانوا يجلبون سجناء من مناطق أخرى ويلبسونهم الزي الكردي ويرسلونهم أفواجاً إلى مدينتي أرضروم، وديار بكر للاشتراك في عملية الإبادة الجارية هناك. وخلال المذبحة الأولى أرسل المسؤولون جنوداً بملابس كردية لأداء الدور نفسه». ٨

صحيح أنّ قسماً من المسؤولين كانوا يحاولون إخفاء جرائم السلطة، إلا أن معظمهم كان يتباهى بها علناً. وفضلاً عن ذلك فهناك عدة وثائق مهمة سرية تدلنا على جريمة السلطة، ومسؤولياتها من كل الوجوه.

ننقل في البداية برقية لوزير الداخلية طلعت باشا أرسلها إلى والي حلب، وقد جاء فيها ما يلي بالنص: ,, لقد أبلغتم من قبل أنه تقرر نهائياً، حسب أوامر الجمعية، إبادة الأرمن الذين يعيشون في تركيا، والذين يقفون ضد هذا القرار (يقصد من المسؤولين- ك. م.) لا يسعهم البقاء في وظائفهم. ومهما تكن الإجراءات التي ستتخذ شديدة وقاسية، ينبغي وضع نهاية للأرمن. لا تلقوا بالاً، بأي صورة، للعمر والوجدان والرجال والنساء".٩

نُفذت عملية الإبادة على مرحلتين، وقد أمر بها الباشاوات الثلاثة محمد طلعت باشا الصدر الأعظم، ووزير الداخلية إسماعيل أنور باشا وزير الحربية، وأحمد جمال باشا وزير البحرية بصفتها جزءاً من سياسية التتريك المفروضة بالقوة.

في المرحلة الأولى قُتل الذكور البالغون جماعياً، في المرحلة الثانية، أجبرت النساء، والأطفال، والشيوخ، حسب قانون التهجي على المشي في مسيرات موت حتى بادية الشام في عامي ١٩١٥و١٩١٦م، حيث تعرضوا لعمليات نهب، واغتصاب، وقتل دورياً، وتشير التقديرات إلى أنّ عدداً ممّن أجبر على هذه المسيرات يتراوح بين ٨٠٠ ألف حتى ٢ ،١مليون أرمني، وبأن ٢٠٠ ألفاً منهم على الأقل كانوا لا يزالون على قيد الحياة في نهاية العام ١٩١٦م.

وفق بعض التعريفات، فإن الإبادة تمتد أيضاً لتشمل عمليات القتل الجماعي لعشرات الآلاف من المدنيين الأرمن خلال الحرب التركية الأرمنية في عام ١٩٢٠م. ١٠

تتراوح تقديرات الوفيات حول العدد الإجمالي للضحايا الأرمن الذي قضوا نتيجة لسياسات الحكومات العثمانية والتركية بين عامي ١٩١٥ وحتى عام ١٩٢٣م، بين ٨٠٠ ألف إلى أكثر مليون نسمة.

إنّ قضية الأرمن كانت وستظل دائما قضية عادلة، وكان يتعين أن تكون قضية الغرب كله، ولو كان الغرب قد تدخّل إلى جانب الأرمن لكان هذا التدخل بمثابة دفاع عن النفس، وليس إحساناً، إن أمريكا، ورغم كل انشقاقاتها الداخلية، ما تزال مجتمع التعددية الثقافية الأكثر نجاحاً عبر التاريخ، والبلدان الأوروبية تصبح بصورة متزايدة مجتمعات تعددية عنصرية، وعرقية، وإذا ما حالفها الحظ ستصبح مجتمعات تعددية ثقافية أيضاً.

ثانيا_ ميلاد أول جمهورية أرمنية في التاريخ الحديث:

احتلت روسيا القسم الأكبر من المقاطعات الأرمنية، وعندما اندلعت الثورة الكبرى في روسيا في عام ١٩١٧م، عمّت الفوضى ممّا جعل المقاطعات الأرمنية دون حماية، وعلى إثره تشكّلت حكومة مؤقتة في بتروغراد التي عمدت إلى فصل المقاطعات الأرمنية عن روسيا، وأعلنتها مقاطعات أرمنية محتلة، وعينت عليها حاكماً من أصل أرمني وهو الدكتور زافريان، ثم أصدرت قراراً آخر اعترفت بموجبه بحق تقرير المصير للشعب الأرمني.

خاض الأرمن معارك شرسة مع تركيا استمرت ثمانية أشهر ثم اضطرت للتراجع إلى الحدود الروسية التركية القديمة، ثم ما لبثت أن ألحقت الهزيمة في منتصف شهر أيار عام ١٩١٨م، بالجيش التركي، وفي هذه اللحظات الحاسمة من تاريخ الأمة الأرمنية بالذات وجه القائد نازار إلى جنوده النداء التالي: (إذا لم نثبت أنّنا أمة نذود عن حمى بلادنا، وندافع عن شرفنا، وحريتنا، وسلامتنا بأيدينا فإننا نبرهن للعالم أجمع أنّنا أمة لا تستحق البقاء)، وفي نفس الشهر تم إعلان استقلال أرمينيا، وسميت الجمهورية الأرمنية.١١

عانت أرمينيا من مجموعة نزعات داخلية، وخارجية حيث نشأت أزمة إنسانية في أعقاب الإبادة الجماعية للأرمن، والتي أدت إلى استقرار عشرات الآلاف من اللاجئين الأرمن، واستمرت جمهورية أرمنية لأكثر من عامين، وشاركت خلالها في العديد من النزاعات المسلحة الناجمة عن خلاف الأراضي الإقليمية، وفي أواخر عام ١٩٢٠م، غزا الجيش الأحمر السوفيتي أرمينيا، وانتهى استقلالها في تموز عام ١٩٢١م، وحلت محلها الجمهورية الاشتراكية السوفيتية الأرمنية التي أصبحت جزءًا من الاتحاد السوفيتي، وذلك بموجب الدستور السوفييتي الذي أسماها، اعتبارا من عام ١٩٢٦م، جمهورية أرمينيا السوفييتية. بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، استعادت الجمهورية استقلالها لتصبح جمهورية أرمينيا الحالية في عام ١٩٩١م.

رسالة من التاريخ ما بين الأرمن والكرد:

هكذا كانت قصة محاولات إبادة الشعب الأرمني منذ عقود طويلة، لقد تكرر هذا الأمر مع شعوب كثيرة، وفشلت القوة الاستعمارية في كل مكان، وزمان في إبادة أي شعب. دائما ما يثبت التاريخ أنّ إرادة الشعوب هي القادرة على البقاء، والاحتفاظ بهويتها، وثقافتها، وأنّ القوى الفاشية، ستهزم في النهاية.

لقد كان الأرمن نموذجاً حيّاً لأكبر محاولة لإبادة شعب، وكذلك الكرد الذين تعرضوا لنفس مخطط الإبادة، وإلغاء الوجود، ومحاولات التغيير الثقافي، والهوية القومية، ورغم المذابح، والتشتت، والتهجير في كل بقاع العالم، احتفظ الأرمن، كما احتفظ الكرد بهويتهم، وتاريخهم، وشخصيتهم، واستطاعا الحفاظ على هويتهما القومية.

”عانت أرمينيا من مجموعة نزعات داخلية، وخارجية حيث نشأت أزمة إنسانية في أعقاب الإبادة الجماعية للأرمن، والتي أدت إلى استقرار عشرات الآلاف من اللاجئين الأرمن، واستمرت جمهورية أرمنية لأكثر من عامين، وشاركت خلالها في العديد من النزاعات المسلحة الناتجة عن خلاف الأراضي الإقليمية، وفي أواخر عام ١٩٢٠م، غزا الجيش الأحمر السوفيتي أرمينيا، وانتهى استقلالها في تموز عام ١٩٢١م.“

هذا ما يجمع بين قوميتين تقاربا جغرافياً، وإنسانياً وتوحدا في مأساة متشابهة... نعم، لقد حاول البعض الإساءة لكرد، وزعم عن دورهم في مذابح الأرمن، والحقيقة إن المحتل العثماني استخدم بعض العناصر من القوميات الأخرى في الانتقام من الأرمن، فاستخدم بعض من الشراكسة، والعرب، والكرد في حملات الإبادة، وحروبه الاستعمارية.

لقد انتبه الأرمن، والكرد إلى طبيعة المؤمرة التي حاك ضدهم معاً، واكتشف أنّ ما يجمعهم من تاريخ نضالي، وأهداف واحدة أكثر مما يفرّقهم.

فقضية الهوية، والحفاظ على الوجود، واسترداد الحقوق يجمع بين القوميتين إلى جانب مناطق العيش المشتركة، والجذور الثقافية، لهذا فإنّ الرسالة التي يمكن أن تصل الآن إلى القوميتين اللتين عاشتا منذ قرون في نفس الإطار الجغرافي المتقارب، هي ان مآسينا مشتركة، وقضيتنا واحدة، ونضالنا واحد، وعلينا أن نتكاتف في رباط رفاقي مشتركة حتى يصبح الوجود الكردي مرتبطاً بالوجود الأرمني، والعكس صحيح، إن ما بين الكرد والأرمن، والأرمن والكرد رفقة سلاح لمشروع الاستقلال، والدولة الوطنية، وبناء المستقبل.

الهوامش:

1- راجع كتاب الأرمن عبر التاريخ/ص ١٠٠

2- راجع كتاب القضية الأرمنية في الدولة العثمانية /ص ١٥

3- https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9_%D8%A8%D8%B1%D9%84%D9%8A%D9%86

4- راجع كتاب تاريخ الأمة الأرمنية ص/ ٢٧٨

5- راجع كتاب القضية الأرمنية/ص ٢٧٩

6- راجع كتاب الأرمن والدولة العثمانية/ص ٩٤

7- راجع كتاب كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى/ د. كمال مظهر أحمد /ص ٢٨٤ ١٠-المصدر نفسه /ص ٢٨٩

8- راجع كتاب كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولي/ د. كمال مظهر أحمد/ص ٢٨٥

9- المصدر السابق

10- https://ar.m.wikipedia.org/wiki %D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9_%D9%84%D9%84%D8%A3%D8%B1%D9%85%D9%86%

11- راجع كتاب الأرمن عبر التاريخ /ص ٤١٦

قضية الصراع السني الشيعي،
الأسباب والنتائج، والحلول

شرفان مسلم

مدخل:

هناك الكثير من القضايا الهامة التي غيّرت مصير الشعوب وقلبت حال الأقوام رأسا على عقب، قضايا تعتبر مفصلية نظرا للتحولات والتغييرات التي تسببت بها فيما بعد، من إحدى هذه القضايا هي قضية السنة والشيعة، يعاني شرقنا الأوسط في الكثير من مفاصله من بعض المشكلات التي تعتبر بنيوية ومصيرية وتسببت هذه المعضلات بما آل عليه الحال في الشرق الأوسط.

فالمشكلات التي تتسبب بعدم تطوير منطقة ما ورفع سويّتها الثقافية والفكرية لا تقتصر فقط على الماديات وتجفف الاقتصاد، في الكثير من الأحيان نلاحظ بأن المشكلات الداخلية النابعة من عدم توافق فكري في تحليل موقف ما، أو عدم السير في طريق واحد من الناحية الأيديولوجيا أيضا تتسبب في تراجع منطقة ما بكل مقوماتها عشرات السنين.

معضلة المفهوم السنّي والشيعي أخذت حيزاً واسعاً من تفكيري، وسؤال لطالما راود خيالي، هل هذه المشكلة نابعة من خلاف فكري يحوم حول عدم التوافق في تحديد ومنبع جانب روحي؟ أم أنه صراع بدأ وفقا لمفهوم قبلي، عشائري وعائلي؟ أم أنه صراع سياسي يتمحور حول التمسك بالسلطة وعدم الإفراط بها؟ أم أنه صراع بدأ شرارتها من فتنة ما، واتسعت فيما بعد؟

التطرق الى أمور المعتقدات ربما لا يعتبر من المسلمات، والتقرب منه دائما يكون بحذر وخوف وقلق، وذلك لخصوصية الموقف، والتعصب الفكري المتمسك بمفهوم ثابت لا يقبل النقاش والتطرّق بحجة ذرائع مختلفة، لست الآن في صدد ذكرها، الا أنّني ووفقا لإيماني وقناعتي بالمقولة السائدة: (لا يوجد شيء فوق الدراسة والنقد) وكذلك رغبة مني في الخوض في معرفة هذا الصراع والنظر إليه بعين الثالث، وطرح الحلول المناسبة وفقاً لمنظوري الشخصي اخترت هذا البحث.

بحسب تجربتي الشخصية في الكثير من المواقف أثناء الدراسة والحياة العملية، اكتشفت الكثير من السلبيات والأوهام التي تركتها هذه المعضلة التي بدأت شرارتها منذ أكثر من ألف وثلاثمئة عام، أحيانا أصل الى قناعة ألا وهي أنّه من الممكن كثيرا أن تحدث مصالحات بين المسلم واليهودي والمسيحي، ويتقبلوا بعضهم البعض من كافة النواحي، حتى من الناحية الأيديولوجيّة، لكن من الصعب جدا أن يحدث توافق أو اتفاق إن صح التعبير بين السني والشيعي...لماذا؟ طبعا مؤسف جدا هذا الأمر.

هذه المشكلة التي مازالت حتى الآن جدلاً يصعب حله، وورقة بيد الساسة الذين يديرون الكثير من الدول، واللعب بها وفقاً لمصالحهم على حساب دماء الشعوب الفقيرة التي تفتقد العلم والمعرفة، والذين يتبعون فقط غريزتهم الروحية المرسومة لهم، حتى الطقوس التي يمارسونها بعيدة عن قيم الحضارة.

سأحاول بإمكانياتي المتواضعة - وبعد إجراء الكثير من البحث والتحليل – تسليط الأضواء على معرفة تاريخ السنة والشيعة، أسباب ظهور الخلافات، والنتائج التي آلت إليه، كما أنني سأطرح وفقا لمنظوري الحلول التي من الممكن أن تساعد في حل هذا الصراع التاريخي.

لا بدّ لنا في البداية وقبل أن ننخرط في الصراع وأسبابه والنتائج التي تمخّضت عنه أن نعرّف وإن بأسطر بسيطة السنة والشيعة.

الشيعة:

لغة: هي المشايعة، أي المتابعة والمناصرة والموالاة.

الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصيةً، إما جليّاً وإما خفيّاً. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده.

وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختبار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، ولا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه الى العامة وإرساله.(١)

وقالوا أيضا: إنَّ عليّاً مع الحقّ، يدور معه حيث دار، وأوجبوا نُصرته على كل من خالفه وعاداه، عملاً بأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

الذي نصّ على أنّ عليّاً مولى المؤمنين، وولي كلّ مؤمن، وأنّه إمام أهل البيت والثّقل الأصغر الذي تركه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المسلمين، وأمر بالتمسك به في القرآن الكريم، ثمّ دانوا بإمامة ولديه الحسن والحُسين من بعده.(٢)

كما أنه من المعلوم أنّ نشأة الفكر الشيعي كانت عند تمام البيعة لأبي بكر رضي الله عنه. لكن لم يظهر مذهب على صعيد المجتمع الإسلامي إلّا في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه. أما فيما بين ذلك فإنما كان وجهة نظر قامت يوم السقيفة، ثم هدأت وطويت باستقرار الأمر لأبي بكر رضي الله عنه واجتماع الناس على بيعته، لاسيما عندما بايعه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بذاته. وقد كانت بيعته له بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها بعشرة أيام، وقيل بعد وفاة رسول (صلى الله عليه وسلم) بثلاثة أشهر، وقيل غير ذلك.(٣)

يتلخص المذهب الشيعي الذي يتفق الشيعة جميعهم عليه في النقاط التالية:

أولا: ليست الإمامة من المصالح العامة التي تفوّض إلى نظر الأمّة، بحيث يعتمد الشخص الذي تختاره من بينها للنهوض بهذا الأمر، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، وليس من شأن النبي إغفاله ولا تقويضه إلى ما تراه الأمة، بل يجب عليه أن يعين لهم الإمام من بعده.

ثانيا: لابدّ أن يكون الإمام معصوماً من المعاصي بنوعيها: الكبائر والصغائر.

ثالثاً: إنَّ عليّاً كرم الله وجهه، هو الإمام الذي عيّنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للأمة من بعده.

فهذه النقاط الثلاثة محل إجماع منهم جميعاً عليها، على اختلافهم وتفرقهم عن بعضهم بصدد النظر في أمور أخرى.

ثم أنهم لما نظروا في أمر الخلافة من بعد علي كرم الله وجهه تفرقوا إلى المذاهب التالية:

> **معضلة المفهوم السنِي والشيعي أخذت حيزاً واسعاً من تفكيري، وسؤال لطالما راود خيالي، هل هذه المشكلة نابعة من خلاف فكري يحوم حول عدم التوافق في تحديد ومنبع جانب روحي؟ أم أنه صراع بدأ وفقا لمفهوم قبلي، عشائري وعائلي؟ أم أنه صراع سياسي يتمحور حول التمسك بالسلطة وعدم الإفراط بها؟ أم أنه صراع بدأ شرارتها من فتنة ما، واتسعت فيما بعد**

1- **الإمامية**: وهم يرَون أن مساق الخلافة من بعد علي كرم الله وجهه في ولد فاطمة، بالنص عليهم، واحداً إثر الآخر. وسمّوا بالإمامية نسبة إلى مقالتهم باشتراط معرفة الإمام وتعيينه في الإيمان.

2- **الزيدية**: وهم يرون أن مساقها في ولد فاطمة، لكن بالاختيار من الشيوخ، على أن يكون الإمام منهم عالماً زاهداً جواداً شجاعاً. وسمّي هذا المذهب بالزيدية نسبةً إلى صاحب المذهب وهو زيد بن علي بن الحسين.

3- **رافضة**: عندما ناظر الإمامية زيداً في إمامة الشيخين، ورأوه يقول بإمامتهما ولا يتبرأ منهما رفضوه ولم يجعلوه من الأئمة المعتمدين. وبذلك سموا رافضة.

4- **الكيسانية**: وسموا بالكيسانية نسبة إلى

كيسان مولى محمد بن الحنفية، ويرون أن مساق الخلافة بعد علي وابنيه السبطين، إلى أخيهما محمد بن الحنفية، ثم إلى ولده.

وقد نشأت منهم طوائف يسمّون الغلاة، تجاوزوا حدّ العقل والإيمان، فقالوا بألوهية كثير من هؤلاء الأئمة وقد تبرّأ منهم أولئك الأئمة أنفسهم، وعاقبوهم على ذلك عقاب المرتدين.

السنة:

السُّنَّة والجماعة هم أكبر مجموعة دينية إسلامية من المسلمين في معظم الفترات من تاريخ الإسلام، وينتسب إليهم غالبية المسلمين، ويُعرَّف بهم علماؤهم أنهم هم المجتمعون على اتباع منهج السنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين وأئمة الدين من الصحابة والتابعين وأصحاب المذاهب الفقهية المعتبرة من فقهاء أهل الرأي وأهل الحديث، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم وأخذ عنهم طريقتهم بالنقل والإسناد المتصل. ولم تكن هذه التسمية مصطلحا متعارفاً عليه في بداية التاريخ الإسلامي حيث لم يكن هناك انقسام ولا تفرق، وإنما ظهرت هذه التسمية تدريجياً بسبب ظهور الفرق المنشقة عن جماعة المسلمين تحت مسمّيات مختلفة، وكان لقب أهل السنة يطلق على أهل العلم من أئمة الصحابة ومن تبع طريقتهم المسلوكة في الدين، حيث ورد في مقدمة صحيح مسلم عن ابن سيرين أنّه لما وقعت أحداث مقتل الخليفة عثمان بن عفان، والتي يشير إليها باسم «الفتنة» أنه قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم». فالأئمة في الدين من الصحابة ومن تبعهم بإحسان هم أهل السنة أي: أصحاب الطريقة المتبعة في الدين باعتبار أنّ طريقتهم التي كانوا عليها قائمة على اتباع منهاج الهدي النبوي حيث نقلوا علم الدين بعمومه، واستند عليه علمهم فيما بيّنوه، وفيما استنبطوه وفق أصول الشريعة.

كان أخذ علم الدين مختصا بالحاملين له من الصحابة وكانوا في صدر الإسلام يسمونهم القراء لقراءتهم القرآن وعلمهم في الدين، وبحسب ما ذكر ابن خلدون أنه بعد تمكن الاستنباط الفقهي وكمل الفقه وصار علما بدلوا باسم الفقهاء والعلماء بدلا من القراء، وانتقل علم الصحابة إلى التابعين وأخذ عنهم الأئمة من بعدهم، ثم انقسم الفقه فيهم إلى: طريقة أهل الرأي في العراق ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي أصحابه؛ هو أبو حنيفة، وطريقة أهل الحديث في الحجاز وإمامهم مالك بن أنس والشافعي من بعده.

نشأة الفرق الإسلامية وأسبابها:

كما نعلم جميعاً أن الدين الإسلامي جاء يدعو الى توحيد الألوهية، وضرورة الالتزام بالشريعة. كما أنه دعا الى الوحدة والتآلف بين أتباعه. وينهي عن الفرقة والاختلاف بين المسلمين.

وقد أكدت الكثير من الآيات في القرآن الكريم الوحدة وعدم التفرقة، ودعت إلى التمسك بحبل الله المتين. وعدم التنازع والاختلاف، كما ورد في قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) <آل عمران/١٠٣> وكذلك قوله تعالى: (إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شِيعاً لستَ منهم في شيءٍ إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) <الأنعام/١٥٩>

وبهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى قد نهى عن الفرقة، وكان ذمّ الرسول الكريم الجدال رادعاً قويّاً للمسلمين عن الاختلاف والفرقة، لاسيما في مسائل الاعتقاد. وقد استقامت حياة المسلمين في عهد الرسول الكريم وكانت بعيدة عن الاختلاف والتنازع، وكان الرسول هو المرجعية لهم في اختلاف يصدر، والآية التالية تؤكد هذا الشيء (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم. ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مُبيناً)

<الأحزاب/٣٦>

وظل الحال كذلك حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته نشب الخلاف حول الخلافة، ولم يلبث أن نما حتى أصبح مذاهب وأحزاب.

بدأ الخلاف بين المسلمين على بعض الأمور الاجتهادية التي لم تصل بأحد منهم إلى درجة الابتداع والكفر، كالخلاف الذي وقع بينهم في سقيفة بني ساعدة فيمن يخلف رسول الله بعد وفاته، وغير ذلك من الخلافات التي وقعت بينهم ولم يكن لها خطرها الذي ينجم عنه التفرق ووقوع الفتنة والبغضاء بين المسلمين.

ظل الأمر كذلك إلى زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان ما كان من خروج بعض المسلمين عليه ومحاصرته داره، وقتلهم له، فأصاب المسلمين من ذلك الوقت رجة فكرية عنيفة. طاحت بالروية، وذهبت بالكثير من الأفكار ومذاهب شتى. فقام قوم يطالبون بدم عثمان. ثم نشبت الحرب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من أجل القصاص من قتلة عثمان، وكان لكل منهم شيعة وأنصار يشدون أزره، ويقوّومون عزمه. وتبع ذلك انشقاق جماعة علي رضي الله عنه، بعد مسألة التحكيم في الخلاف بينه وبين معاوية...فظهرت من ذلك الوقت فرقة الشيعة وفرقة الخوارج وفرقة المرجئة وفرقة أخرى انحازت لمعاوية، وأيدت الأمويين على وجه العموم.

-أما بالنسبة لأسباب نشوء الفرق والتفرقة فيمكننا ذكرها بالعناوين العريضة بحسب ما يتفق عليها الباحثين والمؤرخين:

١- الفتنة الكبرى ومقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٢- دور عبد الله بن سبأ اليهودي في الفتنة ونشر الأفكار الهدامة.

٣- ترجمة الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية، وإتقان البعض بها.

٤-دخول بعض الموتورين من أهل الديانات القديمة في الإسلام.

"السنة والجماعة هم أكبر مجموعة دينية إسلامية من المسلمين في معظم الفترات من تاريخ الإسلام، وينتسب إليهم غالبية المسلمين، ويعرّف بهم علماؤهم أنهم هم المُجتمعون على اتباع منهج السنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين وأئمة الدين من الصحابة والتابعين وأصحاب المذاهب الفقهية المعتبرة من فقهاء أهل الرأي وأهل الحديث، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم وأخذ عنهم طريقتهم بالنقل والإسناد المتصل"

ـ الخلاف بين السنة والشيعة وفقا لمنظور غربي، برنابى روجرسون نموذجاً.

يذكر الكاتب برنابى روجرسون في كتابه (ورثة محمد) المترجم من قبل الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ، جذور الخلاف السني الشيعي، كما أنه يربط هذا الخلاف بالكثير من الأمور التي قد لا نجدها في الكتب الإسلامية، ولم يتطرق إليها أحد من شرقنا، تختلف رؤيته عن رؤيتنا الكلاسيكية المعتادة والتي ورثناها جميعاً من مصدرنا الشرقي، فهو يعود بجذور هذا الاختلاف الى فترة وجود النبي صلى الله عليه وسلم ذاته، ويربط الأمور بالخصوصية الجغرافية والسياسية لمكة والمدينة في تلك الفترة، والتغييرات التي تسببت بهذا الخلاف.

لا يجد هذا المؤرخ الانثربولوجي الرائع أية فوارق دينية بين السنة والشيعة، أو بين من يقال لهم سنة، ومن يقال لهم شيعة، وذلك بعد أن بسط بين يدي كل ما ترجم إلى اللغات الأوروبية من كتب التراث الاسلامي وهي كثيرة جداً، وبعد أن أمعن النظر في محتواها، متجاوزاً الظاهر الكاذب ليغوص في المعنى والمبنى والفحوى. يقول برنابى روجرسون: ((وعندما نتفحص الممارسات (العبادات) الدينية للمسلمين السنة والمسلمين الشيعة نجد أن الفروق ضئيلة لا تكاد تذكر، فالشيعة يعترفون بالقرآن نفسه (النص عند كليهما واحد) وهم يصلون الصلوات الخمس اليومية، ويتبعون تقويماً واحداً، ويلتزمون في صومهم بالالتزامات نفسها، وكلهما يحج ملتزما بالطقوس (الشعائر) نفسها)).

فالمؤلف بعد ان بسط أمامه كتب السيرة النبوية وكتب الحوليات التي تعرضت إلى أحداث هذه الفترة (السيرة النبوية لابن هاشم والطبقات الكبرى لابن سعد، وتاريخ الطبري...إلخ)

وأزاح منها كل ما هو غير اجتماعي وغير اقتصادي وغير سياسي، خلص إلى أن احد جدور ما يسمى الخلاف السني الشيعي ليس ذا طابع ديني، وما يؤكد رؤيته هذه هو أن معظم الشيعة الآن من أصول تعود للمدينة المنورة، كما تعود إلى أصول شرق الجزيرة العربية (الذين لم يأخذوا نصيبا كافيا من الربع لأنهم ليسوا من قريش)، أو من الشعوب الزراعية التي إن لم تكن من الشيعة من الناحية الرسمية، إلّا أنّ حبهم لآل البيت طاغ وجار بسبب ارتباط تراث علي بالعمل والإنتاج، ويذكر أيضاً أنّ أحد أسباب الخلاف يعود أيضاً إلى الخلاف الذي نشب بين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم.

أهم نقاط الاختلاف بين السنة والشيعة:

الإمامة

إنها أبرز نقطة خلاف، وعلى أساسها وقعت الفُرقة أصلا. يؤمن السنّة أنّ الإمام أو الخليفة يتعين بالاختيار أو الانتخاب. فيما يؤمن الشيعة أنه يتعين بالنص، أي أنّ الأمر محسوم بحكم إلهي لم يترك للأفراد حرية التصرف. وأصل الخلاف هو أن السنّة يؤمنون أن النبي محمد لم يسم خليفة بعده، يُمنع على المسلمين التحوّل إلى غيره. وعلى هذا، تكون إمامة الخليفة الأول أبي بكر، في نظر أهل السنة، شرعية لأنها تمت باختيار المسلمين، وينطبق الأمر ذاته على عمر وعثمان وعلي.

أما الشيعة، فيؤمنون أنّ النبي محمد اختار ابن عمه (علي بن أبي طالب) للإمامة، يتوارثها أولاده بعده ولا يجوز صرفها إلى غيرهم. فتكون خلافة أبي بكر وعمر وعثمان غير شرعية، وإنما انتزعت من علي غصباً.

يستدل الشيعة على وجوب الإمامة لعلي بأحاديث من أبرزها حديث الغدير، وهو معروف وموجود أيضا في كتب السنة. يقول النبي في مقطع منه "من كنت وليه (في بعض الروايات مولاه) فعلي وليه".

في رأي الشيعة، هذا الحديث يؤكد حكماً قطعيّاً ملزماً بالولاية لعلي. بينما يقول السنة: إنّه لا يتضمن دلالة على ذلك، وإنما المقصود بالموالاة المحبة والمودة وترك المعاداة. ويضيفون أن الخلافة أمر عظيم لا يمكن الدلالة عليه بلفظ مجمل كهذا.

العصمة:

يؤمن الشيعة بعصمة الأئمة. ويعُّدون اثني عشر إماماً معصوماً، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم محمد بن الحسن العسكري، مهدي آخر الزمان في رأيهم. ويستدلون على عصمة الأئمة بآيات وأحاديث نبوية يرون أنها تؤكد ذلك. من بين هذه الآيات مثلا ما ورد في سورة الأحزاب «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

تطهيرا».

يرفض السنّة في المقابل تفسيرات الشيعة، ويرون أن العصمة من الخطأ لا تثبت إلا للأنبياء فيما يبلغونه من رسالات ربهم، وأن جميع الناس بمن فيهم الصحابة يصيبون ويخطئون ويؤخذ من قولهم ويترك، إلا الأنبياء فيستحيل الخطأ في حقهم لأن الأمر هنا يتعلق بوحي.

السنة:

السنّة النبوية عند الشيعة والسنّة معا هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، تأتي بعد القرآن، وهي امتداد وتفسير له، ولها قوة تشريعية ملزمة. لكن، إذا كانت السنة عند أهل السنة تقتصر على قول الرسول أو فعله أو تقريره، فإنها تتوسع عند الشيعة لتشمل أيضا قول الإمام المعصوم أو فعله أو تقريره. فالأئمة تجري سنتهم مجرى سنة الرسول، لأن ما يصدر عنهم ليس اجتهادا أو استنباطا أو رأيا، بل هو عين سنة الرسول، سواء أسندوها إليه أم لم يسندوها.

ويمتاز الشيعة أيضا بأنهم لا ينقلون السنة عن كل الصحابة، بل يقتصرون على المعتبرين عندهم. وهذا نابع من عدم إيمانهم بفكرة عدالة كل الصحابة التي يؤمن بها أهل السنة.

عدالة الصحابة

رغم أن فكرة عدالة الصحابة قد تكون أهون نقاط الخلاف بين الشيعة والسنة من الناحية العقدية أو الفقهية، إذا قارناها بالموقف من الولاية أو العصمة أو السنة، إلا أنها النقطة التي تثير الكثير من الحزازات والتوتر في الوقت الحالي.

يقول السنّة إنّ الصحابة جميعهم عدول،

ظل الخلاف بين المسلمين على بعض الأمور الاجتهادية بعد وفاة الرسول إلى زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث خروج بعض المسلمين عليه ومحاصرته داره، وقتلهم له، فأصاب المسلمين من ذلك الوقت رجة فكرية عنيفة. طاحت بالرؤية. وذهبت بالكثير من الأفكار ومذاهب شتى. فقام قوم يطالبون بدم عثمان. ثم نشبت الحرب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وكان لكل منهم شيعة وأنصار يشدون أزره ويقوومون عزمه

تقاة، مستقيمو الدين والسيرة، غير أنهم غير معصومي الخطأ. يُجمع على عدالة الصحابة علماء أهل السنّة، ويرونها أصلا من أصولهم لا يقبلون الخروج عنه. وينظرون إلى خلافات الصحابة، وحتى الحرب بينهم، على أنّها اجتهادات أخطأ فيها من أخطأ وأصاب من أصاب. وهي لا تضع عدالة أي منهم محل نقاش. ويوالي السنة الصحابة كلهم ويمسكون عما شجر بينهم.

على العكس من ذلك، لا يؤمن الشيعة بعدالة كل الصحابة، ويرون أن منهم العادل والفاسق والمنافق. بل ذهب بعض المتشددين إلى درجة تكفير وسب بعض الصحابة وزوجات النبي. وهو ما أثار موجات غضب عارمة في أوساط السنة، ورفضا وانتقادات في أوساط الشيعة أنفسهم.

النتائج:

رما كانت أسباب الاختلاف مختلفة بين عالم وآخر أو رواية وأخرى، إلّا أنّ أبرز النتائج واضحة كوضوح الشمس لا يختلف عليها اثنان،

" الحل الأنسب للحد من هذا الصراع السني-الشيعي هو منع استغلاله من قبل الكثير من الدول الشرقية منها والغربية، ومنعهم من اللعب بالوتر العاطفي للشعوب من تأجيج فكرة الإسلام الناعم بإنشاء مجموعات متطرفة سلفية معتنقة المذهب السني وموزعة في الكثير من الدول لتحقيق مصالح أجندات استخباراتية خارجية، وكذلك تأجيج فكرة الهلال الشيعي الذي يساهم في تقسيم جيوسياسي خاص بهم "

فهذا الاختلاف لم يكن ضرورة تاريخية ولم يكن نابعاً من اتّباع او اعتناق طريقة فكرية مختلفة، لسنا هنا بصدد العودة إلى التأسف، وذكر الأسباب مرّة أخرى، وإنّما النتائج الكارثية التي حلت بالعالم الإسلامي، واستغلالها من قبل الانظمة الدكتاتورية لضرب الشعوب واللعب بوترهم العاطفي، ويمكننا تلخيص أبرز النتائج ومجملها بما يلي:

1- انقسام العالم الإسلامي إلى فرقتين، وأضحى هذا الانقسام نواة فيما بعد لتقسيمهم إلى فرق متعددة.

2- انتشار الحقد والكراهية بين المسلمين على الرغم من أن الدين الاسلامي يدعو إلى التسامح والحب والوفاء، فبشكل تلقائي يبرهن هذا الشيء ابتعادهم عن قيم الإسلام ومبادئه.

3- وقد ترتب عن هذا الانقسام ضعف شديد في صفوف المسلمين، بعد أن كانت في أوج قوتها في العالم أجمع.

4- حدوث معارك كثيرة بين المسلمين ذاتهم (وقعت الجمل، صفين ...إلخ) على الرغم من تناقض هذا الشيء مع مضمون القرآن الكريم، وكذلك في أحاديث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

5- ظهور الحركات الراديكالية الإسلاموية كأمثال القاعدة ومشتقاتها.

6- استغلال هذا الاختلاف سياسياً من قبل الكثير من الدول لضرب المسلمين بعضهم ببعض، وإنشاء حروب على أسس طائفية ومذهبية.

7-

الحلول:

ربما لم تكن وجهة نظري لادغة وناقدة إلى الحد المطلوب مني كباحث يحاول الغوص في قاع المشكلة وتفتيتها وتشريحها، ولن يكون بحثنا موضوعيا ما لم نتطرق الى العوامل والظروف السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والجغرافية، في تلك الحقبة من الزمن، فالعمل الجغرافي لعب دورا مهما في تكون الشخصية وأثرت عليها بشكل مباشر، فالطبيعية الصحراوية الجامدة، أنشأت شخصيات صلبة وخشنة تعكس ملامح تلك الصحراء القاحلة، والعلاقات والروابط الاجتماعية كان مستندة إلى المفهوم القبلي والعشائري، والتي بدورها كرست أرضية مناسبة لتأجج الصراعات، أما بالنسبة للثقافة والوعي فكانت إلى حد ما شبه معدومة، فوأد البنات وغيرها من الأعراف والتقاليد البالية انعكاس لهذه الجهالة.

يرى البوطي رحمه الله أن موضوع النظر والبحث في هذه المسألة قد طوي وزال، فقد عفى الزمن على ما يمكن أن يختلف المسلمون حوله من أمر الخلافة والأحق بها، وأن عليّا ذاته قد بايع بنفسه أبا بكر الصديق.

والعجب الذي لا يهضمه عقل ولا تقبله غيرة صادقة على الدين الحق، هو مرور قرون على عصر الخلافة الراشدة، وما زلنا نجعل من أحقية علي أو غيره، موضوع لجج ومسألة خلاف، وحجاب تفرقة بين المسلمين..

فالحل الأنسب للوقوف أمام هذا الصراع ومنع استغلاله من قبل الكثير من الدول الشرقية منها والغربية، ومنعهم من اللعب بالوتر العاطفي للشعوب من تأجيج فكرة الإسلام الناعم بإنشاء مجموعات متطرفة سلفية معتنقة المذهب السني وموزعة في الكثير من الدول لتحقيق مصالح أجندات استخباراتية خارجية، وكذلك تأجيج فكرة الهلال الشيعي الذي يساهم في تقسيم جيوسياسي خاص بهم، ومبني على أيديولوجيا راديكالية تسير الآن بقيادة إيران وغيرها من الدول التي تستخدم العقائد لتمكين سلطتها، فأفضل الحلول هو العودة الى الطبيعة، والاتحاد بين الطبيعة الأولى والثانية، وقبول البعض على مبدأ الإنسانية قبل كل شيء، بغض النظر عن خلفيته واعتقاده.

إنّ تطبيق مفهوم الأمة الديمقراطية جوهرياً، سيساهم كثيراً في حل هذا الصراع، فالأمة الديمقراطية التي من خلالها ينفرد الإنسان مع معتقده ويؤمن به دون أن يتأثر أو يؤثر على أحد، كما أنها تفصل تماماً بين السلطات والأديان والمعتقدات، فهذه الأشياء تعتبر من خصوصية الشخص ذاته، وتمنع استغلال هذه الأمور من قبل السلطات لضرب المجتمعات بعضها ببعض.

وأخيرا المعرفة ورفع سوية العلم الموضوعي والثقافة المجتمعية المبنية على حب الطبيعة والممزوجة بمبادئ الإنسانية هي صمام الأمان لحل هذه المشكلة من جذورها، لطالما المناهج الدراسية في إيران والسعودية معدة على أسس طائفية وتحريضية مؤدلجة، ستبقى هذه المعضلة مستمرة، لأنها تنغرس في مخيلة الأطفال، لذلك يفترض زيادة مستوى الوعي وتغيير المناهج وجعلها داعية إلى السلام والتسامح والمحبة.

بهذه النقاط التي ولو تطبق بعون الله سيعم السلام ليس فقط على العالم الإسلامي، بل على كافة الشعوب.

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أوجه ندائي في بحثي هذا إلى وقعت عينه عليه، أن يتخذ من مبادئ الإنسانية أساس له، وينظر إلى الأمور بأفق واسعة، تجعله يميز بين الأشياء، ويساهم لحل هذه المشكلة ورفع مستوى المعرفة.

المراجع

أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني. (2013). الملك والنحل. دمشق: مؤسسة الرسالة ناشرون.

الإمام محمد أبو زهرة. (بلا تاريخ). تاريخ المذاهب الإسلامية. القاهرة: دار الفكر العربي.

برنابي روجرسون، ترجمة د.عبدالرحمن عبدالله الشيخ. (2010). ورثة محمد. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب.

د.محمد شيخاني. (2009). الفرق الإسلامية والمتأسلمة. دمشق: قتيبة.

سعد رستم. (2010). الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات. دمشق: دار النشر الأوائل.

عبدالله أوجلان. (2014). مانيفستو الحضارة الديمقراطية، المجلد الخامس. قنديل: آزادي.

محمد سعيد رمضان البوطي. (2008). المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة. دمشق: دار الفكر.

أزمة الأنظمة القومية

أحمد شيخو

تمثّل الأنظمة القومية في المنطقة سياقاً غير طبيعي للحياة وإدارتها، وهي تفاعلٌ قسري وخارجي مفروض على شعوب المنطقة والعالم، بقصد التقسيم والهيمنة والنهب بعيداً عن ثقافة المنطقة وإرادتها ومصالح المجتمعات والشعوب والبلدان فيها. وتجسّد الأنظمة القومية أشكالاً جديدة للاستعمار وتحقيق التبعية، وكذلك فتح كافة البنى الاجتماعية للاستغلال والاحتكار والقمع، وهي حالة تعظيم للفردية والأنانية وتضخيم للسلطوية وإضعاف الأخلاق على حساب المجتمع وتماسكه وقيمه ومصالحه الجمعية.

ومن المهم الإشارة إلى المكان والظروف والغايات التي صاحبت نشوء الفكر القومي والأنظمة القومية وتصديرها للعالم ولمنطقتنا، ففي أوربا الغربية ظهرت السياسة البريطانية التي توافقت مع رغبات عدد من اليهود، في إضعاف وتقسيم الإمبراطوريات والقوى الأخرى المنافسة لها حينها في أوربا وروسيا والشرق الأوسط، والبحث عن إيجاد موطن لليهود، وفي رصف البنى الفكرية والسياسية لأغلب التحركات والثورات الجماهيرية كالفرنسية والروسية وغيرها، لخدمة ظهور الأنظمة القومية ودويلاتها العديدة بالتالي خدمة سياسة (فرّق تسدْ) البريطانية حينها، وتطبيقها على العالم لإنجاز الريادة والقيادة البريطانية للنظام العالمي المهيمن.

ولعل الحرب العالمية الأولى والثانية وما يجري في غضون مئتي السنة الأخيرة، تحت كنف النظام العالمي المهيمن، وعلى الرغم من تغيّر قيادتها من البريطانية إلى الأمريكية، من ممارسات الإبادة الجماعية والتطهير العرقي والتغيير الديموغرافي والاحتكار والجنسوية المفرطة الممارَسة من قبل دول وسلطات النظم القومية، إنما يعبّر بوضوح عن أزمة النظم القومية التي تشكلت وعن عدائها تجاه المجتمعات والشعوب.

ولعل الأحادية المطلقة والنمطية والسعي إلى خلق الأمة الدولتية كشرط أساسي لهذه الأنظمة، يُعتبر من أحد أهم سلبيات هذه الأنظمة، حيث أنها هنا تعتبر اعتداء سافراً على حالة التنوع والتعدد التي امتازت بها الحياة، والتي كانت من أهم حقائق العيش المشترك والتكامل الديمقراطي بين المجتمعات والشعوب. كما أنّ الحدود التي ترسمها وتقدّسها النظم القومية هي حديثة العهد ومصطنعة، ولم تكن بالشكل الموجود كسجن عام وحالة امتلاك . قد تتواجد الأقاليم والمناطق والمدن والقرى الوطنية المركّزة، ولكن الأكثر اعتيادياً هو الخليط وتعدّد الأمم، والتاريخ شاهد على عدد الأقاليم والمدن المليئة بالقبائل والأقوام والأديان والمذاهب، والطرائق التي عاشت متفاعلة ومتداخلة على الدوام، هذا ولم يكن الحديث عبثاً في التاريخ عن بابل المشهورة بالاثنين والسبعين قوماً ولغة، كما أنّ الوطن المشترك للأمم ممكن كثيراً والتاريخ مليء بالأمثلة، فضلاً عن أنّ مفهومي المجتمع النقيّ والأمة النقيّة ليسا علميّين إطلاقاً.

إن حالة العقم بل تعميق الأزمات والقضايا والمشاكل، هي من خصائص أزمة النظام القومي كونه غير قادر لا فكرياً ولا إجرائياً على أي مقاربة صحيحة من المجتمعات والشعوب، كونه لا يعترف بالآخر ولا يريد التشارك معه، ولا يعترف سوى باستسلام الآخرين له ولا يحقق التحولات الديمقراطية المطلوبة في بنية نظامه ودولته، بل المصيبة هي اقتناع الكثير من الناس وحتى حركات التحرر، أن الحرية والديمقراطية والتنمية تكون في بناء الأنظمة والدول القومية، وهذه أكبر مصيبة حصلت، حيث أنّه وبالاستناد إلى ذلك مهما قامت الشعوب والأمم بالثورات والانتفاضات، فإنها في النهاية ستكون في خدمة أنظمة الدول القومية التي تجدّد نفسها بهذه الثورات دون أن تحقق أهداف الشعوب والمجتمعات.

لا شكّ أن حالة احتكار الأنظمة القومية لوسائل القوة المختلفة، وعدم السماح للمجتمع بامتلاك حقّ الدفاع الذاتي الطبيعي والسياسة المجتمعية الديمقراطية، تجعل حالة الاستقرار والسلام غير متوفرة، أو قد يكون هناك سلام مخادع غير حقيقي قابل للانفجار في أي وقت، كون المجتمع ومهما تمّ الضغط عليه في محاولة إنهائه نتيجة حالات القمع والفردية، فسيبقى محافظاً على أنسجته الأخلاقية والسياسية القادرة على الظهور والفعالية، والمقاومة وخلق التأثير اللازم والحفاظ على التنوع والتعدد والحياة المشتركة الحرة والديمقراطية، وإعادة تنشيطها وإحيائها من جديد عندما تسنح وتحين الفرصة والظروف.

يجب فهم وإدراك هذا الواقع الرهيب المتأزّم للنظم القومية، التي شُيّدت بمطلقية وبتزمّت منغلق يفوق النزعات الدينية للعصور الأولى والوسطى ألف مرة، ويظهر أمامنا مراراً وتكراراً في هيئة الفاشية بالتحديد، وبممارساتها

المنتشرة في كل مكان، ذلك أن تشييد الأنظمة والدولة القومية بحدّ ذاته قد حصل دوماً بالحروب والإبادة، بحيث من المحال الإشارة إلى دولة قومية واحدة غير مشيّدة بالحرب والقتل، والأوضح من ذلك، هل بالوسع التحدث عن دولة قومية واحدة ليست في حالة أزمة أو حرب أو نزاع أو توتر دائم مع مجتمعها وتكويناتها داخلياً ومع الدول القومية الأخرى خارجياً؟ والشرق الأوسط شاهد على هذه الحقيقة.

كان المعبود هو الله غالباً، لا غير، وهو بدوره كان الضمير المشترك للمجتمع وهوّيته العليا التي تستوعب كافة الهويات التي تحتها، وكان قد تشكل بشأنه مصطلح قائم بذاته، من خلال صفاته وأسمائه، وربما كان هذا الأصح والأعدل، ولم تظهر عبادة الوطن إلا مع الأنظمة القومية. في العصور التي لم تصبح فيها الكرة الأرضية بعد على شكل دول وقارات، فإن تقديس أسماء الأماكن والأوطان لم يكن يدل كثيراً على حقيقة عميقة، لكن هذا لا يعني أنه لا معنى للمنطقة أو الإقليم أو وطن الأمة أو الأرض التي تعيش عليها الأمة، بل كان لها معناها، ولكن ليس إلى حدّ التقديس، والأمر السلبي هنا هو طغيان المبالغة المتطرفة إلى حدّ مسح حقيقة الوجود الإيجابي مع الأنظمة القومية. بإمكاننا صياغة التفسيرات نفسها بصدد هويات الدول القومية والأنظمة القومية أيضا، مثل العلم، النشيد الوطني، الأمة والتاريخ، وما من ريب في أهمية مكانة الرموز في التواصل والتفاعل والشرح، إلا أن عرضها كوقائع مقدسة مع النظم القومية، لا يتيح إمكانية التحلي بمعرفة سوسيولوجية صحيحة ودقيقة، وعرض كهذا يترك المجتمع الذي سوف يشكله وجهاً لوجه أمام قضايا متفاقمة، علما أنه تركه فعلاً وزيادة عن اللزوم، ومنطق الإنشاء هو المسؤول والمعضل الأساس في ذلك.

الطامة الكبرى تبدأ مع قيام النظام المهيمن **(الرأسمالية العالمية)** عبر أدواتها النظم القومية ودولها، بشكل متداخل بإخضاع الوطن والمجتمع الذي يحتويه، تحت هيمنتها ومحاولة

"قد تتواجد الأقاليم والمناطق والمدن والقرى الوطنية المركّزة، ولكن الأكثر اعتياديا هو الخليط وتعدد الأمم، والتاريخ شاهد على عدد الأقاليم والمدن المليئة بالقبائل والأقوام والأديان والمذاهب، والطرائق التي عاشت متفاعلة ومتداخلة على الدوام، هذا ولم يكن الحديث عبثاً في التاريخ عن بابل المشهورة بالاثنين والسبعين قوماً ولغة، كما أن الوطن المشترك للأمم ممكن كثيراً والتاريخ مليء بالأمثلة"

تركيعهما، إذ كلما فُرض مفهوم التجانس اللغوي والثقافي، تحول الوطن والحدود إلى مكان مقيّد واحتجاز مشدّد للمجتمع، ولكنّ حدودًا صارمة كهذه لا تُرسم لأجل الدول، بل إن صرامة وقطعية الحدود تمثّل قوة نير العبودية المسلّط على ذهن الإنسان وإرادته، وتعبّر كذلك عن تحويل البلد إلى سجن كبير والسجّان هو السلطة القومية، ويمكننا القول إن الحدود الفاصلة إلى هذه الدرجة تفيد باستملاك البشر وتسخيرهم كما يراد، وتبضيعهم وتجييشهم والاعتداء على كرامتهم وإنسانيتهم، فمن دون إيجاد حدود من نمط الدولة القومية يستحيل نزع وفصل الأفراد عن المجتمع وتحويلهم إلى حثالات أو أناس لاحول ولا قوة لهم، ولا يمكن لهذه الوقائع أن تصبح ممكنة إلا بتديين وشرعنة "حدود الوطن المقدس" علماً أنها مناقضة لجوهر الأديان وللحقيقة الجغرافية وللطبيعة التفاعلية والتنوعية للمجتمعات البشرية.

إنّ الدول القومية وأنظمتها المحددة في العالم

والمنطقة وفق مصالح هيمنة حداثة النظام العالمي المهيمن ، والمتميزة بهذا المنطق؛ لا تنسجم مع الوقائع الراسخة الثابتة والكونية من حقائق المناطق والأقاليم والأمم والمدن والقرى، وبالتالي لا مفرّ من عيشها حالة الأزمة وحصول التناقضات والاشتباكات والنزاعات الجادة فيما بينها، ذلك أنها ستظل ضمن تناقض وصَدام مع المضمون الحقيقي لهذه المصطلحات الكونية في كل زمان، نظراً لأنها لم تنشأ على خلفية العدالة والحرية والديمقراطية والتمثيل الصحيح والمعبّر. وعليه تبقى النتيجة البارزة وهي أن أدبيات القرنين الأخيرين بخصوص الدولة القومية وأنظمتها تتحلى بالقدر اليسير من قيمة الحقيقة. إننا في مواجهة سرد ميثولوجي ربما أقلّ معنى من ميثولوجيات العصور الأولى التي لا تولي معاني كثيرة، وربما قيمة الخبر المسكوب من أجل دولة قومية واحدة، أثمن بأضعاف مضاعفة من قيمة جميع الدول القومية. لا ينبغي الاستنباط من تقييمنا للنظم القومية وأزماتها وكأننا ننكر تماماً الدولة والأمة، أو نعتبر وجودهما بلا جدوى، إذ للدولة والأمة معانيهما الأهمية العالية كوقائع منفردة بذاتها، وتحليلهما الدقيق والصائب هو المهمّ، كما أنهما ليستا كيانين سيهدمان أو يجب هدمهما على الفور، بل الخطير في الأمر هو منطق إنشاء الدولة القومية وأنظمتها، ونمط الاستمرار بها والإصرار عليها، ذلك أنها تذكّر دوماً بالحرب والإبادة والتطهير العرقي والشؤم والتعاسة، وبتقليص الحقائق الاجتماعية والإجلال المتطرف والمقدس المبالغ فيه لما لا قيمة له.

تظهر أزمة النظم القومية في كونها أدوات للاحتكار الرأسمالي العالمي ونهب ثروات المنطقة، وهنا يظهر بُعدها الاقتصادي السلبي على المنطقة في كونها أهمّ أداة لنظام الهيمنة العالمية، لتحقيق الربح الأعظمي بدون أي احترام للطبيعية والبيئة والإنسان، وهي ليست في خدمة الإنسان والمجتمع، ولعلّ حالات الفقر والبطالة والهجرة وخاصة هجرة العقول هي من مميزات حالة هذه الأنظمة القومية، ويتجسّد صلب العلاقة بين الدولة القومية والرأسمالية العالمية في فتح البنية الاجتماعية والاقتصادية بمجملها على الاستغلال والتسلط، وبمنوال لا نظير له في مجرى التاريخ، حيث أنّ الدولة القومية بوصفها شكل التحوّل السلطوي والتحكّمي الأقصى، بمقدورها جعل هذا الاستغلال ممكناً.

كما أنّ هذه الأنظمة القومية استهدفت في مسار تحريفاتها وهجماتها، أهمّ قيم المنطقة ومذاهبها وأديانها كالإسلام وغيره، حيث تمّ النظر إلى «الإسلام المستحدث» الذي تم تطويره كظاهرة حداثوية في القرنين الأخيرين، على أنه تقليد أو شريعة، لكن من الأفضل والأصحّ تقييمه ضمن إطار النظم القومية، فإدراك كون هذا الإسلام قد أنشئ كقومية وليس كشريعة دينية، يتّسم بأهمية كبيرة، فهو نموذج مصغّر من القومية الإقليمية، ومهور بطابع الاستشراق والتبعية الفكرية. إنّه ابتكار الاستشراقيين الذين لا علاقة لهم بالحياة والحضارة والقيم الإسلامية، كما أنّه مرتبط عن كثب بتوسّع قوى الهيمنة الأوروبية في المنطقة، وبالهيمنة الألمانية على وجه الخصوص، وبعدها البريطانية، وله ارتباطاته مؤخراً مع الهيمنة الأمريكية في وجه روسيا الاتحادية، لذا؛ من عظيم الأهمية الاستيعاب أنّ الإسلام السياسي المبتكر لا يهتم بالثقافة الإسلامية التاريخية، وأن ثقافة هذا الإسلام قومية تماماً، وأن غاياتها تتمثل في تشتيت المقاومة الثقافية للإسلام، وفي جعل المنطقة خائرة القوى ومنفتحة للتدخل الخارجي وهدفها استخدام واستعمال الدين ومقدسات الشعوب لغرض الوصول إلى السلطة والحكم، وليس خدمة المجتمعات والشعوب، كحال حركات الإخوان الإرهابية وغيرها من تفرعاتها المختلفة من القاعدة وداعش والنصرة وحزب العدالة والتنمية، وما يسمى الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية وغيرها .

الإسلام السياسي أيديولوجية قومية تتماهى مع أوليغارشيات الدول القومية وأنظمتها للقرنين الأخيرين، والدولة التركية في عهد

العدالة والتنمية وأردوغان والجمهورية الإيرانية الإسلامية، تبسّط هذا الواقع بشكل لافت جداً للأنظار. فالإسلام الشيعي من ألفه إلى يائه هو قومية إيرانية وأيديولوجية مهيمنة لتقاليد الإمبراطورية الإيرانية، والتركية الأردوغانية هي قومية تركية طورانية كتقليد للإمبراطورية العثمانية، في مشروع العثمانية الجديدة التي تحاول إعادة احتلال كل شعوب وبلدان المنطقة والبلدان العربية، والاحتلال التركي في سوريا والعراق وليبيا والصومال وقطر ولبنان واليمن وغيرها، تؤكد بعض هذه الغايات.

لكن الإسلام مختلف ومهمّ في آن معاً، سواء كهوية أصيلة عريقة أم كتاريخ، وما لم يُحلّل الإسلام القابع في هذا الواقع في الأنظمة القومية، فمن غير الممكن تحليل وتفكيك ثقافة الشرق الأوسط والأنظمة القومية، والمساهمة في جعلها موضوعاً وأرضية لبعض الحلول. إنها بحر ثقافي هائل ينتظر التحليل والتدقيق وتجديد الخطاب الديني كمهمة عاجلة، ونخصّ بالذكر أن التاريخ الذي يميز بين الإسلام بوصفه عنصراً ديمقراطياً، منذ ولادة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام خصيصاً وحتى يومنا الراهن كإسلام مجتمعي وديمقراطي وأخلاقي، وبين الإسلام باعتباره عنصراً سلطوياً مستعملاً من قبل الأنظمة القومية.

فقدت المنطقة أو الشرق استقلاله الذهنيّ تدريجياً مع الأنظمة القومية ونشوء الدول القومية، وسادت الأفكار الاستشراقية **(الهيمنة الذهنية للمدنية الأوروبية الغربية)**، ودخل النخبويون والمتنورون والمثقفون الشرقيون تحت حاكمية الفكر الاستشراقيّ. ونجحت جميع المشتقات الفكرية للّيبرالية، وعلى رأسها القومية، في الاستيلاء على الذهنية الشرقية، بل حتى إنّ التيار الإسلامويّ الجديد والحركات الفكرية الدينية الأخرى والبعض من التيارات اليسارية وتيارات التحرر الوطنية، تطورت مركونةً إلى القوالب الاستشراقية، ولم تكن حركات الدولة القومية المتنامية مع بدء

تظهر أحد جوانب أزمة الأنظمة القومية في مقاربتها للمرأة، حيث تراها وسيلة لتسويق أفكارها وتصدير الحرية الليبرالية المخادعة والأنانية، وجني الأرباح من وراء تبضيعها، ووضعها في قوالب رسمتها لها العقلية الذكورية التي تجسّد النظام القومي، فلم تعدْ تبحث عن ذاتها بمقدار ما تذهب للبحث عن المساواة بالرجل في رحلة ومسيرة تخدم النظم القومية، وليست المعبرة عن المرأة كحقيقة وكيان ومجتمع

القرن العشرين في مضمونها، سوى تعبير عن مؤسسات عميلة للفكر الاستشراقيّ، أي أنّ مؤسسي الأنظمة والدول القومية لم يكونوا، وما كان لهم أنْ يكونوا، أصحاب فكر استقلاليّ مع ترويجهم الدائم. فجميع الصياغات الفكرية البارزة في الشرق الأوسط خلال القرن العشرين، بما فيها الفكر اليساريّ، كانت مهورةً بطابع الاستشراقية والهيمنة الفكرية الخارجية. ورغم إطلاق تسمية «الحقائق العلمية العالمية» على الأفكار التي جرى تكييفها مع واقع المنطقة باسم علم الاجتماع، إلا أنّ جميعها كانت استشراقيةً في مضمونها، وبطبيعة الحال تستقي الاستشراقية قوتها من دنوّها من الحقيقة بنسبة أكبر بكثير مما هي عليه القوالب الذهنية القديمة، ونظراً لتدنّي مستوى الحقيقة في أفكار ناقدي الاستشراقية مقارنةً مع الاستشراقيين، فقد كانوا عاجزين عن إحراز النجاح والتفوق، ويمكننا قول الأمر ذاته بشأن النخب السلطوية الاستشراقية في المنطقة أيضاً، كـ «تركيا الفتاة» و»جمعية الاتحاد والترقي»، والكماليين

”من الصحيح اتخاذ الكلياتية الديمقراطية والتكامل المجتمعي والثقافي أساساً للتنوير الثقافي والديمقراطي، وتجاوز أزمة النظم القومية من خلال عناصر العصرانية الديمقراطية الثلاثة الأولية (الأمة الديمقراطية والاقتصاد التشاركي المجتمعي الديمقراطي والصناعة الأيكولوجية)، وذلك في وجه الاحتكارية التي طورتها حداثة النظام العالمي المهيمن عن طريق ركائزها الثلاث (الدولة القومية، الرأسمالية، الصناعوية والافتراضية).“

والقوميين العرب وبالأخص البعثيين، والتي كانت تنتهل قوتها من ذهنيّتها الاستشراقية الأقوى نسبةً إلى الذهنيات القديمة. إن هذا الوضع هو الدافع الأوليّ وراء خروجهم من صراع السلطة والاحتكار موفّقين، سواء في الدول العربية أو في تركيا في عهد الملكية الدستورية أم الجمهورية، كما يتعيّن المعرفة يقيناً أنّ الاستشراقية الغربية تشكّل منبع القوة الكامنة خلف نزعة القوموية التركية التي كانت البدء بها في المنطقة كأهم دولة نموذجية وظيفية لها أمة دولتية نمطية متجانسة، جرى تشكيلها عبر الإبادات بحق شعوب ميزوبوتاميا والأناضول، أما السبب وراء قيام النخب السلطوية منذ أمد بعيد بتحويل قبلتها من مكة وأورفا والقدس إلى باريس ونيويورك وجنيف وبروكسل، فهو النجاح والمتانة اللذان حقّقهما الفكر الاستشراقيّ لديها وبريق السلطة والنفوذ فيها، ومع تمكين الأنظمة والدولة القومية، بلغ الفكر الاستشراقيّ أوجَه وبسط احتكاره على كافة الذهنيات الأخرى،إذ لم يبسطْه في الحقل الأيديولوجيّ وحسب، بل وفي المجالات الأخرى من الأخلاقية التقليدية والفنيّة وغيرها من الجوانب الحياتية، ممهّداً السبيل إلى سيادة القوالب الأخلاقية الغربية.

وتظهر أحد جوانب أزمة الأنظمة القومية في مقاربتها للمرأة، حيث تراها في أحسن الأحوال وسيلة لتسويق أفكارها وتصدير الحرية الليبرالية المخادعة والأنانية، وجني الأرباح من وراء تبضيعها، وكذلك وضعها في قوالب رسمته لها العقلية الذكورية التي تجسّد النظام القومي، حيث إنها لم تعدُ تبحث عن ذاتها بمقدار ما تذهب للبحث عن المساواة بالرجل في رحلة ومسيرة تخدم النظم القومية، بتقديم المرأة الشبيه بالرجل وليست المعبرة عن المرأة كحقيقة وكيان ومجتمع، وتقوم الأنظمة القومية بتأطير المرأة ضمن أدوار وقوالب جاهزة، والدفع بحريات زائفة وممارسة الذكورية في كافة ميادين الحياة، لأنه من دون عبودية المرأة واستغلالها لا فرصة لأي شكل عبودي في التطور والحياة في المجتمع، فكل أيدولوجيات السلطة والدولة تستقي أولى مناهلها من المواقف والسلوكيات الذكورية، وعبودية المرأة هي الحقل الاجتماعي الأعمق والمحجوب الذي طبقت عليه شتى أشكال العبودية والقمع والاستغلال. إنها الموضوع الشيئاني والأداتي الاجتماعي الذي جُرّبت عليه جميع أشكال السلطة والدولة، ورأته مصدراً لها، ونظام الحداثة الرأسمالي والدولة القومية هما المعبّران عن حاكمية الرجل وتأسيسها أو مؤسستها.

التعليم في نظام الدولة القومية في المنطقة عامل رئيسي في إيصال إشكالية المجتمع الوطني إلى أقصاها، وبناء مواطن وموظف لدوام استمرار شبكة الدولة ونظامها القومي دون اعتبار لمصالح المجتمع، ويتم اتباع مركزية الدولة لإنتاج المواطن العبد، وهي على الأغلب تتم عبر الأطر الرسمية والمؤسسات من قبيل المدارس والثكنات والجوامع والكنائس والكنسيت والجامعات، ذلك أن تنفيذ حالة النهب والسلب ممكنة بتنميط هوية جميع المواطنين وإنشائها بنحو يتوافق ومآربها، ولا يمكن إدراك الأزمات في نظم التعليم

المتردّي عندنا من دون فهم العلاقة بين نوع التعليم وبناء الدولة القومية. فهذه المؤسسات تنتج كمّاً هائلاً من القضايا والتخبّط. وهذا بحدّ ذاته يعني إفلاس الذهنية وتدهور السلوك. وحتى إنتاج أفراد من سياسيين وإعلاميين ومثقفين ونخب مختلفة وانتهازيين مستعدين لبيع حتى أنفسهم وكرامتهم. مقابل حفنة من الدولارات وبعض المناصب

الصحيح والملاحظ على الأقل بعد مئة عام من عمر الدولة القومية في المنطقة والشرق الأوسط. أنها تعبّر عن نظام تفاقمت فيه القضايا الاجتماعية إلى أقصى حدّ. بدلاً من صياغة الحلول الاجتماعية المناسبة. وليست كما يروّج لها أنها الشكل الأساسي للتنمية والعدالة والديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان. بل هي إنكار لتلك القيم. وتتحمل مختلف التيارات الاشتراكية واليسارية مسؤولية كبيرة عن ذلك التحريف بقدر الليبراليين البرجوازيين على أقل تقدير. وذلك بسبب نظرياتهم وبرامج تنظيماتهم التي شكلوها في هذه الوجهة.

وفي النتيجة لابدّ من نهضة ثقافية وحركة تنويرية ديمقراطية وشراكة حقيقية للشعوب. مع إعداد القيم الثقافية لصياغة التاريخ الثقافي وتفسيره. وصياغة سوسيولوجيا ثقافة المنطقة تتجاوز الآراء الدينوية والقوموية. ومهما كان انتقاد الدولة القومية وأنظمتها أيديولوجيةً وبنيةً أمراً مهماً. إلا أن تقديم بديلها أيضاً وظيفة أهمّ لابدّ منها في ظل مقاربة تنويرية ديمقراطية. مع مراعاة عدد من المبادئ:

1- إن الكلياتية الثقافية والتكامل هي التي ستُرصد وتُصان أثناء تطوير بديل ما. إذ بالمقدور ملاحظة كون الثقافة الاجتماعية قد تشكلت متداخلة وضمن كلياتية متكاملة مجتمعية وديمقراطية في جميع عصور التاريخ. وحالات تطورها ضمن كلياتية متكاملة. تسري على كافة ميادين المجتمع والحياة.

2- تطوير نماذج الحل بمفهوم الهوية الثقافية المرنة والمنفتحة الأطراف والكلية المتكاملة وتحقيق التحول الديمقراطي.

3- تطوير نمط التفكير والتعبير وقوله باعتباره حقيقة والوصول لثورة ذهنية. على أساس استهداف وتجاوز رموز ومقدسات نظم الدولة القومية الخارجة عن الحقيقة. والتركيز على مناهضة التداعيات الاغترابية والاحتكارية للحداثة المفروضة تأسيساً على التضاد مع ثقافة المنطقة.

ومن الصحيح اتخاذ الكلياتية الديمقراطية والتكامل المجتمعي والثقافي أساساً للتنوير الثقافي والديمقراطي. وتجاوز أزمة النظم القومية من خلال عناصر العصرانية الديمقراطية الثلاثة الأولية (الأمة الديمقراطية. الاقتصاد التشاركي المجتمعي الديمقراطي. الصناعة الأيكولوجية). وذلك في وجه الاحتكارية التي طورتها حداثة النظام العالمي المهيمن عن طريق ركائزها الثلاث (الدولة القومية. الرأسمالية. الصناعوية والافتراضية). فمن المحال تخطي حالات التبعية والاغتراب والتجزّؤ والتبعثر المفروضة على ثقافة المنطقة. طيلة تاريخ المدنية عموماً وفي القرنين الأخيرين للحداثة بأعلى نسبة. إلا بالبنى المتكاملة وتعابير الحقيقة وبالعلمية المجتمعية الحديثة. وإنجاز الحياة التشاركية التي تمكّن وجودنا التاريخي وإرساء دعائمها في كافة الحقول الاجتماعية. يتصدرها تنظيم ومأسسة الحقل الاقتصادي مع الفيدراليات الديمقراطية والإدارات الذاتية. كمؤشرين على تنظيم ومأسسة الحياة السياسية والدبلوماسية لمجتمعات وشعوب المنطقة. في إطار تكامل ووحدة طوعية وكلياتية ثقافية لكل المنطقة والوصول لكونفدرالية الشرق الأوسط.

قضية الكُرد واستعصاء الحل

عواس علي

بداية لا أقصد من هذا البحث المختزل إظهار الكرد كشعب يتغنّى بماضٍ مجيد، كما هي شعوب الشرق الأوسط التي تعيش تحت نير الظلم والاضطهاد سواء من قبل الحكومات ذاتها أو من قبل دول خارجية سلّطت تلك الحكومات على شعوبها، وتغفو تلك الشعوب حالمة بالماضي المجيد وتفتخر بعظام الأجداد البالية، ومن غير المهم إن كان الميتانيون أو الاخمينيّون أو الآشوريون أو الفراعنة هم من اكتشفوا العربة ذات العجلات (حدّثني عمّا أنت عليه الآن) ففي النهاية جميع الإنسان من منبت واحد، والفخر يعود للجميع، ولا يحق لأحد أن يفتخر بإبداعه على أحد. وربما تكمن الاستفادة من هذا البحث، من خلال كشف الستار عن الواقع الحقيقيّ للعالم الذي أضحى مكشوفاً للعيان بكلّ تفاصيله،

وباتت دول محدودة تتحكم بمصير العالم عبر ما يُدعى بالعولمة، وإن كان للعولمة إيجابياتها، فهي أيضاً تخفي في أحشائها سلبياتها، فبات من السهل استجرار أيّ شعب بالاتجاه التي ترغبه الدول المسيطرة على وسائل العولمة، خاصة الإعلام الهادف، فمن السهل اعتبار حكومة دكتاتورية حكومة شرعية، واعتبار حكومة قانونية شعبية دكتاتورية، وبات من الصعب على أي محلل سياسي الدنو من تحليل واقعة ما دون اللجوء إلى إبعاد العولمة وتأثيراتها عن تلك الواقعة.

يعتبر الكُرد من أكثر الشعوب على الأرض عدداً، ورغم ذلك لم تنل حقوقها في العصر الحالي، حيث يبلغ تعداد الكرد ما يُقارب ٤٠ مليون في إحصائيّة ما قبل ثلاثين عاماً، ومن الحقائق التي تفند ادعاءات الدول الضامنة لحقوق الانسان وعلى قمتها منظمة الامم المتحدة، وقد نجد مثيلا للكُرد شعوباً في القارة الافريقية التي مازلت ترضخ تحت الاستعمار المباشر، والحقيقة المطلقة أن الدول التي ادعت الاستعمار بداية كانت تتستر تحت عباءة هذا المسمى الذي انحرف عن معناه الحقيقي " الأخذ بيد الدول الضعيفة و إعمارها" والتحوّل إلى مسمّى يقصد به الاحتلال الذي يراعي مصالح تلك الدول.

بلاد الكُرد: تقع كردستان بين درجتَي العرض ٣٤ و٣٩ ودرجتَي الطول ٣٧ و ٤٦ والمساحة الكلية لكردستان تُقدّر بـ ٤٠٩٠٠٠ كيلو متر مربع، مقسّمة بين أربع دول، وتحتلّ تركيا الجزء الأكبر، ثم إيران والعراق وسوريا.

لابدّ من ذكر كردستان الحمراء التي تقع ضمن جمهورية أذربيجان وهي منفصلة عن الأجزاء الاربعة المتصلة بعضها ببعض.

تبلغ مساحة كلّ جزء كما يلي:

تركيا ١٤٩٠٠٠ كيلو متر مربع

إيران ١٢٤٠٠٠ كيلو متر مربع

العراق ٧٢٠٠٠ كيلو متر مربع

سوريا ٣١٠٦٨٣ كيلو متر مربع

كردستان الحمراء ٦٢١٠ كم مربع

في الحقيقة كردستان الحمراء مهمّشة من تاريخ الكرد، وربما السبب هو أن الأحزاب الكردية أكثرها ذو نهج ماركسي لينيني، وليس من المعقول اعتبار رأس الهرم في الشيوعية دولة مضطهدة للشعوب كونها كانت منارة للشعوب المضطهده، غير أنّ الحقيقة مغايرة لذلك تماماً، وسنتطرق إلى مصير الجمهورية الحمراء إبّان العهد الستاليني، ولابدّ من كشف الستار عن الجرائم التي تمّ ارتكابها من قبل حكومة ستالين بحق الكرد.

حقيقة الكُرد: من المؤسف أنّ معظم الدارسين لتاريخ الكُرد أرادوا طمس تاريخهم، وخاصة المؤرخين من البلدان التي تحتل بلاد الكرد، فنجد أنّ المؤرّخين العرب يردّونهم إلى أصول عربية عبر تفسيرات سفسطائية لا معنى لها البتّة، فنجد المؤرخ الراغب الأصفهاني والمسعودي في (مروج الذهب) يردّان أصولهم إلى الجن، والنبي سليمان، والقديس الإمام الصادق طلب من قومه عدم مخالطة الكرد كونهم من الجن. والمؤرخون الفرس لم يكونوا أكثر موضوعية من المؤرخين العرب، وكذلك الاتراك الذين اعتبروهم أتراك الجبال، وربما كان المؤرخون الأوربيون والمستشرقون منهم أكثر موضوعية من غيرهم، فنجد بعضهم سرد تاريخ الكُرد كما رآه على الواقع، ونكاد لا نجد مؤرخاً لجأ إلى التاريخ الموضوعي،الأنثروبولوجيا (علم الاجناس) أو علم الأنثربولوجيا الفيزيائية (علم يعتمد على السجل الاحفوري لتطور البشر) لدراسة تاريخ الكُرد، ومن المؤسف أنّ جلّهم نسب التاريخ الكردي إلى الفرس، بعضهم عن دراية، وبعضهم عن جهل عدم التفريق بين الكُرد والفرس، على الرغم من أنّ هيرودت الصقلي اعتبر اللغة الكردية أقدم من اللغة الفارسية، والفارسية مشتقة من اللغة الكردية، ومن المؤسف أن نجد

المؤرّخين الكرد يبحثون عن أصول الكرد خارج بلاد الكرد على الرقم من تطور الدراسات التي تؤكّد على وجود شعب أصيل وجد في تلك البقعة من الأرض، سواء عن طريق التفسيرات المعتمدة على الكتب السماوية أو الدراسات العلمية.

الجغرافية السياسية لكردستان: إنّ موقع كردستان الجغرافي بين أربع دول، وتلك الدول ذات أهمّيّة من الناحية الجيوسياسية بالنسبة لدول القوى العظمى، جعل من جغرافية كردستان سبباً في صعوبة حلّ القضية الكردية عالمياً، فالدول العظمى تسعى إلى تحقيق مصالحها عبر تلك الدول المحتلة لكردستان، وخاصة الأهمية الاستراتيجية الاقتصادية لجغرافية كردستان، فمعظم حقول النفط تقع ضمن أجزاء كردستان المحتلة، ممّا دفع الدول العظمى إلى استرضاء الدول المحتلة لكردستان، مقابل حصولها على ما تريده من حكومات تلك الدول، وفي حال نشوب صراع بين الدول العظمى وإحدى الدول المحتلة لكردستان نجد أنّ الدول العظمى تغض النظر عن الوجود الكردي بتلك الدولة استرضاءً لباقي الدول المحتلة، وخاصة إبّان الحرب الباردة بين أميركا والاتّحاد السوفيتي.

نظرة عامة على واقع المجتمع الكردي اجتماعياً:
ربما مقولة ليس للكرد أصدقاء سوى الجبال لم تُقَل جزافاً، ويعني بها الكرد أنّ الجبال وحدها القادرة على حماية الكرد من أعداءهم، والحفاظ على وجودهم، فالمجتمع الكردي لم يتعرض للذوبان في بوتقة الحكومات التي أرادت أن تجعل من الكرد شفرة الاستنساخ القومي لتلك الدول الطامعة في فرض القومية للدولة المحتلة على الكرد، لكنّ الشفيع الوحيد للكرد كانت الجبال التي يقطنها الكرد، فمن خلال نظرة بسيطة نجد أول من بدأ في فرض القومية للدولة المحتلة لبلاد الكرد على الكرد هو كمال أتاتورك الذي يعتبر نفسه جدّ الأتراك، فبعد تنصّله من الوعود التي وعد بها الكرد، وإبرام اتفاقية لوزان، فنجده وقف عاجزاً أمام الكرد القاطنين الجبال، وبعد حرب طاحنة خاضها ضد الكُرد، فحاول جاهدا

> **باتت دول محدودة تتحكم بمصير العالم عبر ما يدعى بالعولمة، وإن كان للعولمة إيجابياتها، فهي أيضاً تخفي في أحشائها سلبياتها، فبات من السهل استجرار أي شعب بالاتجاه التي ترغبه الدّول المسيطرة على وسائل العولمة، خاصة الإعلام الهادف، فمن السهل اعتبار حكومة دكتاتورية حكومة شرعية، واعتبار حكومة قانونية شعبية دكتاتورية، وبات من الصعب الدنو من تحليل واقعة ما دون اللجوء إلى إبعاد العولمة**

استجرار العائلات الكردية المعروفة بانتمائها وولائها للقومية الكردية إلى عمق الدولة التركية، وفرض اللغة التركية ومنع التحدث باللغة الكردية في الدوائر العامة والمدارس، وكان مثاله الأعلى؛ السلطان عبد الحميد الذي أجبر عائلة بدرخان على الإقامة في اسطنبول ليسهل عليه مراقبة تحركاتهم، ونجد أنّ حقبة أتاتورك قد امتدت حتى نهاية القرن العشرين، بقدوم أردوغان إلى الحكم، فحاول أردوغان أن يميل عن نهج الأتاتوركية، فسمح باللغة الكردية وكانت هناك إدارات شبه كردية في المناطق الكردية غير أنه سرعان ما تراجع عن نهجه، وعاد إلى نهج الأتاتوركية، ومن خلال إلقاء نظرة إلى واقع المجتمع الكردي في تركيا نجد أنّ الكرد أشدّ تعصّباً للإسلام من الأتراك، وما زالوا يحذون حذو الدولة العثمانية التي كانت تجمع قوميات عدة تحت راية الإسلام السياسي، ونجدهم لا يفكرون بالقومية بالقدر الذي يفكرون في الأمة الإسلامية، ولا يعترضون على ممارسات الحكومة التركية اتجاه الكرد، ويكتفون بأنّ الدولة الحاكمة

هي دولة مسلمة، وكلّ من يخرج عن طوعها فهو كافر، ونجد أنّ اردوغان سار بهذا الاتجاه بعد تحليله المجتمع في تركيا سواء الكردي أو التركي وقد استفاد من استقطاب المجتمع التركي والكردي تحت مسمّى الإسلام، ونهج منهجاً بعكس ما تنتهجه الأحزاب الكردية التي تدعو إلى العلمانية، والابتعاد عن الإسلام السياسي الذي استفاد منه أردوغان، وربما كانت هناك دراسة خاطئة من قبل الأحزاب الكردية للمجتمع الكردي، فلم يرد في حسبانهم أنّ المجتمع الكردي الميال للإسلام السياسي، في ظاهره دون الإلمام بالحقائق المتخفّية خلف ذلك الإسلام، ممّا جعل شرخاً بين تلك الأحزاب والمجتمع، وربما من الخطأ النظر إلى مجتمع متشرذم من خلال منظار واحد، ويتوجب النظر إلى ذلك المجتمع من خلال أفكار وأيديولوجيات عدة بما فيها الإسلام السياسي، لاستقطاب المجتمع تحت مظلة واحدة تمثّل جميع الشرائح، فنجد أنّ الحكومات التركية استطاعت أن تستقطب شريحة واسعة من المجتمع الكردي تحت مظلة الإسلام السياسي المعادي للعلمانية، فنعتت الحكومات التركية المتعاقبة الأحزاب الكردية السياسية بالكفر والزندقة، ونجد أن شريحة واسعة من المجتمع الكردي تتقارب مع التفكير المسيطر على القومية التركية التي تعتبر نفسها حاملة راية الخلافة الإسلامية، والمتمعّن في المجتمع الكردي في تركية يجد ثلاث شرائح من الكرد، الكرد الذين دخلوا بوتقة الأتاتوركية وأصبحوا يعتزون بتركيتهم، وحتى أنهم يخجلون من الانتماء إلى القومية الكردية، وأتوقع تعدادهم يفوق الثلث من تعداد الكرد، وجلّهم من المثقفين والتجار والعائلات الأرستقراطية، والكرد الذين لا يعارضون، ولا يخفون كرديتهم، لكنهم يطالبون بالعيش تحت مظلة العلم التركي، والقومية التركية، والحكومة التركية، وأتوقع تعدادهم يقارب الثلث، واكثرهم من صغار الكسبة والموظفين والمستفيدين، ويبقى لدينا ما يقارب الثلث، وهم القاطنون في المحافظات الشرقية الواقعة بين الجبال، وهم من مربي الأغنام والمزارعين، ويؤلفون مجتمعاً قبليّاً متماسكاً ومتعصّباً للقبيلة ومن ثمة القومية، ومحافظون على لغتهم الأم وثقافتهم الاجتماعية، وعاداتهم الكردية الأصيلة، لكنّهم مصابون بالإحباط واليأس من خلال ما تعرّضوا له من قتل وتدمير على أيادي السلطات التركية، وهكذا نجد أنّ الحكومات الأتاتوركية المتعاقبة استطاعت أن تجعل المجتمع الكردي في تركيا، مجتمع يأس متشرذم يفتقد التماسك والتجانس، وهذا الواقع ينعكس بشكل واضح وجليّ على صعوبة استقطاب الكرد تحت مظلة واحدة.

يضاف إلى تلك الأسباب، الاستنبات القسري الذي سيطر على المثقف الكردي الذي وجد نفسه أمام تطور هائل، ومرعب، أثناء انتقاله من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب حيث المجتمع الذي تجاوز كلّ ما كان يحرمه عليه المجتمع الكردي المحافظ بين جباله، بالإضافة إلى الثقافة التركية التي تلقّاها في المدارس، ممّا ولد مثقفاً منسلخاً عن المجتمع الكردي، يعتزّ بالقومية التركية ولغتها، ممّا خلق برجوازية صغيرة مرتبطة مع الدولة المحتلة، وخاصة أنّ الطبقة الإقطاعية الكردية كانت قد هيئة الأرضية لتلك الفئة من البرجوازية الصغيرة التي انبثقت من رحم الإقطاع دون الانقلاب على تلك الطبقة الإقطاعية.

ويضاف إلى ذلك انتقال العالم من مرحلة الكفاح المسلح إلى الكفاح الفكري، جعل الأحزاب الكردية التي كانت تنادي بالكفاح المسلح متخلفة عن مواكبة التطور الهائل من العلوم والتكنولوجيا، فتحوّلت تلك الأحزاب تحوّلاً قسرياً من الثورية إلى النضال السياسي، مع الحفاظ والبقاء من حيث المضمون على النهج والفكر العسكري، فكان التحوّل تحوّلاً من حيث الشكل والحفاظ على المضمون، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وفشل النظرية الماركسية في تحرير الشعوب المضطهدة، وفشل نظرية الاقتصاد الاشتراكي الذي اعتبر بؤرة للبيروقراطية والفساد الإداري على مستوى جميع الدول الاشتراكية.

هذه حقيقة المجتمع الكردي في الجزء المحتل من قبل تركيا، وليست الأجزاء الأخرى أفضل حالاً منه.

ففي إيران الخمينية استطاعت الحكومة الخمينية أن تحول المجتمع الإيراني إلى مجتمع متعصّب إلى مذهبته، والعمل من أجل نشر المذهب الشيعي الذي اتّخذته كأيديولوجيا لجهادها، من أجل تحويل العالم كلّه إلى عالم إسلامي شيعي يطالب بالثأر للحسن والحسين من السنة، واستطاعت الحكومة الخمينية أن تجعل من نفسها مرجعاً لجميع الشيعة في العالم، عبر تقديم الدعم المادي لجميع فروع حزب الله في العالم، ممّا حوّل المجتمع الإيراني إلى مجتمع يبحث عن لقمة العيش فلا يجدها، وكان ذلك على حساب المواطن الإيراني، وبذلك استطاعت أن تشحن المجتمع الإيراني ضد المجتمع الكردي ذي المذهب السني، وجعلت المجتمع الكردي مجتمعاً محاصراً من كل الجهات، وتركت البوابة الوحيدة مع جارتها الحكومة التركية التي لا تتوانى عن التعاون المستمر معها، من أجل تحليل المجتمع الكردي ضمن بوتقتها القومية، وملاحقة كل من يتقرب من القومية الكردية أو يعمل لأجلها، والحكم عليه بالإعدام، ونكاد نجد أنّ القضية الكردية في إيران مهمّشة حتى على المستوى الإعلامي الكردي، وربّما يعود السبب إلى قدرة الحكومة الخمينية على استجرار الأحزاب الكردية إلى شباك مصالحها، وبناء علاقات مع الجزء الذي يعتبر الام للقضية الكردية، لكنّه في الحقيقة تنازل عن القضية الكردية لدول عدة من ضمنها دول محتلة لأجزاء من كردستان، وربما كان الحلم الكردي الذي بناه على ذلك الجزء المحرر آمال عدة، لكنه في النهاية تفاجأ من موقف الحكومة التي تترأس ذلك الجزء، وظهرت على أنّها حكومة لا تتعدّى المصالح العشائرية الضيقة، فالحزبان في إقليم كردستان ليس إلا ممثلَين لأكبر عشيرتين في الإقليم، يتبادلان المصالح مع الحكومة الإيرانية التي لا تتوقف عن إعدام كلّ من يتطرق إلى القضية الكردية.

يكاد المجتمع الكردي في جزء كردستان المحتلة من قبل إيران لا يختلف عن وضع المجتمع في تركيا، إلّا أنّه لم يتعرّض للانحلال في بوتقة القومية الفارسية، وما زال يحافظ على ثقافته الكردية في الحد الادنى من الإمكانيات المتاحة، ويناضل ضد الحكومة الخمينية. وإن كان نصيبه من الثروات قليلاً، لذلك لا نجد له أهمية على المستوى الدولي وحتى الأحزاب الكردية.

إقليم كردستان العراق: هذا الجزء يعتبر من الأجزاء الكردستانية التي لم تهدأ البتّة في نضالها الدؤوب من أجل الحرية، من بداية الاستعمار البريطاني للعراق وحتى ظهور حزب البعث، وأشدّ ما تعرض له هذا الجزء من مجازر في مرحلة حكم صدام حسين، كان الهدف منها القضاء التام، والتصفية التامّة للشعب الكردي في هذا الجزء، لكنّ الظروف الدولية والعواصف الأمريكية أطاحت بصدام حسين، ممّا هيّأ لتحرير ذلك الجزء من تحت سيطرة الحكومة العراقية الدكتاتورية، وربما كان الدعم الأميركي لهذا الجزء جاء من خلال ما يتمتع به هذا الجزء من ثروات، ما جعله ذا أهمّيّة استراتيجية بالنسبة للدول العظمى، ومع ذلك جاء موقف حكومة الإقليم مخيباً لآمال الكرد كقومية، فكان الأمل معقوداً على تلك الحكومة في توفير الدعم المادي والمعنوي للكرد في الأجزاء الأخرى، غير أنّ الحكومة التي تحولت إلى حكومة عشائرية ترعى مصلحة العشيرتين الأساسيتين في الأقليم: عشيرة البرزانية وعشيرة الجلالية، ونجدها دارت ظهرها للقضية الكردية.

الكُرد في سورية: إنّ الجزء التابع لسورية من كردستان تم اقتطاعه في عهد الاحتلال الفرنسي وفق اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ عقب نهاية الحرب العالمية الأولى، كما تم اقتطاع أجزاء من سورية والحاقها بتركيا، والحقيقة عاش الكُرد في سورية في مرحلة ما قبل ظهور حزب البعث، وأفكار جمال عبد الناصر في كنف بلاد تضمّ أثنيات عدة، ولم يكن هناك ما يدعو إلى الصراع القومي أو الطائفي في ذلك البلد حتى أنّنا نجد أنّ الكرد قد تبؤوا مناصب عدة على مستوى رؤساء للدولة، منهم الشيشكلي وحسني الزعيم،

وحسني البرازي، وشارك الكُرد في التصدي للاستعمار الفرنسي في بدايته، بقيادة الشهيد يوسف العظمة الذي تم اغتياله على أيدي خونة سوريين تظاهروا في مشاركته للتصدي للاحتلال الفرنسي، ثم تلاه بعد ذلك إبراهيم هنانو، وأحمد برافي.

لم تظهر التفرقة بين المكونات السورية على الرغم من اقتراحات عدة جاءت على أساس التغيير الديموغرافي لشمال سورية، إلا في زمن الوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ وظهرت بوادر قومية شوفينية تم طرحها من قبل جمال عبد الناصر على أساس تشكيل وطن موحد للأمة العربية، فكان من نتائجه الإحصاء ضد الكرد في سورية عام ١٩٦٢ جاء على إثر دراسة أعدّها الملازم محمد طلب هلال عن الكرد في شمال سورية، وهي دراسة عنصرية بحته، فتمّ تجريد ما يقارب من ١٥٠ ألف كردي في منطقة الجزيرة من جنسيتهم، ثم تلاها الحزام العربي بقيادة حزب البعث عام ١٩٧٤ وبموجبه تم انتزاع أراضي الكُرد، وتمليكها العرب المغمورين في بحيرة سد الفرات بالطبقة بطول ٢٧٥ كم وعمق ١٥ كم، وبذلك اشتعلت فتيلة الحقد بين الكرد والعرب وإثارة الفتن، وتم توجيه الأحزاب الكردية باتجاه النضال من أجل حقوق الكُرد، فتشكل مجموعة متعصّبة قوميّاً ضد ممارسات التعصّب والعنصرية البعثية العربية، وبذلك تشكل شرخ ضمن المجتمع السوري، وطالت الاعتقالات مجموعة من المناضلين الكرد، منهم رؤساء أحزاب، وأفراد، وبدأ رجال الأمن بمطاردة الكُرد، وبدأ الشرخ يتّسع ضمن المكونات السورية، فظهرت تيارات شوفينية عدة سواء بين الكُرد أو العرب، وتوّج بحركة الإخوان المسلمين التي حاولت استنهاض السنة ضد العلوين، فتم على إثرها إبادة مدن بحالها، وضاقت السجون بالمعتقلين، وتم البطش بكل من تقرب من الإخوان أو حتى رجال الدين منهم المعتدل،وبذلك تمت مصادرة الحريات العامة، وتطبيق الأحكام العرفية على أصولها، وبقي الحال على ما هو، حتى ظهور ما يدعى بالربيع العربي الذي امتد إلى سورية، فكانت البداية التحضير لحركة شعبية سياسية تطالب برفع الأحكام العرفية والتعدّدية السياسية، ومن المؤسف شرعان ما تحولت إلى حركة عسكرية مسلحة عبر التدخلات الخارجية، سواء من قبل تركيا أو إيران أو روسيا، وتم اعتقال كلّ المعارضين الحقيقيين، وحرف الثورة إلى ما يحقق أجندات خارجية، كانت البداية من محافظة الرقة، فتم اعتقال جميع المعارضين العلمانيين على أيادي لواء أحرار الشام المدعوم من قبل تركيا وقطر، وعلى إثرها تمّ اطلاق سراح جميع الموقوفين من فصيل منظمة القاعدة لدى الحكومة السورية، وتوجههم إلى المناطق الساخنة، وباعتبارهم معتقلين سياسيين كان لهم أفضلية القيادة، فتظاهروا بداية باللين حتى سيطروا على زمام الأمور في تلك المناطق، وسرعان ما تحوّلوا إلى تنظيم داعش بعد انشقاق مجموعة من تنظيم جبهة النصرة الموالية لمنظمة القاعدة، فكان التباعد التام بين المعارضة السياسية والعسكرية، وسرعان ما أجبرت المعارضة السياسية التي تفتقر إلى برنامج سياسي إلى اتّباع خطوات المعارضة العسكرية التي استجرّتها إلى مستنقع المصالح الدولية، فبدل أن تستند إلى القوى العربية راحت تستند إلى السلطات التركية، ووضعت نفسها في خدمة الحكومة التركية الإخوانية، وعبر لجوء النظام في سورية لطلب العون من الحلفاء استطاعت روسيا تقوية نفوذها في سورية إلى جانب إيران، والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا لم تلاقِ المعارضة الدعم من أوربا وأميركا، وكان دعما خجولاً، الحقيقة الذي كانت عليه بداية الثورة السورية هو ما جعل أوربا وأميركا يبتعدون عن دعم المعارضة، كانت الثورة السورية قد بدأت تخرج من الجوامع وشعارها: الله أكبر والمطالبة بنظام حكم إسلامي، والغرب المتخوف من الإسلام راح يرقب الثورة وشعاراتها، فظهرت جبهة النصرة وأحرار الشام، ثم توّجت بتنظيم الدولة الإسلامية، والمعارضة المترقبة لدعمها هي تعلم علم اليقين أنّها لن تحظى بالدعم لطالما هي على ذلك النهج ويبدو أنّ الغرب توصّل إلى حقيقة مفادُها أنّ حكم بشار الأسد ليس له بديل من

ضمن المعارضة، فنجده تراجع عن المطالبة بإسقاط النظام، واكتفى بالتنديد، وحتى الدول العربية راحت تنحو ذات المنحى وربما الحقيقة، في بعض الأحيان ظهرت المعارضة بمظهر أسوأ من النظام من خلال برامجها السياسية المقطورة خلف العسكرة، خاصة من خلال تعاملها مع الملف الكردي، فبدل من احتواء الشعب الكردي ضمن المعارضة، ووضع برنامج يتضمّن حقوقه كشعب، راحت المعارضة تتبنّى مفهوم الحكومة التركية وتعاملها مع الملف الكردي، ومن المفارقات العجيبة أنّ المعارضة احتوت الأحزاب الكردية المطالبة بالانفصال، وراحت تنعت من يطالب بالحفاظ على وحدة سورية بالانفصالي، وذلك بناء على برامج ومشاريع تمّت صياغتها من قبل الحكومة التركيّة.

المعضلة الكردية وصعوبة الحل: تعتبر قضية الكرد في الشرق الأوسط معضلة حقيقية تنعكس آثارها على الأمن القومي والاستقرار العام في الشرق الأوسط، فلا يمكن للشرق الأوسط أن ينعم بالسلام دون حل القضية الكردية حلاً شاملاً وعادلاً في الشرق، فاقتسام كردستان بين أربع دول يجعل تلك الدول مهدّدة بشكل دائم وأبدي، ويخلق مجتمعاً مشرذماً ضمن الدولة الواحدة، ولا يمكن أن تسيطر تلك الدول، وتفرض سيطرتها على كامل جغرافيتها السياسية طالما هناك جزء من شعب تلك الدولة يشعر بالغُبن، وهناك من يطالب بحقوق ذلك الشعب، وذلك ما يخلق فجوة لكل دولة ترغب في زعزعة الاستقرار في أي دولة مستعمرة لجزء من كردستان، وخير مثال ما مر عبر التاريخ بين الحكومة الإيرانية والعراقية، فنجد أنّ الحكومة العراقية تنازلت عن المطالبة بالخليج العربي مقابل إيقاف الدعم الذي كانت تقدمه الحكومة الإيرانية للكُرد الثائرين ضد الحكومة العراقية، ومتكالبين على حقوقهم كحكم ذاتي، وسرعان ما عادت الحكومة العراقية في عهد صدام حسين وطالبت بالخليج العربي الذي اعتبر مقايضة بين إيران والعراق، ممّا خلق حرباً دامت لسنوات عدة تم فيها تدمير الاقتصاد العراقي والإيراني، وزعزعت الاستقرار في تلك الدولتين كذلك الحكومة السورية التي احتوت حزب العمال الكردستاني المطالب باستقلال كردستان الواقعة تحت سيطرة تركيا، ممّا خلق أزمة بين الدولتين، يضاف إليها تدمير الاقتصاد التركي عبر خوضها حرباً ضد حزب العمال لسنوات عديدة، كانت محصلته خسائر بالأرواح والعتاد والاقتصاد، وما زالت تلك الحرب مستمرة، ولا يمكن أن تتوقف تلك الحرب إلّا بعد إيجاد حلّ للقضية الكردية في تركيا التي أشرف اقتصادها على الانهيار من جرّاء محاربتها الكرد، ويمكن أن نجد أن حزب العمال الذي عدل عن المطالبة بالاستقلال إلى نهج قائده عبد الله أوجلان الذي طرح مفهوم الأمة الديمقراطية الذي يتضمن نظاماً فيدراليّاً في الدولة الواحدة يضم مكوّنات عدة على أساس التعايش المشترك بين تلك المكوّنات على أساس فيدرالي ضمن الدولة الواحدة، والحقيقة لا يمكن أن تنعم تركيا بالاستقرار والأمن من دون إيجاد حل شامل للقضية الكردية، وذلك ينعكس على الدول المستعمرة لكردستان، فستبقى تلك الدول مهددة في أمنها واستقرارها واقتصادها، لطالما هناك فجوة بين صفوف شعبها يمكن لأي دولة أن تتسلل من خلاله وتعبث بأمنها واقتصادها، والحقيقة أنّ الازمة الخانقة التي تعيشها تركيا سببها القضية الكردية.

والحقيقة التي تختفي خلف عدم وجود الاستقرار والأمن في سورية في عهد النظام وحتى عهد الثورة السورية عام ٢٠١١ هو عدم التعامل مع القضية الكردية في سورية بالطريقة الصحيحة، وعدم البحث عن الحل، فبدل الحل نجد النظام البعثي تعامل مع القضية الكردية على أساس عنصري وشيوفيني، ممّا أجج الصراع بين الكرد والحكومة البعثية، ومن المؤسف أن المعارضة نهجت نهج النظام البعثي، وراحت تغزل على مغزلة «بلاد العرب أوطاني» بالرغم من أنّ بلاد العرب رفضت أن تستقبل لاجئاً سوريّاً واحداً، ونجد أنّ الحريري الذي يتزعم الائتلاف السوري المعارض هو ذاته حفيد محمد طلب هلال، ولا يكاد أن يختلف عنه بشيء في عنصريته وشوفينيّته.

”موقع كردستان الجغرافي بين أربع دول، وتلك الدول ذات أهمّية من الناحية الجيوسياسية بالنسبة لدول القوى العظمى، جعل من جغرافية كردستان سبباً في صعوبة حل القضية الكردية عالمياً، فالدول العظمى تسعى إلى تحقيق مصالحها عبر تلك الدول المحتلة لكردستان، وخاصة الأهمية الاستراتيجية الاقتصادية لجغرافية كردستان، فمعظم حقول النفط تقع ضمن أجزاء كردستان المحتلة، مما دفع الدول العظمى إلى استرضاء الدول المحتلة لكردستان“

والبعض يبحث عن التقارب بين المعارضة والإدارة الذاتية وهو ضرب من ضروب الخيال، فلا يمكن أن يوجد ذلك التقارب بوجود العقلية الشوفينية التي لا تعترف بوجود الطرف الآخر، فشيخ المعارضين السوريين هيثم المالح يصرّح بأن الكرد تعوّد أصولهم إلى قبائل عربية، وهم ليسوا سوى نوع من أنواع الجن، وليس لهم وجود في سورية، يضاف إلى ذلك أنّ المعارضة السياسية لا تمتلك على الأرض السورية أيّ أرضية أو مؤيدين، وهي تستظل في ظل الكتائب المسلحة التي لا تقتاد بها أبداً، وتكاد لا تعترف بوجودها.

الكرد والسياسة الدولية: يأتي في أول الأسباب التي لم تجعل القضية الكردية قضية دولية وقوعها وتجزئتها بين أربع دول ذات أهمية استراتيجية بالنسبة للدول العظمى، فدائماً كانت خسائر الكرد في معاركهم استرضاء للدول المحتلة لكردستان، من الثورات في الجزء المحتل من قبل تركيا إلى مهاباد مروراً بثورة المرحوم الملا البرزاني كان فشل تدويلها يعود إلى استرضاء القوى العظمى في العالم للدول المستعمرة لكردستان، خاصة في عهد الحرب الباردة بين تياري القوى العظمى؛ حلف وارسو وحلف الناتو، فكلا القطبين كانا في سباق لاستمالة الدول المحتلة لكردستان على حساب القضية الكردية، وظهرت مقالة «حق الشعوب في تقرير مصيرها» ليست إلا مقالة تأخذ بها الدول العظمى وفق مصالحها، ويضاف إلى ذلك موقع كردستان بين أربع دول محتلّة لها، جعل النزاع بين أحد هذه الدول وأي دولة عظمى يرجح الميزان إلى استرضاء الدول المحتلة الباقية، فنجد بالرغم من الصراع بين إيران والولايات الأمريكية المتحدة، يجعل هذه الأخيرة تغضّ النظرعن الخروقات والإعدامات التي ترتكبها إيران بحق الكرد استرضاء لتركيا الحليف الأقوى في الشرق الأوسط، وبعد انتهاء الحرب الباردة نجد ظهور روسيا كقوى عظمى هي الأخرى تغضّ النظر عن القضية الكردية؛ أملاً في استمالة أحد الدول المحتلة لكردستان طمعاً في كسبها كحليف لها، كل تلك الصفقات تجري على حساب القضية الكردية، وليست بالبعيدة عن ذلك أوربا التي تقودها بريطانية وألمانيا وفرنسا، نجدها دائماً تكتفي بالتنديد والاستنكار حسب ما تتطلبه مصالح تلك الدول، فالعلاقات التجارية بين تركيا وألمانيا جعلتها ملجومة أمام الانتهاكات ضد الكرد في تركيا، وكذلك في إيران، والعراق وسوريا، والحقيقة التي تكشفت في ظل العولمة التي عرت كل الدول وبانت على حقيقتها، فالقانون الإنساني ليس إلا شعاراً يرفع حسب ما تتطلبه مصالح القوى العظمى، حتى أوربا باتت تحت إبط الولايات الأمريكية المتّحدة، ولم تعد قادرة على الخروج من تحت إبطها، وربما كانت البداية من مشروع الماريشال الأمريكي عقب الحرب العالمية الثانية التي خرجت فيه أوربا منهكة فاستنهضتها الولايات الامريكية المتحدة، في مواجهة الاجتياح السوفيتي الاشتراكي فمازلت أوربا تأتمر بأوامر الدول الأمريكية، وكلنا سمع ما قاله ترمب رداً على الرئيس الفرنسي حين طالب بوقف الغزو التركي لشمال وشرق وسوريا» فلتذهب فرنسا وتقاتل إلى جانب الكرد» وفي

المحصلة نجد أنّ القضية الكردية لها انعكاساتها على السلم والأمن في الشرق الأوسط بشكل مباشر، كما هي القضية الفلسطينية، فلا يمكن الوصول إلى أمن وسلام في الشرق الأوسط لطالما هناك تفكّك وتشرذم بين شعوب معظم دول الشرق الأوسط، وليست بالبعيدة عن ذلك دول الخليج العربي التي تستظل تحت ظل اقتصادها القوي والذي يعتبر اقتصاداً وهمياً، فنجد أن ذلك الاقتصاد هو عبارة عن اقتصاد إنتاجي يعتمد على إنتاج النفط، بينما الصناعة والتكنولوجيا الوطنية مازالت تعاني من الضعف في ظل الشركات العالمية الرأسمالية، ومعظم دول الخليج تعاني من الصراع والتشرذم بين السنة والشيعة إلى جانب صراع قبلي بين القبائل الحاكمة والقبائل المحكومة، وسيأتي اليوم الذي تنفجر فيه تلك الصراعات المتخفية.

وفي النتيجة يمكن أن نورد أسباب فشل إيجاد حل القضية الكردية في الدول المستعمرة لكردستان.

ـ اعتماد الكرد في ثوراتهم، في عهد الكفاح المسلح التي حققت فيه معظم الشعوب استقلالها، على الدول المستعمرة لكردستان فتم استخدام الثورات الكردية كورقة ضغط على الحكومات التي ظهرت الثورة في دولها، والأمثلة كثيرة، مثال الملا البرزاني الذي اعتمد في ثورته على إيران الشاهشانية التي كانت ترغب في تحقيق مصالح مع الحكومة العراقية، وكان ذلك الدعم المقدم للبرزاني على حساب الكرد في إيران حتى أنه ساهم في قتل عدد من عناصر الحزب الديمقراطي الكردستاني في إيران، وكذلك اعتماد حزب العمال الكردستاني على النظام السوري الذي كان يرغب في تحقيق مصالح لدى النظام التركي.

ـ انتهاج معظم الأحزاب الكردية للنظرية الماركسية والانخراط في صراع الحرب الباردة الدائرة بين الاتحاد السوفيتي وأميركا، ومن المؤسف أنّ الاتحاد السوفيتي لم يكن جاداً في دعمه الثورات التحررية في العالم كما كان يدعي، وتبيّن أنّه يسعى إلى تحقيق مصالح استراتيجيّة مع الدول المستعمرة لكردستان لخلق توازن قوى استراتيجية مع القطب الآخر بقيادة الولايات الامريكية المتحدة.

ـ معادات الكرد للرأسمالية والوقوف في قطب الاشتراكية التي أثبتت فشلها كنظرية، ممّا جعل القطب الآخر بقيادة الولايات الامريكية المتحدة وحلفائها الأوروبيين يقفون موقفاً عدائياً تجاه الكرد وقضيّتهم.

ـ معاداة الأحزاب الكردية للدين، ومحاربته في ظل تعصّب دينيّ أعمى متفشٍّ بين الشعب الكردي، ممّا جعل الأحزاب السلطوية والحكومات المستعمرة لكردستان، تستغلّ ذلك النهج لصالحها، وخلق عداء بين الشعب الكردي لتلك الأحزاب والعمل على توطيد دعائم التعصّب الديني بين الشعب الكرديّ.

ـ تشرذم الأحزاب الكردية بين القبلية والعشائرية والمصالح الشخصية وارتباطاتها المشبوهة مع الأنظمة المستعمرة لكردستان.

ـ تباين الثقافات بين الشعب الكردي الواحد، وذلك لمحاولة كل دولة مستعمرة لكردستان أن تُطبع الجزء الذي يقع تحت سيطرتها بالطابع القومي والديني والمذهبي والثقافي لتلك الدولة، ممّا خلق تبايناً ثقافيّاً بين شعب كلّ جزء من أجزاء كردستان.

ـ التفكك الاقتصادي بين الشعب الكردي أيضاً ساهم في التباعد الاقتصادي، وأنواع المفاهيم الاقتصادية، فنجد أنّ الكردي المستعمر من قبل إيران يبعد الكردي المستعمر من قبل تركيا في أفكاره الاقتصادية ومفاهيمه السياسية.

ـ تخلف شعوب الدول المستعمرة لكردستان وتعصبها لقومياتها وطائفتها وإنكارها للآخر، والسبب يعود إلى الصحوة القومية المتأخرة لدى شعوب تلك الدول، واستغلال حكومات تلك الدول لتلك الصحوة لأجل الحفاظ على السلطة

لأطول مدة ممكنة في ظل إيجاد حروب مفتعلة، وأعداء مفتعلين لقومياتها.

ـ سيطرة الدول ذات القوى العظمى على المنظمات الدولية التي ترعى الأمن والسلم العالمي، ما جعلها تأتمر بأوامر تلك الدول، وعلى رأسها الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، ومراعاة مصالح تلك الدول في العالم، وتبنّي مفاهيم دولية نسبية يتم تطبيقها حسب المصالح العامة للدول العظمى.

الحلول المقترحة

ربما تكمن الصعوبة الكبرى في حل القضية الكردية هي معاصرتها زمن حروب التحرير الشعبية، وزمن الحرب الباردة ثم الحرب التكنولوجية في ظل العولمة التي حولت العالم إلى قرية صغيرة، ويضاف إليها تحول العالم من عالم ذي قطبين إلى عالم أحادي القطب ترعاه الولايات الأمريكية المتّحدة، ومن المؤسف أن الأحزاب الكردية ما زالت تحافظ على جلّ أفكارها في عهد حرب التحريرالشعبية المنتهجة للأفكار الماركسية، ولم تستطع أن تجدّد أفكارها وفق متطلبات العصر، وما زالت تعادي الرأسمالية المجانبة للإنسانية، بالرغم من حقيقة جميع ما يرد عن الرأسمالية واستغلالها للإنسان والطبيعة، وهي تعمل على جني الثروات والأرباح عبر تطور تلك الرأسمالية إلى شركات عالمية باتت تتحكم بمفاصل أدق تفاصيل الحياة في العالم.

الأمة الديمقراطية: ربّما البديل المطروح عن الفكر الماركسي والرأسمالي هو نظرية الأمة الديمقراطية التي ولدت وترعرعت في قلب الرأسمالية على يد المفكر والفيلسوف الأمريكي « موراي بوكتشين» وقام بتطويرها على نطاق واسع، القائد والمفكر عبد الله أوجالان، وهي عبارة عن نهج فلسفي متكامل من حيث يقوم على أساس حقيقة الكوانتم الحر في حركته المنتظمة مع بقية المكونات، تتمحور فكرة الأمّة الديمقراطية على أساس العيش المشترك بين جميع المكونات في أي دولة وعلى مستوى العالم، واحترام الإنسان بغضّ النظر عن أفكاره ودينه ومذهبه، واحترام الطبيعة الإنسانية والعودة إلى المجتمع الطبيعي «المجتمع البدائي» واحترام الطبيعة واستغلالها وفق ما يكفي لحاجات الإنسان، و تقوم تلك الأفكار على أساس أفقية السلطة، على عكس ما هي عليه الآن بشكل هرمي، وتبدأ من سلطة الكومين على مستوى القرية والحي ثم المجالس على مستوى المدن، ويمكن صياغة ذلك المفهوم ضمن نظام الفيدرالية الواقعية، والتي تعني الاتحاد والتعايش المشترك بين جميع المكونات والأثنيات على اختلاف بنيتها الفكرية والثقافية مع الحفاظ على خصوصية كل مكون أو أثنية، ومفهوم الدولة لدى الأمّة الديمقراطية هو مفهوم إداري غايته تحقيق الرفاهية للإنسان.

وفي الحقيقة هذه التجربة تحتاج إلى مجتمع راقٍ في ثقافته وأخلاقه، وأشدّ ما تواجهه من صعوبات، صعوبة نجاحها كونها معادية للرأسمالية التي تعتبر المحور الرئيس الذي يقود العالم عبر شركاته العالمية وفق نهجه العولمي.

وفي النهاية لا يمكن أن ينعم الشرق الأوسط بالسلام والأمن دون إيجاد حل للقضية الكردية، والصراع الأثني بين مكونات الشرق الأوسط، فايجاد حل للقضية الكردية في الشرق الأوسط يعني القضاء على الخلخلة المجتمعية في الشرق الأوسط، وربما إيجاد الحل للقضية الكردية سيجلب للشرق الأمن والأمان والسلام، ويقضي على الكثير من الصراع الأثني بين مكونات الشرق الأوسط.

الإسلام السياسي والإرهاب السياسي

إعداد: د. أنمار نزار الدروبي

مدرس مادة الفكر السياسي

مقدمة:

قبل الحديث عن ظاهرة الإرهاب السياسيّ في تيار الإسلام السياسيّ، لا بد من التطرق وبصورة مختصرة إلى تعريف مفهوم الإرهاب السياسيّ بشكل عامّ، فقد طُرِحت عدةُ تعاريف توضح المفهوم العام لظاهرة الإرهاب السياسيّ، وهذه التعاريف تربط بين الإرهاب وتحقيق أهداف سياسيّة، أو بين الإرهاب والوسائل التي تستعملها السلطة الحاكمة، بيد أن أغلب التعاريف قد ارتبطت بالمراحل الأولى لظهور مفهوم الإرهاب الذي كان يُستخدم لتحقيق غايات سياسيّة، كأداة من أدوات الصراع بين السلطة ومعارضيها.

لقد عُرف الإرهاب السياسيّ «بأنه الاستخدام المنظَّم لوسائل استثنائية للعنف من أجل تحقيق هدف سياسيّ، كالاستيلاء أو المحافظة أو ممارسة السلطة، وتحديداً هو مجموعة من أعمال العنف، مثل: اعتداءات فردية أو جماعية أو تخريبية تنفذها منظمة سياسيّة للتأثير في السكان وخلق مناخ بانعدام الأمن»(١). وقد عرَّف آخرون مفهوم الإرهاب السياسيّ بأنه «استخدام العنف أو التهديد من قِبل فرد أو جماعة، تعمل إما لصالح سلطة قائمة أو ضدها، والهدف من ذلك هو العملُ لخلق حالة من القلق الشديد لدى مجموعة من الضحايا المباشرة للإرهاب، وإجبار تلك المجموعة على الموافقة على المطالب السياسيّة لمرتكبي العمل الإرهابيّ»(٢).

وفريق ثالث يرى أن الإرهاب السياسيّ هو الإرهاب الغالب حصولُه على المستوى الداخليّ، وغالباً ما تلجأ إليه طبقة معينة أو فئة اجتماعيّة، مما يدفع إلى السيطرة على الطبقات أو الفئات الأخرى وإخضاعها. وقد عرّف الفريق الأخير الإرهاب السياسيّ بأنه «الإرهاب الذي يؤدي إلى نشوب الاضطرابات والحروب الأهلية والصراعات الداخليّة، فالفريق الحاكم يعمل على الاحتفاظ بالمكاسب والامتيازات التي يجنيها من وراء وجوده في السلطة، بينما الفريق الآخر يحاول تحدي الفريق الحاكم وإجبارَه على التنازل والتخلي عن مكاسبه وامتيازاته»(٣).

وبالعودة إلى موضوع الإرهاب السياسيّ في تيار في الإسلام السياسيّ، فالمسألة السياسيّة كانت دائماً جوهريةً في تاريخ الإسلام، ولم تفتعلها الحركات الإسلاميّة المعاصرة، أي ما يسمى اليوم بالإسلام السياسيّ، فقد شهد التاريخ الإسلاميّ وجود علاقات من التلازم بين السياسة والدين كغيره من الأديان السماوية، إذ تم اللجوء للدين من قِبل السلطات الحاكمة والحركات والفرق المعارضة بهدف إضفاء شرعية دينية على طروحاتها، بلغت مستوياتها حدوداً عَبَّرَ فيها الصراع السياسيّ عن نفسه في أشكال مختلفة من المذهبية الدينيّة في مراحلَ كثيرة. وينطبق هذا على عصرنا الحديث أيضاً، فقد تمت مواجهة مختلف أوجه الاحتلال بتضافر عنصرَي الوطنيّة والدين في تشكيل الوجدان السياسيّ للشعوب في البلدان العربيّة والإسلاميّة، ففي بداية الاحتلال نشطت مقاومة تحت لواء الجهاد بزعامة مشايخ يُشهد لهم بالمكانة الدينيّة في مجتمعاتهم.

لقد ورثت حركات الإسلام السياسيّ الثقافة السياسيّة والتنظيميّة من الحركات الوطنيّة والقوميّة والاشتراكيّة، ولكن أضافت عليها أفكارها ومعتقداتها، وهو ما بين السياسة والمقدّس، وبين الدنيويّ والدينيّ، إن هذا الخلط يقف وراء أسباب تطرّفها وممارستها للعنف، بيد أن الخطاب الإسلاميّ الاحتجاجيّ الرفضويّ يفتقر إلى بدائلَ سياسيّة وموضوعية قادرة على الخروج من حالة الأزمة والانسداد التي كانت في أساس خطابه المتطرف، وبمعنى أدق، إنها لم تستطع أن تبني مشروعاً سياسيّاً بديلاً عن المشروع الذي ترفضه، وتحتجّ عليه بثورتها العنيفة أو السلميّة، وهذا ما يسمح بالقول: «إن الحركات الإسلاميّة المعاصرة تملك برنامج ثورة وهدم دون أن تملك برنامج تأسيس وبناء، وفي الظن أن هذه نقطة الضعف القاتلة للمشروع السياسيّ الإسلاميّ المعاصر في البلاد العربيّة، وفي مجموع العالم الإسلاميّ»(٤).

١ ()مخيمر، عبد العزيز، الإرهاب الدولي، الناشر، دار النهضة، القاهرة، ١٩٨٦، ص٣٨

٢ ()رفعت، أحمد، والطيار، صالح بكر، الإرهاب الدولي، الناشر، مركز الدراسات العربي الأوروبي، باريس، ١٩٩٨، ص٣

٣ ()الغزال، إسماعيل، ' الإرهاب والقانون الدولي، الناشر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠، ص٢

٤ ()بلقزيز، عبد الإله، الإسلام والسياسة: دور الحركة الإسلامية في صوغ المجال السياسيّ، الناشر، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠١، ص١٤٠

ومن هذا المنطلق نلحظ أنّ تيارات الإسلام السياسيّ، بقوة موقعها المتميز في ميزان القوى، كان من الممكن أن تقدم مساهمة فعالة وتجربة ناجحة في إرباك السلطة وتغيير المشهد السياسيّ لدى النخب الحاكمة، عن طريق ثورة ناضجة ضد النظم السياسيّة القائمة، غير أنها لم تستطع أن تقدم ولو دليلاً على أنها قوة بناءٍ وليست قوة هدم، بسبب عدم وجود برامج واقعية لتجاوز الوضع المتخلف الذي ترفضه (٥).

إنّ عودة الدين إلى واقع الحياة السياسيّة والاجتماعيّة، لأسباب موضوعية اقتصادية واجتماعيّة وسياسيّة، ساعد على استثمار الرأسمال الدينيّ وتجنيده في الصراع السياسيّ، أو دفعه في اتجاه إنشاء حركات إسلاميّة احتجاجية سياسيّة المحتوى ودينية الشكل، وإنّ هذه الحركات غالباً ما تنشأ وتظهر نتاج الظلم والقمع الممارسَين من قِبل السلطات الحاكمة، والإحساس بالتهميش والإقصاء اللذَين غالباً ما يؤديان إلى الاغتراب أو الانضمام إلى الحركات المتشددة، نتيجةَ سوء توزيع الثروة وانتشار الفساد. ومن جانب آخر تسعى هذه الحركات الدينيّة ومن خلال استغلال شعاراتها، إلى استقطاب كلّ من هو مقتنع بهذه الشعارات، ومن هذه الشعارات على سبيل المثال: «الحاكمية لله وحده ولا حاكمية لبشر، وأنه لا بد من حكومة دينية لإقامة النظام الإسلاميّ، وأنّ الجهاد فريضة غائبة يتعيّن إعادتها لمواجهة أعداء التيار الإسلاميّ من حكام ومفكّرين، ولا بدّ من تطبيق الشريعة الإسلاميّة، وإلا تتعين الحرب على المجتمع بكامله، وأنه لا بدّ من فرض الجزية على غير المسلمين، وإلا كان المجتمع جاهليًّا كافراً، وأنه لا يوجد إلا الحلّ السلميّ لمواجهة كل مشاكل المجتمع الوطنيّ والدوليّ، وأنه لا ينبغي أن تكون للمسلم أية جنسية إلا الإسلام، ويتعين ألا يكون له ولاءٌ لوطنه بل لجماعة المسلمين»(٦).

٥ ( ) المصدر نفسه السابق، ص ١٠ ص ١١ ولاحقا

٦ ( ) للمزيد راجع، العشماوي، محمد سعيد، الإسلام السياسيّ، مصدر سابق، ص ١٣

"شهد التاريخ الإسلاميّ وجود علاقات من التلازم بين السياسة والدين، إذ تم اللجوء إلى الدين من قِبل السلطات الحاكمة والحركات والفرق المعارضة بهدف إضفاء شرعية دينية على طروحاتها، بلغت مستوياتها حدوداً عبر فيها الصراع السياسيّ عن نفسه في أشكال مختلفة من المذهبية الدينية في مراحل كثيرة، فقد تمت مواجهة مختلف أوجه الاحتلال بتضافر عنصري الوطنية والدين في تشكيل الوجدان السياسيّ للشعوب في البلدان العربية والإسلامية"

إن ظاهرة الإسلام السياسيّ التي اجتاحت العالم العربيّ منذ أوائل السبعينيات، تُعدّ أخطرَ الظواهر السياسيّة التي تواجهها البلاد العربيّة، ولعل من أسباب تلك الخطورة، ما تهدف إليه جماعات الأصوليّين من إعادة صياغة المجتمعات العربيّة وفقاً للنموذج الإسلاميّ المتصوَّر في أذهانهم، بعد فشل النماذج الليبرالية الراديكاليّة وعجزها جميعاً عن تقديم مشروع حضاريّ نهضويّ يضعها على طريق التقدم والنمو، والأخطر في هذا المخطط «أنه اتخذ أسلوب العنف المسلح سبيلاً للقضاء على النظم القائمة، والوصول إلى السلطة قسراً كوسيلة لتطبيق تصورات ورؤى تجنح إلى الماضوية، وتفتقر إلى النضج والواقعية»(٧).

إن كلمة أصولية تحمل في اسمها استعلاءً

٧ ( ) إسماعيل، محمود، الإسلام السياسيّ بين الأصوليين والعلمانيين، الناشر، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ١٩٩٣، ص ٨

لأصحابها وتكبّرهم على أنهم وحدهم المتحدثون باسم الحق، وأنهم خلفاء الله ووكلاؤه في الأرض، كما أنها تحمل في معناها اتهام الآخرين بالانحراف والمروق والكفر، فهي أصولية أفرزتها الأزمات الاقتصاديّة والبطالة والفقر والحرمان، وكذلك انهيار التعليم وسطحية الثقافة والفراغ الدينيّ، بالإضافة إلى ضعف المؤسسة الدينيّة، وهي في دعوتها إلى تحطيم كل أشكال النظم الموجودة تحت ذريعة الجاهليّة والكفر، فكل طائفة تتصور أنها وحدها تحكم بما أنزل الله، وأن معها التفويض الإلهيّ بالخلافة والحكم، وإقامة شرع الله، وأنها وحدها تمثل الإسلام. وبلا شك فإن الأصولية تحولت إلى فتنة كبرى تأكل أفرادها، وتدفع بالمسلم في مواجهة المسلم، وخير دليل ما شهدته الساحة الأفغانيّة من قتال شديد بين بعض الفصائل الإسلاميّة والحركات الدينيّة المتشددة، التي كانت تقاتل بعضها بعضاً، والمدهش في الأمر أن وراء هذه الفصائل والجماعات دولٌ تنفق عليهم، فهناك تيارات إسلاميّة تابعة لدولة شيعية، وأخرى تنفق عليها دول سنّية، وفصائل تقاتل في سبيل المصالح الأمريكيّة كجماعة شاه مسعود على سبيل المثال في أفغانستان. ونتيجة لذلك لم يعدْ ولاء هذه التيارات والحركات الإسلامويّة إلى الدين، بل بات ولاؤها للسياسة؛ فالإرهاب والقتل مستمران من أجل الوصول إلى السلطة والظفر بكرسيّ الحكم (٨).

لقد كانت هناك اتهامات متبادلة بين السلطات وتيارات الإسلام السياسيّ حول اللجوء إلى العنف في حلّ الصراعات والتنافس السياسيّ، فيرى البعض أن العنف الذي تمارسه فصائل الحركة الإسلاميّة، هو نتيجة التكوين التنظيميّ الذي يقوم بإعادة تنشئة وتربية الأعضاء، وما يتبع ذلك من فرض الأوامر على الأعضاء، يضاف إلى ذلك الجانب الأيديولوجي، إذ تحتل فكرة الجهاد موقعاً مهمّاً في فكر الإسلام السياسيّ، خاصة أنه قد ارتبطت هذه الفكرة بقضية جاهلية الدولة والمجتمع، ممّا تجد لها تبريراً في محاربة الدولة والمجتمع مع تمجيد مسألة القوة التي تعادل العنف لدى الحركات المتشددة، التي تُردّد مقولة أن المؤمن القويّ خير من المؤمن الضعيف، أما الرأي الآخر فيعدّ عنف تيارات الإسلام السياسيّ عبارة عن ردة فعل، بمعنى أنه عنف مضادٌّ بقصد الدفاع عن النفس، والوقوف ضد عنف واضطهاد السلطات الحاكمة التي ترى في حركات الإسلام السياسيّ الخطر الحقيقيّ على وجودها (٩).

من هذا المنطلق كان للأصولية الإسلاميّة تداعياتُها السياسيّة والعسكريّة الخطيرة، سواء على المستوى الداخليّ للدول العربيّة والإسلاميّة أو على المستوى الدوليّ العالميّ، تلك التداعيات التي وضحت بقوة بعد احتجاجات الربيع العربيّ، إذ أثبتت الأصولية الإسلاميّة في السنوات الأخيرة أنها أقوى قوة مذهبية سياسيّة، وازداد خطرها، واتسعت رقعة نشاطها إلى أن وصلت إلى ذروتها بعد احتجاجات الربيع العربيّ، وذلك يعود لسببين، أولهما: الغزو الأمريكيّ للعراق في عام ٢٠٠٣م بذريعة الحرب على الإرهاب، وثانيهما: استمرار الاستبداد السياسيّ والظلم الاجتماعيّ الذي تمارسه الحكومات المركزية في العالم الإسلاميّ، الذي أدّى إلى تكوّن بيئة حاضنة لقوى الإسلام السياسيّ، استفادت منها هذه القوى للمحافظة على وجودها التنظيميّ، إضافة إلى تعزيز قدرتها على تحريك مشاعر الغضب ضد الحكومات القائمة، باللجوء إلى الشعارات الدينيّة المستترة ذات السمة السياسيّة المعاصرة، بحيث أصبحت المحرك الرئيس للاحتجاجات الشعبيّة، بسبب ضعف القوى الليبرالية والقوميّة واليسارية ومحدودية تأثير خطابها السياسيّ، وهذا التحليل ينسجم مع الفكرة التي تقول «عندما تتراكم المشاكل

٨ ()للمزيد راجع، محمود، مصطفى، الإسلام السياسيّ والمعركة القادمة، الناشر، دار المطبوعات، القاهرة، ١٩٩٢، ص٢٥ص٢٦ ولاحقا

٩ ()للمزيد راجع، علي، حيدر إبراهيم، التيارات الإسلامية وقضية الديمقراطية، الناشر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٦، ص٢٥٣ص٢٥٤

في مجتمع معين، ولا تجد لها حلًّا أو أملاً في الحل، وعندما تُحتقن أموره إلى أقصى حدّ، ويزيد فيه الكبت السياسيّ، فإنه ينفجر، وعندئذ يستخدم اللغة الدينيّة تبريراً لانفجاره إذا لم تكن لديه غيرها»(١٠). إن الحركات الإسلاميّة الأصولية المعاصرة تستخدم تصوراً ماضويًّا للإسلام كان يرتبط بواقع آخرَ لا يمتُّ بصلة للواقع الراهن الذي تعيشه قيادات هذه الحركات وزعاماتها في العصر الحديث، فهذه الحركات أو التنظيمات الجهاديّة لا تستخدم الإسلام كإيديولوجيا ثورية للإصلاح السياسيّ والاجتماعيّ، في ضوء معطيات الواقع الراهن، كما حدث في مرحلة مقاومة الغزو الأجنبيّ، بل للوصول إلى السلطة فقط، وحتى في حالة اهتمام الحركات الأصولية المعاصرة بالمشاكل السياسيّة والاجتماعيّة، فإن هذا الاهتمام تستغله كغطاء اجتماعيّ وسياسيّ لممارستها الإرهاب السياسيّ والعنف ضد النظم السياسيّة القائمة في الدول العربيّة، وكذلك إلى جذب الجماهير المهمّشة اقتصاديّاً والمضطهدة سياسيًّا للانضمام إليها أو التعاطف معها (١١).

إن الفاعلين الإسلاميّين في الساحة الإسلاميّة ينقسمون إلى ثلاثة تيارات رئيسية، وهي أولاً: تيار الإسلام الدعويّ، ثانياً: تيار الإسلام الحركيّ، ثالثا: تيار الإسلام الجهاديّ، والأخير هو التيار الأكثر تشدداً وممارسةً للعنف في العمل الإسلاميّ الذي تمثله الحركات السلفيّة الجهاديّة في العالم الإسلاميّ، وفي مقدمتهم تنظيم القاعدة وفروعه المنتشرة بمسميات مختلفة في العالم، وخاصة تنظيم داعش، وجبهة النصرة، وجماعات التوحيد والجهاد في عدة بلدان، وكذلك تنظيم

"إن ظاهرة الإسلام السياسيّ التي اجتاحت العالم العربيّ منذ أوائل السبعينيات، تُعد أخطر الظواهر السياسية التي تواجهها البلاد العربيّة، ولعل من أسباب تلك الخطورة، ما تهدف إليه جماعات الأصوليين من إعادة صياغة المجتمعات العربية وفقا للنموذج الإسلاميّ المتصوّر في أذهانهم، بعد فشل النماذج الليبرالية الراديكالية وعجزها جميعاً عن تقديم مشروع حضاري نهضوي يضعها على طريق التقدم والنمو"

القاعدة في بلاد المغرب الإسلاميّ، وجماعة أنصار الشريعة، وحركة شباب المجاهدين في القرن الإفريقيّ، وغيرها من الجماعات والتنظيمات الجديدة. إن كل هذه التيارات معروفة بعدائها وعدم إيمانها بالديمقراطيّة، فهي تُحرِّم الدخول في المجالس التشريعيّة، وتُكفِّر الاشتراك بالانتخابات البرلمانية، بل ترفض كل العملية السياسيّة. ومن هذا المنطلق فإن الدول والأنظمة السائدة تُعدّ أنظمة كافرة ومرتدّة عن الإسلام في نظر الحركات الإسلاميّة المتشددة، ولا يجوز التعامل معها أو الدخولُ في أجهزتها، وإنما يجب العمل على الإطاحة بها عسكريّاً بالقوة من خلال مفهوم الجهاد كطريق شرعيٍّ وحيد في تغييرها، وإقامة حكم الشريعة والخلافة بحسب معتقدات تلك الحركات وأفكارها (١٢).

إنّ الأيديولوجية الجهاديّة الحديثة تعيد مفهوم

١٠ ( ) أركون، محمد، قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الإسلام اليوم؟، ترجمة وتعليق، صالح، هاشم، الناشر، دار الطليعة، لا يوجد تاريخ الطبع، بيروت، ص٢٩٤

١١ ( ) للمزيد راجع، أبو العلا، محمد عبده، الأصولية الإسلامية بين الدعوة الدينية والأيديولوجيا السياسيّة، الناشر، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، ٢٠١٧، ص١٢ص١٣ ولاحقا

١٢ ( ) للمزيد راجع، باروت، محمد جمال، يثرب الجديدة: الحركات الإسلامية الراهنة، الناشر، رياض الريس، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٣ص١٤

الجهاد نفسه ضد الكفر بوصفه مركزيًّا أو جوهريًّا في الممارسة الإسلامويّة إذ حيث تنشد هذه الأيديولوجية إلى إعادة تأسيس أمة موحدة، وبناءً على ذلك ترفض تقسيم الأمة إلى دول قومية محلية، لأنها تتعارض تعارضاً مباشراً مع قصد الإسلام، وهو بالتالي تقسيم غير مشروع في رأيها. في الوقت ذاته تنتقد هذه الأيديولوجية أنظمة الحكم القائمة بسبب الاضطهاد والفساد والتوافق مع الكفر العالميّ. ومن وجهة نظر الإسلاميّة الجهاديّة فإن الصراع بين الإسلام والغرب صراع لا سبيل للتسامح فيه، وترفض كل الجهود الرامية إلى الوصول إلى حلٍّ وسطٍ والمصالحة مع الغرب، إذ تُعدّ هذه الممارسات ليست أكثر من محاولات لتقسيم الإسلام وإضعافه. ويُعدّ رجل الدين الباكستانيّ (مسعود محمد أزهر)، خيرُ مَن مثّل اتجاه الأيديولوجية الجهاديّة الذي كان قائداً لما يُعرف بجيش محمد، أبرز الجماعات الإسلاميّة المتشددة في باكستان، وزعيماً لأخطر جماعات حرب العصابات العسكريّ الذي كان يقود الجهاد في كشمير، إذ كانت طروحات أزهر معاديةً وبشكل كبير للغرب، بعد أن وصف الغربيّين بالكفار الذين يحاولون استئصال الإسلام، وذلك عن طريق الهيمنة الغربيّة الكاملة. ويرى أزهر أن امتلاك القوة واجبٌ والتزامٌ إسلاميّ، متّهماً الحكومات العربيّة بأنها تحارب الأصولية لأنهم يخشونها، وعليه يقول أزهر: «إن الغرب مشارك في حملة كبيرة لإضعاف المسلمين وتقسيمهم، والغرض من هذه الدعاية هو أن يُقنعوا المسلمين بأن المسلمين الأصوليين هم جماعة مختلفة من المسلمين، وأن تدميرهم صار ضرورة، والحرب الأهلية بين المسلمين هي الطريقة المفضّلة»(١٣). ويؤكد أزهر على أن الأصوليين ينشدون إلى إعادة تأسيس الالتزام الأصليّ بالجهاد على المسلمين، ليستعيدوا القوة الإسلاميّة، ولكن الإستراتيجية الغربيّة تسعى إلى تحويل الإسلام إلى مجرد ممارسة الطقوس والشعائر، وتحاول تفريغ الإسلام من المضمون السياسيّ. أما الإسلام الليبراليّ، كما يصفه أزهر، فهو أيضاً يمتلك الإستراتيجية الغربيّة نفسها في قطع حيوية الإسلام، وجعله بلا معنى ولا يستطيع تهديد الغرب، فالمصالحة والتحديث والتفسيرات الجديدة للإسلام جاءت كلها لتدمير الإسلام وقوته بحسب رأيه (١٤).

سيختار الباحث بعض التجارب لنماذج الإسلام السياسي في الوطن العربي:

تجربة الإسلاميّين في الحكم في السودان:

ترجع نشأة الحركة الإسلاميّة في السودان إلى الحراك الطلابيّ في الجامعات السودانيّة، بهدف منافسة العلمانيين واليساريين وأطروحاتهم الفكريّة، إذ دافع الإسلاميّون في البداية عن الديمقراطيّة، لكنهم بعد ذلك ابتعدوا عن النهج الديمقراطيّ خصوصاً بعد تحالفهم مع النظام العسكريّ الشمولي في السودان بقيادة (النميري)، لكن التحول الرئيس للحركة، بل انقلابها على مبادئ الديمقراطيّة قد حدث بصورة حاسمة بعد انقلاب عام ١٩٨٩م، وتسلّم تيار الإسلام السياسيّ الحكم في السودان. ويُعدّ المفكر والزعيم السودانيّ (حسن الترابيّ) أحد أبرز قادة التيار الإسلاميّ وأهمهم في السودان، والنبراس لتيارات الإسلام السياسيّ، فهو مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في السودان، وتلميذ حسن البنا مؤسس وزعيم جماعة الإخوان المسلمين، في الوقت الذي كانت أفكار سيد قطب وتفسيراتها المتعددة تسيطر على الترابيّ وعلى عموم الحركات الإسلاميّة، خاصة في المشرق العربيّ. لقد طرح الترابيّ نظريته في الحلّ الإسلاميّ على أساس أن الفكر الإسلاميّ إنما هو «التفاعل بين عقل المسلمين وأحكام الدين الأزلية الخالدة، والتجارب التي يحصّلها في كل زمان ومكان، فإذا ضاقت هذه المعارف

١٣ ()فوللر، غراهام إي، الإسلام السياسيّ ومستقبله، نقله إلى العربية، التوبة، محمد محمود، الناشر، دار العبيكان، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦، ص٢٨٦

١٤ ()المصدر نفسه السابق، ص٢٨٥ص٢٨٦ ولاحقا

ضاق، وإذا اتسعت اتسع، ولأنه يتكيف وينفعل بالظروف الراهنة التي تحيط به، وبالحاجات التي يحسها الناس وبالوسائل التي تبيحها له ظروف الحياة. فالفكر الإسلاميّ هو التفاعل بين عقلنا المتكيف بهذه العلوم، مع الهدي الأزليّ الخالد الذي يتضمنه الوحي والذي بيّنه الرسول الكريم»(١٥).

ووفقاً لهذا يرى حسن الترابيّ «**أن الإسلام قادر على تأمين مخطط شامل للتطور الاجتماعيّ والسياسيّ والاقتصاديّ، في مواجهة الأنظمة البديلة كافةً التي تطرح نفسها على الساحة من الاشتراكيّة والشيوعيّة**»(١٦).

لقد استطاع الترابيّ خلال عشر سنوات أن يستقطب عدداً كبيراً من مريدي الطرق الصوفية المنتشرين في كل ولايات السودان، كما تمكّن من الحضور بشكل ملحوظ في صفوف طلبة الجامعات السودانيّة. وبتاريخ ٣٠ يونيو (تموز) من العام ١٩٨٩م استولى مجموعة من الضباط التابعين للجيش السودانيّ على الحكم بقيادة العميد عمر حسن البشير، بيد أن الأمر لم يكن واضحاً في البداية للمراقبين حول هوية الانقلاب العسكريّ الجديد وتوجهات قادته، وقد ساعد هذا الغموض في أن ينال الانقلاب تأييداً شعبيًّا واسعاً داخليًّا وخارجيًّا أيضاً من دول كثيرة في المنطقة، وقامت الحكومة الجديدة التي اتضحت هويتها الإسلاميّة فيما بعد، من خلال تصريحات قادتها التي تؤكد على انتمائها لتيار الإسلام السياسيّ في السودان، بممارسة العنف والإرهاب السياسيّ تجاه الدولة والمجتمع بعد أن قامت بسلسلة من الاعتقالات والانتهاكات التي تعارض مبادئ حقوق الإنسان، من ضمنها: اعتقال الدكتور حسن الترابيّ نفسه الذي كان يوصف بمهندس الانقلاب ورأسه المدبّر، إلا أنه تم إطلاق سراحه بعد فترة، ثم تقلّد مناصب مهمة في الدولة كان آخرها رئيس البرلمان. في السياق ذاته لم يلتزم الإسلاميّون في الحكم بمبادئ الديمقراطيّة، ولم يقبلوا بالتعددية السياسيّة، وقمعوا الحريات السياسيّة، ونتيجةً لذلك تحوّل تيار الإسلام السياسيّ في السودان إلى سلطة قمعية مطلقة رفضت كل مبادئ الديمقراطيّة، وسيطر الإسلام السياسيّ على جميع مفاصل الدولة من خلال استخدام الشعارات الدينيّة للتأثير في الشعب. وبالرغم من أن تيار الإسلام السياسيّ كان قد حظي في البداية بتأييد كبير من الشعب السودانيّ، إلا أنه قد تراجع في السنوات الأخيرة، إذ واجه انتقاداتٍ واسعة وشديدة من قِبل عموم المواطنين وأغلبية الأحزاب والحركات السياسيّة، بسبب ممارسته للإرهاب السياسيّ داخل الدولة والمجتمع السودانيّ ما أدّى إلى تصاعد العنف السياسيّ ونشوء كثرة من المنظمات المسلحة التي أدّى صراعها مع السلطة إلى تهديد الوحدة السياسيّة والجغرافية وتقسيم السودان إلى دولتين: جنوبية وشمالية (١٧).

إن تجربة الإسلام السياسيّ في الحكم، ومحاولات أسلمة المجتمع السودانيّ بالعنف لما يقارب ربع قرن، خلقت إشكاليات كبيرة في المجتمع أدت في النهاية إلى عزلة تيار الإسلام السياسيّ وسلطته عن المجتمع السودانيّ، بعد أن سعت الجماعة إلى صهر مكونات الشعب السودانيّ في قالب عربيّ إسلاميّ، في حين كان المجتمع السودانيّ يتطلع إلى التعبير عن ذاته التعددية، ما خلق حالة من الاستقطاب أدّت إلى تجزئة السودان (١٨).

١٥ ()الترابي، حسن، تجديد الفكر الإسلامي، الناشر، دار القرافي، المغرب، ١٩٩٣، ص٤

١٦ ()العقالي، محمد الدمرداش، الإسلام السياسيّ من عام الجماعة إلى حكم الجماعة، الناشر، المجموعة الدولية، القاهرة، سنة الطبع بلا، ص٢٥٩

١٧ ()انفصل جنوب السودان وأسس دولة مستقلة في ٥ أكتوبر ٢٠١٢

١٨ ()للمزيد راجع، الأفندي، عبد الوهاب، وزين العابدين، الطيب وآخرون، مؤتمر الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي: تجارب واتجاهات، الناشر، المركز العربي للأبحاث، الدوحة، ٢٠١٢م، ص١٠ص١١ ولاحقا

> **العنف الذي تمارسه فصائل الحركة الإسلامية، هو نتيجة التكوين التنظيميّ الذي يقوم بإعادة تنشئة وتربية الأعضاء، يضاف إلى ذلك الجانب الأيديولوجي، إذ تحتل فكرة الجهاد موقعاً مهماً في فكر الإسلام السياسيّ، خاصة أنه قد ارتبطت هذه الفكرة بقضية جاهلية الدولة والمجتمع، مما تجد لها تبريراً في محاربة الدولة والمجتمع مع تمجيد مسألة القوة التي تعادل العنف لدى الحركات المتشددة**

تيار الإسلام السياسيّ في المغرب والجزائر:

تقتضي دراسة الحركات الإسلاميّة المعاصرة في المغرب والجزائر، الرجوع أولًا إلى النماذج الفكرية التي استقت منها أفكارها، وبنت عليها سلوكياتها، وحتى أساليب عملها. وفي هذا الصدد نميّز بين تيارين أساسيّين أطّرا العمل السياسيّ للحركات الإسلاميّة المعاصرة في الجزائر والمغرب، وهما: الأول يمثل الفكر الحركيّ الإصلاحيّ. والثاني: الفكر الحركيّ الثوريّ الجهاديّ.

الحركة الإسلاميّة المعاصرة في المغرب:

إن المتتبع لنشاط تيار الإسلام السياسيّ في المغرب يمكن أن يلحظ تنامي هذه الجماعات واتساعها خاصةً في الجامعات، بيد أن الحركة الإسلاميّة في المغرب تنقسم إلى تيارين أساسيين، وهما: حركة التوحيد والإصلاح، وهي حركة دعوية وتربوية وفكرية وثقافية إسلاميّة وسياسيّة، عملها تجديديّ، وتسعى إلى المساهمة في إقامة الدين، وتدعو إلى إصلاح المجتمع حسب المفهوم الإسلاميّ الوسطي، وهي في الوقت نفسه تميل إلى الاندماج والمشاركة في العملية السياسيّة وفق أسلوبٍ وإستراتيجية تقوم على التوافق والتراضي. أما التيار الثاني: فهي جماعة العدل والإحسان التي وضعت نفسها على مسافة من المؤسسات، والابتعاد عن المشاركة السياسيّة وفق إستراتيجية تميل إلى استخدام العنف والمواجهة والصراع في سلوكها السياسيّ، حيث تعدّ جماعة العدل والإحسان النموذج الإسلاميّ السياسيّ المغربيّ الذي كانت علاقته مع الدولة المغربيّة تتّسم بالصدام والتوتر، وعلى هذا الأساس فرضت الدولة المغربيّة حصاراً سياسيًّا وإعلاميًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا على جماعة العدل والإحسان، وتعتقد الجماعة بأن هذا الحصار المفروض عليها ليس من قِبل الدولة فقط، بل إن الأحزاب السياسيّة في المغرب لها دورٌ كبيرٌ ومباشرٌ في هذا الحصار، وعموماً فإن تيار الإسلام السياسيّ المتشدد في المغرب يرى أن الجميع يقف ضده ويتآمر عليه، ويهدّد وجوده سواء من طرف الدولة أو الأحزاب السياسيّة، أو حتى وجود قوة أجنبية من خارج المملكة تحارب هذا التيار تحديداً. ونتيجةً لهذا شعرت الجماعة بالقلق والخطر والتهديد، والتآمر عليها، والإحساس بعدم الثقة بالدولة ومؤسساتها وأحزابها، مما أدى إلى اتّباعها مواقف متشددة تصل إلى أسلوب المواجهة باستخدامها العنف تارةً، وميلها إلى القطيعة ورفض المشاركة في العملية السياسيّة تارةً أخرى، ولكن في الجانب الآخر نرى أن هناك أحزاباً مغربية ذات توجهات إسلاميّة قد سُمح لها بالمشاركة في العملية السياسيّة ودخول الانتخابات التشريعيّة في المملكة المغربيّة، وأبرزها: حزب العدالة والتنمية الذي يتبنى الاتجاه الإسلاميّ، ويدعو إلى نبذ العنف، وقد شارك حزب العدالة والتنمية في انتخابات عام ٢٠١٧م، وحصل على أغلبية مقاعد البرلمان، وبالتالي أصبح السياسيّ (سعد الدين

العثماني) رئيساً لوزراء المغرب إذ شغل العثمانيُّ أمين عام حزب العدالة والتنمية بين عامي ٢٠٠٤م-٢٠٠٨م (١٩).

تيار الإسلام السياسيّ في الجزائر والإرهاب السياسيّ:

تُركز الدراسات المهتمة بالعنف في الجزائر المعاصرة على ما يُعرف بالعشرية السوداء، أي الفترة الممتدة من العام ١٩٩٠م إلى ٢٠٠٠م حين عرَف فيها العنف مستويات عالية فاقت ضحاياه ما يقارب مئة ألف قتيل. والدراسات التي تختزل العنف وتاريخه في هذه الحِقبة الزمنية تعود عادةً إلى استعراض تاريخ الحركات الإسلاميّة في الجزائر، باحثة عن لحظات من تأسيس للعنف في نشاطها وممارستها، كما لو أنها المصدر الوحيد للعنف. لكن العنف في الجزائر لا يمكن أن يُختزل في هذه المرحلة، ولا في الحركات الإسلامويّة الأصولية؛ فالعنف كان في قلب صيرورة نشأة الدولة الوطنيّة في حد ذاتها، أي كان وسيلة أساسية للعمل السياسيّ منذ الوجود الاستعماريّ في الجزائر. وفي بداية الثمانينيات بدأت الحركة الإسلامويّة تظهر إلى العلن مستغلة مجموعة من الظروف الداخليّة، فخطابها استُثمر في بداية الأمر في بناء شرعية جديدة منافسة ومناقضة للشرعية الرسميّة للنظام القائم، إذ تُعدّ الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ الأفضل بين الجميع، خاصةً أن نشاطها السرّيّ يرقى إلى سنوات السبعينيات والثمانينيات. أما قضية إلغاء المسار الانتخابيّ بعد أن فازت فيه الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ، وحصدت أغلب مقاعد المجالس الانتخابيّة البلدية في انتخابات ١٩٩٠م، ومن ثم أغلبية المقاعد النيابية في الانتخابات التشريعيّة عام ١٩٩١م، فلم يكن التفسير الوحيد لاستخدام العنف من قِبل الحركات الإسلامويّة في الجزائر، بل يمتدّ إلى عمق الخطاب والبرنامج والأيديولوجيا التي تأسّس عليها التيار الإسلامويّ في الجزائر. لقد اعتمدت الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ، منذ سنوات النشاط السرّيّ على الخطاب الأخلاقيّ في المجتمع، ثم على النقد الأخلاقيّ لرجال النظام والسلطة، وكانت في الوقت نفسه تتهم هؤلاء بفساد الأخلاق، وتستغل موضوع الفساد لمهاجمتهم من زاوية أخلاقية دينية، فسبب الفساد في نظر الجبهة هو ابتعاد المسؤولين عن أخلاق الدين الإسلاميّ، بالتالي لا بد من إقامة الدولة الإسلاميّة للقضاء على مظاهر الفساد والانحلال الأخلاقيّ في المجتمع والدولة. ولا يختلف خطاب الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ في الجزائر عن باقي تيارات الإسلام السياسيّ، ذلك الخطاب الذي يؤكد على أن الإسلام هو الحلّ لجميع مشكلات المجتمعات العلمانية، لكن رجال النظام لا يريدون لشرع الله أن يجد مكانه في المجتمع الإسلاميّ الذي أفسدته العلمانية والحداثة، وما موقف المسار الانتخابيّ وإلغاء نتائجها من قبل السلطة إلا دليلاً صارخاً في معاداتهم للشريعة والإسلام بحسب ادعائهم. إذاً وكما يرى التيار الإسلاميّ في الجزائر، أن الفرضية التي قدمناها في هذه الدراسة تتمثل في خطاب الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ ذي المرتكزات الأيديولوجية لمشروعها السياسيّ الحاملة للعنف، هو خطاب غير قابل للتحقق، سواء تم وقف المسار الانتخابيّ أم لم يتمّ، فالجبهة الإسلاميّة للإنقاذ هي في الواقع نسخة متديّنة سلفية عن جبهة التحرير الوطنيّ (٢٠).

لقد أثرت تجربة الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ في باقي فصائل الحركة الإسلاميّة، ذلك لأن الخطاب الراديكاليّ الذي تبنّاه قياديّو الجبهة، وخطابها السياسيّ القائم على نهج المغالبة والمطالبة بالتغيير الجذريّ، قد أخاف النخبة الحاكمة، ما جعل الجيش يتدخل ليوقف المسار الانتخابيّ وحلّ

١٩ ( ) للمزيد راجع، عرب، إبراهيم، الإسلام السياسيّ والحداثة، الناشر، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠، ص١١١ص١١٢ ولاحقا

٢٠ ( ) للمزيد راجع، إدريس، نوري، العنف السياسيّ في الجزائر المعاصرة من الأيديولوجيا الشعوبية إلى اليوتيبيا الإسلاموية، مجلة عمران، العدد ٤/١٤، ٢٠١٥، ص٤٣ص٤٤ ولاحقا

الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ بعد فوزها بالانتخابات. ولتجنب تَكرار ما حدث فقد وضع النظام السياسيّ آليات مختلفة تم من خلالها تشكيل ضغوطات كبيرة على الأحزاب الإسلاميّة وتحييدها، منها على سبيل المثال: منع تأسيس بعض الأحزاب الإسلاميّة، وكذلك منع أحزاب أخرى من المشاركة في الانتخابات، بالإضافة إلى تعديل الدستور وقانون الأحزاب السياسيّة بشكل لا يسمح بتأسيس أحزاب تتخذ من الدين أيديولوجية (٢١).

الإرهاب السياسيّ في العراق بعد عام ٢٠٠٣م:

إن قراءة الوضع السياسيّ في العراق بكلّ ما جرى وما يزال يجري من أعمال عنف وعمليات إرهابية، والبحث في الأسباب والتداعيات، يجب أن ينطلق من خلال وجود علاقة تأثير متبادلة بين البنى السياسيّة والعنف الحاصل في البلد، وبما أن النظام السياسيّ هو عبارة عن مجموعة من التداخلات والتفاعلات السياسيّة المستمرة في مجموعة سياسيّة، وأن النظام السياسيّ هو جزء من نظام اجتماعيّ يدخل في علاقات معقّدة مع البناء الاجتماعيّ الكامل، واستناداً إلى ذلك لا يمكن عزل ظاهرة العنف والإرهاب السياسيّ في العراق عن مجمل بنية النظام السياسيّ بعد عام ٢٠٠٣م، لأن الدولة وبنيتها السياسيّة تتحمّل جزءاً كبيراً من المسؤولية عن الإرهاب السياسيّ، مثلما يتحمّل مستخدمو العنف الذين يمارسونه ضد الدولة والمجتمع في آن واحد. لقد اشتركت في العملية السياسيّة في العراق بعد الاحتلال الأمريكيّ، أحزاب الإسلام السياسيّ وحركاتٌ أصولية لعبت دوراً كبيراً في الحياة السياسيّة، بيد أن أغلب هذه الحركات والأحزاب قد اتسمت أيديولوجيتها بالطابع الدينيّ والمذهبيّ، وبالرغم من محاولتها التحوّل إلى أحزاب سياسيّة والمشاركة في العملية السياسيّة إلا أن الطابع المذهبيّ ما يزال يحكمها بشكل أثّر في أدائها وسلوكها السياسيّ، وفي الوقت نفسه اتسمت هذه الأحزاب بالتعصّب الأيديولوجيّ الذي يجعل الحزب أو الحركة تنظر إلى مَن يختلف معها، نظرة عدائية بدلاً من اعتباره حزباً يحمل وجهة نظر مغايرة، وأن صناديق الانتخابات هي التي تحكم بينهما. ولكن في المقابل دخلت الساحة العراقيّة تنظيماتٌ إرهابية مثل القاعدة وداعش، تحمل فكراً وأيديولوجيا التكفير كسلاح في مواجهة الخصوم، إذ إنها قد تغذّت من الظروف التي نتجت عن الاحتلال الأمريكيّ للعراق، وواقع المأساة الطائفيّة للسلطة السياسيّة، وهذا التناقض قد أنتج «عنفاً تبادليًّا، العنف والعنف المضادّ الذي يؤدي إلى اضطراب الحركات الجدلية الثلاث: (الدين، السياسة، العنف)، وتحوّلها من صورة الجدل إلى حالة الدوّامة التي تختلط فيها الأدوار، وتتبدل المراكز، فيكون السياسيّ دينيًّا وعنيفاً، ويكون الدينيّ سياسيّا وعنيفاً، ويكون العنف دينيًّا وسياسيًّا»(٢٢). لقد اعتمد بناء النظام السياسيّ في العراق على السمات الطائفيّة الأثنية، حيث تشكلت السلطة السياسيّة بتصنيفات أدت إلى تقسيم الوطنيّة العراقيّة مثل: عرب سُنّة وشيعة وأكراد، وترتّب على هذا الواقع عدة تداعيات أبرزها: تقديم الولاءات الفرعية الطائفيّة والأثنية والقبلية على حساب الهوية الوطنيّة والولاء الوطنيّ، وكذلك توليد شعور التهميش لدى طوائف وجماعات معينة في المجتمع العراقيّ، وهذا كان نتيجةً للأخطاء الكارثية التي وقعت فيها أحزاب السلطة، وهي أحزاب الإسلام السياسيّ بشقّيه السُنّيّ والشيعيّ، حيث استطاعت تلك الأحزاب والكتل السياسيّة عن طريق عناصر ميلشياتها، التغلغل في كل مرافق الدولة العراقيّة ومؤسساتها وخاصةً المؤسسات الأمنيّة، ومارست أقسى أنواع العنف والإرهاب

٢١ ()للمزيد راجع، سليماني، محمد، مشاركة الحركة الإسلامية في السلطة: نموذج حركة حمس الجزائرية، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسيّة، جامعة وهران، كلية الحقوق، الجزائر، ٢٠١٢، ص١٣٩

٢٢ ()زيدان، يوسف، اللاهوت وأصول العنف الديني، مصدر سابق، ص٢٢٧

السياسيّ ضد الدولة والمجتمع بالتهجير الطائفيّ والاعتقالات والتغييب في السجون والمعتقلات، بالإضافة إلى عمليات الاغتيال والخطف وغيرها من أساليب العنف والإرهاب السياسيّ، من خلال تلك المؤسسات والأجهزة الأمنيّة والشرطية التي شكلتها تلك الأحزاب والقوى الإسلاميّة الحاكمة في العراق على أسس طائفية(٢٣).

حزب الله والدولة اللبنانيّة:

تأسس حزب الله في لبنان عام ١٩٨٢م كجزء من جهد إيرانيّ لتجميع مجموعة متنوّعة من الجماعات الشيعيّة اللبنانيّة المسلّحة تحت سقف واحد. ومنذ تأسيس الحزب لم يشارك في العملية السياسيّة إلا في عام ١٩٩٢م إذ شارك في الانتخابات التشريعيّة، معتمداً على تعبئة جماهيره من خلال إصدار فتوى دينية بوجوب انتخاب مرشّحي الحزب، بغية الوصول إلى الحكومة والمشاركة في السلطة. ومن خلال هذه المشاركة السياسيّة في السلطة طرح حسن نصر الله أمين عام الحزب، مسألة الدولة القوية وإشكالية المقاومة والسلاح، لكن الحقيقة في جوهرها تؤكد أن أهمّ ما جاء في منهاج حزب الله، يكمن في طموحه بإقامة الدولة الإسلاميّة على غرار الجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة، إلا أنه في الوقت نفسه ميّز الحزبُ ما بين الفكر والبرنامج السياسيّ؛ بمعنى أن حزب الله يرى أن الفكرة السياسيّة لا تسقط إذا كان الواقع السياسيّ غير موات لتطبيقها، كما هو الحال بالنسبة لفكرة إقامة دولة إسلاميّة في لبنان، فهي فكرة حاضرة على مستوى الفكر السياسيّ، أما على مستوى البرنامج السياسيّ فإن خصوصيات الواقع اللبنانيّ لا تساعد على تحقيق هذه الفكرة

> **تستخدم الحركات الإسلامية الأصولية المعاصرة تصوراً ماضوياً للإسلام يرتبط بواقع آخر لا يمت بصلة للواقع الراهن الذي تعيشه قيادات هذه الحركات وزعاماتها في العصر الحديث، فهذه الحركات أو التنظيمات الجهادية لا تستخدم الإسلام كإيديولوجيا ثورية للإصلاح السياسيّ والاجتماعيّ، في ضوء معطيات الواقع الراهن، كما حدث في مرحلة مقاومة الغزو الأجنبيّ، بل للوصول إلى السلطة فقط**

بحسب رأيه (٢٤).

عند دراسة أدبيات الحزب وسياسته وطبيعة علاقاته وصلاته، والبحث في مواقفه وروابطه، يجب أن نستحضر عقيدته التي يؤمن بها والطائفة التي ينتمي إليها، ومن خلال تحليل أفكار حزب الله وموقفه من الدولة اللبنانيّة يتجلى لنا مدى الارتباط الوثيق بينه وبين إيران منذ نشأته، هذا الارتباط يمثّل الإيمان المطلق للحزب بنظرية ولاية الفقيه كأساس لنشوئه في لبنان، بل إن أصل نشأة حزب الله جاءت بعد موافقة (الخُميني)، إذ استلهم الحزب أفكاره وتطلعاته من تجربة الثورة الإسلاميّة في إيران، ومن هنا كانت وما زالت منطلقاته تقوم على توجيه الوليّ الفقيه المتمثل ب (الخُميني) ومن بعده (خامنئي). استطاع الحزب أن يوائم بعمله بين إسلاميّة المنهج ولبنانيّة المواطنة، وقد

٢٣ ()للمزيد راجع، العاني، إحسان شفيق، الأنظمة السياسيّة والدستورية المقارنة، الناشر، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسيّة، سنة الطبع بلا، ص ٢٠، والزبيدي، رشيد عمارة، العنف السياسيّ في العراق، مجلة شؤون عراقية، المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية، عمان، العدد صفر، ٢٠٠٩، ص٤٧

٢٤ ()للمزيد راجع، الخضري، أنور قاسم، حزب الله من النصر إلى القصر، الناشر، www.pdf-kutub.com ، ص١١٣ص١١٤ ولاحقا

سعى حزب الله أن يمارس أسلوباً عسكريّاً تعبويّاً مزدوجاً في تفريغ الدولة اللبنانيّة من داخلها؛ الأول من خلال إشاعة أجواء فوضى سياسيّة مقنّنة بإرباك التوازن الطائفيّ السياسيّ الهشّ في لبنان، والثاني عن طريق التورّط في حروب مع الكيان الصهيونيّ بشكل منفرد من أجل سحب قرار الحرب والسلم من الدولة لحساب الحزب. إن فكرة الدولة الموازية لدى حزب الله ليست طارئة بناء على بنيته الطائفيّة الشيعيّة التي رافقته منذ بداية تأسيسه، والتي لا تعترف بشرعية الدولة، ولذلك كان الحزب وما زال يسعى إلى إبقاء الدولة ضعيفة ومنهكة من خلال الاحتفاظ بسلاحه قبل اتفاق الطائف وبعده (٢٥).

لقد اتّضحت الأهداف الحقيقيّة للحزب في الأزمات السياسيّة التي شهدها لبنان، عندما فرض حزب الله وجوده على الدولة اللبنانيّة عبر عملياته العسكريّة ضدّ الجيش الإسرائيليّ، والتدخّل المسلّح في سوريا خلال الحرب الأهلية التي اندلعت بعد الاحتجاجات الشعبيّة عام ٢٠١١، الأمر الذي عزّز من دوره المقرّر في العمل السياسيّ في لبنان.

تيار الإسلام السياسيّ الشيعيّ في البحرين:

كان أهم ما طرحته الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة من تأثيرات في الوضع السياسيّ في البحرين، هو قيام العديد من المنظمات الإسلاميّة. ففي عام ١٩٨٠م ظهرت على الساحة السياسيّة (حركة الوحدة الإسلاميّة) وفي العام نفسه ظهرت (حركة الشهداء الإسلاميّة). كما تأسست في العام نفسه (حركة أحرار البحرين الإسلاميّة)، وتُعدّ الأخيرة من التنظيمات الإسلاميّة الشيعيّة البحرينية التي لم تطالب بإسقاط النظام، بل كانت مطالبها تتمحور حول العودة إلى الديمقراطيّة وإطلاق سراح المعتقلين السياسيّين، والسماح للحريات العامة، ما أكسبها نفوذاً واسعاً بين أبناء الطائفة الشيعيّة في البحرين، خاصة وأنّ الحركة حرصت على إصدار بياناتها من لندن وبيروت بخلاف الجبهة الإسلاميّة لتحرير البحرين، التي تصدر تصريحاتها من طهران(٢٦).

كذلك يوجد في مملكة البحرين عدد من الحركات وتيارات الإسلام السياسيّ الشيعيّ، التي تأثرت بالحركة السياسيّة الإسلاميّة الشيعيّة في العراق وأفكار مرجعية النجف، مثل (جمعية الوفاق الوطنيّ، الجبهة الإسلاميّة لتحرير البحرين، خط الشيرازي، تنظيم حزب الدعوة). وتُعدّ جمعية الوفاق من أبرز هذه التيارات التي تمثّل النفوذ الطاغي لتنظيمات الإسلام السياسيّ الشيعيّ في البحرين، بيد أن أجندة جمعية الوفاق كانت وما تزال متوافقة تماماً مع الطموحات الإقليميّة الإيرانيّة. عموماً إن موقف التنظيمات الشيعيّة في مملكة البحرين معارضٌ للدولة والسلطة، إذ طالبت هذه التنظيمات والحركات الحكومة البحرينية بإصلاح النظام السياسيّ مقترحةً بعضاً من الخطوات منها: تعديل الدستور، وتعديل النظام الانتخابيّ، وإصدار قوانين لتعزيز استقلالية القضاء، وتحريم التمييز على أساس الطائفة. وقد قاطعت معظم التيارات الشيعيّة الإسلاميّة الانتخابات البرلمانية لعام ٢٠٠٢م، ومن ثم تغيّرَ موقفها من السلطة، وعادت لتشترك في الانتخابات البرلمانية لعام ٢٠٠٦م إذ اتّجهت إلى سياسة تهييج الشارع بمنحنى طائفيٍّ، بالرغم من أنهم اشتركوا في العملية السياسيّة، ودعت إلى مظاهرات ومسيرات اعتصام أدّت إلى صدامات مع السلطة نتج عنها سقوط ضحايا من الجانبين. إن هذا التصعيد يعود إلى سعي تيار الإسلام السياسيّ الشيعيّ في البحرين، وكما ذكرنا، متأثّراً بالتجربة الإيرانيّة، إلى إسقاط الأسرة الحاكمة، لا

٢٥ () هو الاسم الذي تعرف به وثيقة الوفاق الوطني اللبناني، التي وضعت بين الأطراف المتنازعة في لبنان، وذلك بوساطة السعودية في ٣٠ أيلول/ سبتمبر عام ١٩٨٩

٢٦ () للمزيد راجع، الباز، أحمد، الثورة والحرب-تشكيل العلاقات الإيرانية الخليجية، الناشر، دار العربي، القاهرة، ٢٠١٨، ص٨٥

سيما أن إيران كانت وما تزال تدعم جميع التيارات والتنظيمات والأحزاب الشيعيّة في البحرين وفي كلّ المجالات، وخصوصاً الدعم الماديّ. ولتنفيذ هدف إسقاط النظام اتخذت جميع التنظيمات الشيعيّة في البحرين سياسة تدريجيّة، تتمثل بالدعوة للإصلاح الشامل والجذريّ للنظام السياسيّ. لكنها تتباين في رؤيتها؛ فقسمٌ منها يطالب بالإصلاح التدريجيّ بالاعتماد على مفاوضات جدّيّة مع السلطة، كونها تبنّت شعار الملكية الدستورية الديمقراطيّة وإعادة صياغة إستراتيجية سياسات الدولة، وقسمٌ آخر كحركة الوفاق تدعو إلى النضال السلميّ للجماهير لإجبار السلطة على التفاوض، في حين تطرح أحزاب وتنظيمات شيعية أخرى رؤيةً متباينةً بين إصلاح النظام وأحياناً إسقاطه، والبعض الآخر دعا إلى إجراء استفتاء شعبيّ لتحقيق خيار التغيير (٢٧).

لكن في نهاية الأمر جُمِع أغلب التنظيمات الشيعيّة في البحرين على «**ضرورة المشاركة الحقيقية في الحكم والعمل من خلال النموذج الديمقراطيّ، وإقامة التحالفات السياسية مع الأطراف الأخرى بما يجعلها في موقع اليسار دائماً من السلطة**»(٢٨).

تعقيب الباحث:

إن دراسة ظاهرة الإرهاب وتفسيرها تحت غطاء دينيّ، تُعدّ من أهم البواعث والدوافع التي تدفع بالإرهابيّ ليرتكب جرائمه الإرهابيّة، مع تأكيد أن مصطلح الدين المقترَن بالإرهاب لا يعني البتّة أن تعاليم الدين الإسلاميّ وقيمه تدعو إليه، وإنما جاء هذا الاقتران نسبةً إلى التفسيرات المشوّهة التي أطلقها البعض على بعض الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة، لتوفير شرعية تبرر رفضهم للآخر المغاير، وتكفيره وممارسة العنف ضدّ الأفراد والمجتمع. وبالتالي فنحن أمام عنف مؤدلج يستند إلى قاعدة فكرية ومبادئ ومفاهيم معينة، وهو العنف الأخطر الذي يهدد المجتمعات الحديثة، والذي ينطبق عليه وصف الإرهاب بشكل دقيق، لأنه في هذه الحالة لم يعدْ جريمة عادية أو فعلاً غير مقصود، وإنما تحوّل إلى أيديولوجية قائمة على مبدأ الإرهاب واستخدام العنف، من أجل الحصول على مكاسب سياسيّة أو اجتماعيّة أو دينية وحتى فكرية وثقافية، لا سيما إذا عرفنا أن هذه المجموعات تستهدف إقامة نموذج لدولة وقانون وقيم اجتماعيّة، كالتي رأينا قسماً منها في أفغانستان إبّان حكم طالبان لها، أو «خلافة» داعش. ومن هذا المنطلق، فالبعد الأيديولوجيّ للإرهاب، هو عقيدة يعتنقها الكثيرون تشرع القتل، وتحتكم دائماً إلى مبدأ العنف في الوصول إلى غاياتها، ولا يُخفى أن أغلب أيديولوجيات الإرهاب تستند إلى مبدأ أصوليّ متطرّف يعتمد على الدين.

تقييم الباحث:

في نهاية القرن العشرين واجه العالم عملية إحياء للأصولية الدينيّة، إذ شكّل الدافع الدينيّ أهم سمة مميّزة للإرهاب في الظروف المعاصرة، بعد أن أصبح الدين مرجعيّة مهمة وواحداً من المصادر الفكريّة الأساسيّة التي تعتمد عليها الجماعات والحركات والأحزاب المتشدّدة، وهذا ينطبق على المنظمات الإرهابيّة التي تستخدم الدين الإسلاميّ مرجعيةً نظريةً، مثلما تعتمد منظمات أخرى على اليهودية أو المسيحية، أو غيرها من المنظمات التي تعتمد على أفكار التعصّب القوميّ. ونتيجةً لذلك أصبح العنف منتشراً والإرهاب مستفحلاً، إذ إن الإرهاب ذا الطبيعة الدينيّة يمتلك خصوصية لأنه ينطلق

٢٧ ( ) للمزيد راجع، العكري، عبد النبي، دور الحركة الإسلامية في انتفاضة ١٤ فبراير، الناشر، مركز البحرين للدراسات، لندن، سنة الطبع بلا، ص٥ص٦ ولاحقا

٢٨ ( ) الخواجة، عبد الهادي، والمرشد، عباس، دراسة التنظيمات والجمعيات السياسيّة في البحرين، الناشر، المركز اللبناني للدراسات والبحوث، لبنان، ٢٠٠٧، ص ٣٠

"إن تجربة الإسلام السياسيّ في الحكم، ومحاولات أسلمة المجتمع السودانيّ بالعنف لما يقارب ربع قرن، خلقت إشكاليات كبيرة في المجتمع أدت في النهاية إلى عزلة تيار الإسلام السياسيّ وسلطته عن المجتمع السودانيّ، بعد أن سعت الجماعة إلى صهر مكونات الشعب السودانيّ في قالب عربيّ إسلاميّ، في حين كان المجتمع السودانيّ يتطلع إلى التعبير عن ذاته التعددية، ما خلق حالة من الاستقطاب أدّت إلى تجزئة السودان"

من أفكار عقائديّة مؤدلجة وحركة سياسيّة فعّالة، ومن خلاله يقترف ممارسوه أفظع جرائم القتل والاختطاف والممارسات الإرهابيّة الأخرى. وفيما يخص البلدان العربيّة فقد شكّلت جماعة الإخوان المسلمين والجماعات المتفرّعة عنها، أولى هذه الحركات التي استخدمت العامل الدينيّ لممارسة العنف والعنف المضادّ في سياق صراعات مع النظم الحاكمة والدولة والمجتمع.

ولعلّ من أهم الأسباب الفكريّة التي ساعدت على ظهور الجماعات المتطرّفة، نجد التشددّ والغلوّ في الدين الذي يكون نتيجة الفهم والتأويل الخاطئ لمقاصد الدين والشريعة الإسلاميّة، والذي تغذّيه عدّة عوامل تساعد على انتشاره ونموّه، إذ يمثّل الخطاب الثقافيّ والفكريّ أبرز هذه العوامل، ذلك الخطاب الذي يقدّم العنف والإرهاب على أنه يهدف إلى تطبيق الشريعة ومبادئ الإسلام، وإسقاط الأنظمة الظالمة ومقاومة الاحتلال الأجنبيّ. وبناءً على ذلك يجري تبرير الأعمال الإرهابيّة من قتل أبناء الطوائف غير الإسلاميّة، وسبي النساء والأجانب والمخالفين لهم والتمثيل بهم، وكل هذه الأعمال الإرهابيّة الأخرى التي قامت بها المنظمات الجهاديّة السلفيّة وآخرها تنظيم القاعدة وداعش، حيث يجري تسويقها إعلاميّاً من قِبلهم على أنها أعمال تخدم الدين والمقاومة.

وتأسيساً لذلك فإن تزييف النصوص الدينيّة، واستخدامها في غير مجراها الطبيعيّ، أدّى إلى حالة من الفوضى في تفسير النصوص الدينيّة وتأويلها قادت إلى تنامي العنف، وخير دليل على ذلك قضية الجهاد في الإسلام التي انحرفت تفسيراتها عن جوهر معناها في القرآن والسنّة النبوية، وبالتالي أصبح الجهاد إرهاباً بعد أن تحوّلت فكرة الجهاد لدى جماعات الإسلام السياسيّ الراديكاليّة، إلى فكرة تكفير المسلم ومن ثَم شرعية قتله، هذا بالإضافة إلى أن عوامل الفقر والحرمان الاقتصاديّ والأمّية وغياب الوعي السياسيّ، تُعدّ من بين أهم العوامل المؤدّية إلى ظهور الجماعات المتطرّفة وخلق ظاهرة العنف الإرهابيّ، تلك العوامل جميعها أسهمت بشكل كبير في انتشار هذه الظاهرة في مجتمعاتنا.

الخلاصة:

كما ذكرنا في بداية تحليلنا لظاهرة الإرهاب السياسيّ، أن خطر الأصولية الإسلامية قد ازداد، واتسعت رقعة نشاطها، ويرجع كل ذلك لعدة عوامل، أبرزها:

١- المعايير المزدوجة للدول الغربية فيما يخص حقوق الإنسان، ومن تجلياتها تأييد الأنظمة الدكتاتورية في كثير من البلدان العربيّة والإسلاميّة، وتأييد سياسة إرهاب الدولة الإسرائيليّة ضد الشعب الفلسطينيّ والشعوب العربيّة، كذلك الحصار والعقوبات

الاقتصاديّة المفروضة على عدد من البلدان العربيّة والإسلاميّة.

٢- ممارسة القوة في العلاقات الدولية واللجوء لسياسة الغزو العسكري، كما حدث لأفغانستان عام ٢٠٠١م، والعراق عام ٢٠٠٣م بحجّة الحرب على الإرهاب.

٣- تقديم المساعدات بما فيها الدعم العسكري للمنظمات المتطرفة، وذلك لحسم صراعها مع الدولة والمجتمع، كما حصل خلال الأحداث التي جرت في عدد من الدول العربيّة بعد اندلاع الاحتجاجات الشعبيّة عام٢٠١١م.

٤- الاستبداد السياسيّ والظلم الاجتماعيّ الذي تمارسه السلطات في كثير من البلدان العربيّة والإسلاميّة.

ومن هذا المنطلق كان للأصوليّة الإسلاميّة تداعياتها السياسيّة والعسكريّة الخطيرة على المستوى الداخليّ للدول العربيّة والإسلاميّة، تلك التداعيات التي وضُحت بقوة بعد احتجاجات الربيع العربيّ. لقد سعت الولايات المتحدة الأمريكيّة إلى محاربة الإرهابيّين في العراق حتى يُمنَع وصولهم إلى بلدهم، لكنهم تناسَوا أن هؤلاء لم يعودوا بحاجة إلى قطع آلاف الأميال والمرور عبر عدّة مطارات وتعرّضهم للاحتياطات الأمنيّة العالميّة، للوصول إلى أي ولاية من الولايات الأمريكيّة، حيث يوجد في العراق إبّان الاحتلال الأمريكيّ ما يقارب ١٥٠ ألف جنديّ أمريكي يشكّلون هدفاً لتنظيم القاعدة وباقي فصائل المقاومة العراقيّة. ومن واقع الأحداث والمجريات فقد حققت إستراتيجية تنظيم القاعدة بجرّ الولايات المتحدة الأمريكيّة إلى حرب فاشلة في المنطقة من ناحية، وإشعال فتيل الحرب الأهليّة الطائفيّة من ناحية أخرى، تلك الحرب الأهليّة التي أسهمت فيها دول الجوار بشكل كبير جداً (٢٩).

ونتيجةً لهذا فقد أصبح الإرهاب من الظواهر الخطيرة التي أدت إلى زيادة الخطر على الأمن الإنسانيّ، إذ تعدّى مرحلة المحلية وانتقل إلى العالميّة، بحيث أصبح إرهابًا معولماً، بمعنى أن يد الإرهاب طالت أغلب دول العالم، فضربت في واشنطن ولندن وبرلين، وكذلك في شرم الشيخ والجزائر وتونس والمغرب وحتى في السعودية، وبالتالي فإن الإرهاب أصبح يمثّل مصدرًا من مصادر الخطر على المجتمع العالميّ المعاصر.

ووفقاً لما تقدّم، فنحن أمام مشكلة مهمة وهي، اعتماد الغرب على الخلط بين الجماعات الأصوليّة وبين الدين الإسلاميّ، إذ تمّ إلصاق اسم الدين بالإرهاب، لكن هذا ينافي جانباً من الواقع، ذلك أن إلصاق صفة الإرهاب بالإسلام وإعفاء الآخرين منها ستكون مقصودة ومغرضة، كما أن استخدام كلمة الجهاد والجهاديّين على العمليات الإرهابيّة، هو الآخر أمر مقصود ومفتعل، لأن للجهاد شروطَه، والجهاد من أجل الحقّ هو غير الإرهاب، بل هو جهاد دفاعيّ هدفه حماية البلاد والعباد من العدوان والإرهاب والظلم. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحروب الدينيّة قديماً هي أحد أبرز الأمثلة التاريخيّة حضوراً عند الحديث عن العنف الدينيّ.

وفي النهاية فإن الخطاب الدينيّ ليس مجرّد كلمات تُلقى، وإنما هو رسالة ذات مضمون فكريّ ودينيّ واجتماعيّ له أثر كبير في توجيه الإنسان، وإن إساءة استخدامه من قِبل الجماعات المتشدّدة التي تحاول نشر أفكارها التي تهدّد الأمن والسلم الدوليَّين، لما تتضمّنه من أفكار العنف والتطرّف والإرهاب، توجب على العلماء ورجال الدين مواجهة هذه التحدّيات الخطيرة من خلال تقديم الرؤية الصحيحة لمبادئ الإسلام، وتصحيح المفاهيم، ومحاربة فكر الإرهاب والعنف والتشدّد والتطرّف، وذلك عن طريق التفسير الصحيح للنصوص الدينيّة التي تؤكد مقاصد الشريعة السمحاء، ومن ثم تأسيس خطاب دينيّ متسامح.

٢٩ ()للمزيد راجع، عطوان، عبد الباري، القاعدة: التنظيم السري، الناشر، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٧، ص٨ص٩

كيف تحدد الجغرافيا سلوك الدول؟ وتأثير الجيوبولتيك على السياسة؟

"روسيا وتركيا نموذجاً"

أحمد دالي

من أكثر علاقات التأثير والتأثر على الساحة الدولية، هي تلك العلاقات التي تنشأ بين الجغرافيا والسياسة في إطار ما يُسمى «الجغرافيا السياسية»، وثمة تعريفات عديدة بهذا الصدد فيما يخص الجغرافيا السياسية، ولعلّ من أكثرها شمولاً للمصطلح ودقّة لمعناه: "هي علم يبحث في تأثير الجغرافيا بما تتضمنها من مناخ وتضاريس وموقع على السياسة". ويمكن التوسع في هذا المفهوم لنقول إن الجغرافيا السياسية هي الطريقة التي تؤثر بها المساحة الجغرافية بما تحتويها من تفاصيل، بالإضافة إلى الشعب الذي يعيش على تلك الرقعة الجغرافية، على أحوال وسياسات وظروف الدول،

وتأسيساً على ما تقدم يمكننا القول إن اتخاذ قرارات مهمة على الصعيد الدولي بإنشاء ممرات وقنوات وجسور، تعكس تلك العلاقة الثنائية في تأثيرها ما بين الجغرافيا والسياسة، ولعلّ من أشهر الأمثلة على ذلك قناة السويس في مصر، فقد كان قرار فتح القناة عام ١٨٦٩ قراراً سياسياً بحتاً مبنياً على التواجد الأجنبي في مصر، ومدى النفوذ السياسي الموجود في تلك الرقعة الجغرافية، ولكنه في الوقت عينه راعى الموقع الجغرافي الذي تم إنشاء القناة فيه، أي إن القرار السياسي احتاج إلى الدراسة الجغرافية للمكان، من حيث الاتجاهات وميول الأرض والمسافات والعنصر البشري، الذي سيكون قوة العمل في الحفر، ومرة أخرى يعود التأثير المتبادل بين كلّ من السياسة والجغرافيا، أنه انعكس ذلك المشروع على دولة مصر بشكل إيجابي وفاعل، من حيث المكانة السياسية بين الدول والقوة الاقتصادية الناتجة عن إيرادات القناة، وبعبارة مجملة ومختصرة، يمكن القول إن الجغرافيا السياسية تعتني بالطرق والوسائل التي تتأثر بها العمليات والخطوات السياسية بالأبعاد والهياكل المكانية، وكما أسلفنا بالقول فإن القرارات السياسية المبنية على الجغرافيا قد تغيّر الوجه الجغرافي الطبيعي لمناطق كثيرة في العالم، كحالة قناة السويس مثلاً وقناة بنما والجسور العملاقة.

إن الخوض في دراسة من هذا النوع يتطلب منا البحث في البدايات الأولى لنشأة هذا المصطلح "الجغرافيا السياسية" والتطرق أيضاً إلى علم الجيوبولتيك والفروقات التي ينفرد بها مقارنة مع الجغرافيا السياسية والجيوإستراتيجية، وسنخصص جزءاً لا بأس به حول تأثير المصطلحات السابقة الذكر على سلوك وسياسات الدول، وسندرس النموذجين التركي والروسي في هذه الحالة مثالاً.

لهذا سنقسّم هذا البحث وفق التفاصيل التالية:

١ـ نشأة الجغرافيا السياسية عبر التاريخ

٢ـ مجالات وميادين الجغرافيا السياسية

٣ـ علاقة علم الجيوبولتيك بالعلاقات الدولية

٤ـ تأثير الجغرافيا على سياسات وسلوك الدول

٥ ـ خاتمة

****

أولاً: نشأة الجغرافيا السياسية عبر التاريخ

تُعتبر الجغرافيا السياسية علماً حديثاً إلا أنه علم أكاديمي على الرغم من حداثته، وحداثة هذا العلم الأكاديمي ذي الدرجة العالية والحساسية الدقيقة في العلاقات الدولية، لا يعني أنه وُلد على حين غرّة أو أنه خرج إلى الساحة العملية فجأة بدون مقدّمات، بل إن هذا العلم يستمدّ جذور نشأته الأولى من التاريخ، فعلى الرغم من حداثته إلا أنه يعود بمبادئه الأولى إلى ساحة الفلسفة القديمة، وبالإمكان الإشارة إلى مشاهير الفلاسفة والمفكرين الأوائل الذين زرعوا البذور الأولى له، فمن أشهر من خاض في ميدان الجغرافيا لدى اليونان القديمة الفيلسوف أرسطو من خلال دراسته (الحجم السكاني الأمثل للدولة، المساحة الأفضل للدولة) ومن الفلاسفة العرب كان ابن خلدون واضع ومؤسس علم الاجتماع من الذين زرعوا البذور الأولى من خلال الدراسة والتعمّق في (دورة حياة الدول). ولكن في العصر الحديث يُعتبر الألمان سبّاقين في وضع أسس هذا العلم عن طريق عالم الجغرافيا الألماني فريدريك راتزل من خلال كتابه (الجغرافيا السياسية) الذي وضعه عام ١٨٩٧ وقد صدر عن العلماء الألمان كتب كثيرة في هذا الخصوص، تتحدّث عن الدولة والإقليم وجغرافية المستعمرات وجغرافية الانتخابات والخطط الجيوبولتيكية التي تحكم العلاقات السياسية الحربية.

ثانياً: مجالات وميادين الجغرافيا السياسية

إن النمط السياسي والسكاني للعالم نمط معقّد ومتشعّب إلى حدّ كبير، بالقدر الذي تطغى عليه سياسة التجزئة والتقسيمات الاعتباطية بشكل سافر. فالكرة الأرضية مقسّمة إلى وحدات سياسية وجغرافية، تتفاوت في المساحة وعدد السكان وطبيعة الأرض والبيئة والمناخ والخيرات السطحية والباطنية. وهذه التقسيمات لم تأخذ في حسابها التوزيع العادل من حيث الاعتبارات السابقة بين الوحدات السياسية القائمة على شكل دول أو أقاليم أو مقاطعات أو ولايات. وإنما هي ـ أي التقسيمات ـ قائمة على اعتبارات سياسية بالدرجة الأولى، وهي ناجمة عن نتائج الحروب والاتفاقات السياسية المبنية إما على الاتحاد أو التفرقة. ونادراً ما أخذت تلك التقسيمات بالحدود الطبيعية الجغرافية للدول. وبالتالي فإن من أهم قضايا واهتمامات الجغرافيا السياسية التي تحاول معالجتها، هو تبسيط هذا النمط المعقّد والمتشابك للعالم. فهي تهتمّ وتواكب مظاهر وأشكال التحولات في كلّ رقعة من الوحدات السياسية من حيث مواردها وسكانها وعلاقاتها وتكتّلاتها بالدول الأخرى.

ومن جانب آخر تأخذ الجغرافيا السياسية على عاتقها مهمة دراسة وتحليل القوة الجغرافية طبيعياً وحضارياً واقتصادياً، وربط كل ذلك بالعناصر الرئيسية المحركة للعالم (**الإنسان، التاريخ، الزمان، المكان، الظرف**)، وهي لا تنفكّ عن العلوم السياسية والنظام الدولي والقانون الدولي والجغرافيا التاريخية.

وبالعودة إلى تأثير الجغرافيا على السياسة فإننا سنجد أن أثينا كانت إمبراطورية بحرية وقوة عظيمة بسبب موقعها الجغرافي، بينما كانت إسبارطا قوة برية لا بحرية. كهذا أيضاً بسبب الموقع الجغرافي. ولنفس السبب تمتّعت جزيرة بريطانيا والبرتغال وإسبانيا ـ على سبيل المثال ـ بحرّية الملاحة في البحار بينما كانت دول أخرى تعيش حالة خانقة بسبب عدم انفتاحها على أي بحر أو محيط.

> **"تعتبر الجغرافيا السياسية علماً حديثاً إلا أنه علم أكاديمي على الرغم من حداثته، وحداثة هذا العلم الأكاديمي ذي الدرجة العالية والحساسية الدقيقة في العلاقات الدولية، لا يعني أنه ولد على حين غرة أو أنه خرج إلى الساحة العمليّة فجأة بدون مقدمات، بل إن هذا العلم يستمدّ جذور نشأته الأولى من التاريخ، فعلى الرغم من حداثته إلا أنه يعود بمبادئه الأولى إلى ساحة الفلسفة القديمة"**

ثالثاً: علاقة علم الجيوبولتيك بالعلاقات الدولية

يقول نابليون بونابرت: "إن معرفة جغرافية الدولة يعني معرفة سياستها الخارجية". ويُعتبر علم الجيوبولتيك بمثابة السلوك السياسي والبيئة السياسية لأي دولة. وهناك من يرى في هذا العلم أنه دراسة العلاقة بين الأرض والسياسة، أي أن المعطيات الجغرافية هي التي تحدد سياسات وسلوك الدول. والمصطلح مركّب مؤلف من كلمتين: (**جيو**) التي تعني الأرض و(**بولتيك**) التي تعني السياسة. وبالتالي فإن الجيوبولتيك تعني (**علم سياسة الأرض**)، وهو ثمرة المزج بين علمَي الجغرافيا والسياسة.

ارتبط هذا العلم ارتباطاً وثيقاً بالحرب لأنه نما في ظروف عسكرية. فالظروف التي عاشها العالم بين الحربين العالميتين وما رافق ذلك من الظروف

”لقد أظهرت مرحلة ما يسمى بالربيع العربي دور تركيا الطامع في اختراق العمق العربي والإسلامي من خلال العمل على تمكين الأخوان المسلمين، ومحاولة السيطرة على الحكم في تونس وليبيا ومصر وسوريا وقطر والعراق، ولم تسلم القارة الإفريقية أيضاً من محاولات تركيا الرامية إلى أخونة (سيطرة الأخوان المسلمين) بعض الدول فيها، ومن ثم تزعم مشروعها الإسلامي الأخواني في تلك الدول“

الحربية والاستعدادات العسكرية، كان له دور كبير في ميلاد هذا العلم، وشيئاً فشيئاً ارتقت الجيوبولتيك وصعدت إلى مصافي العلوم الراقية، وذلك بفضل الأهمية التي تتمتع بها في رصد المصالح القومية العليا للدول ورسم السياسة الخارجية لها، وهما من أهمّ المسائل بالنسبة لأي دولة.

ولا بدّ من التوسّع والتطرّق قليلاً ههنا في بعض نقاط التفريق بين الجيوبولتيك والجغرافيا السياسية، ففي الوقت الذي يرسم ويخطط علم الجيوبولتيك ما ينبغي للدولة أن تسير عليه، نجد أن الجغرافيا السياسية تدرس كيان الدولة الجغرافي من حيث هو قائم على أرض الواقع، فإذاً: الجيوبولتيك يضع تصورات عن حالة الدولة وظروفها المستقبلية، بينما تصبّ الجغرافيا السياسية اهتمامها على رسم وتصوير صورة الواقع الراهن، ولذلك فإن الجيوبولتيك يتّصف بالحركة ويجنح إلى التطور والتقدم، وذلك بعكس الجغرافيا السياسية التي تميل إلى الهدوء والثبات، وعلى ذلك الأساس من المفارقات، نجد أن علم الجيوبولتيك يحاول أن يضع الجغرافيا بجميع تفاصيلها ومحتوياتها في خدمة الدولة لتحقيق أهدافها، ولو كان ذلك على حساب جيرانها من الدول وحتى لو تطلّب الأمر المساس بجغرافية الدول المجاورة، في حين تقتصر الجغرافيا السياسية على تحليل الدولة من ناحية جغرافيتها.

نعود مرة أخرى لنقول إن العلاقات الدولية في أساسها تعمل في إطار بيئة دولية، وهذه البيئة الدولية تفتقر إلى العدالة والمساواة، بسبب غلبة المصلحة أكثر من العدل والقانون، ومن جانب آخر لأن السياسات الخارجية للدول هي جيوبولتيكية بالضرورة، لأنها من المفترض أنها ترسم خطط المستقبل، ثم إن النظريات التي جاءت في الجيوبولتيك تتفق جميعاً على مبدأ واحد هو مبدأ القوة، ولكن لم يكن هناك اتفاق على مصدر تلك القوة، فمنهم من يرى القوة في البحر وآخرون رأوا إن القوة تكمن في البرّ، في حين ذهب آخرون إلى أن المزج بين البحر والبرّ هو المصدر الحقيقي للقوة في إطار العلاقات الدولية، فيما اختلف بعض المفكرين الروس ومنهم (ألكسندر دي سفرسكي) عن أصحاب الرؤى السابقة، إذ رأوا أن القوة والسيطرة في الحالة الجيوبولتيكية مرتبطة بالسيادة الجوية قبل كل شيء.

ومهما يكن فإنه ثمة ترابط بين علم الجيوبولتيك وعلم العلاقات الدولية، ذلك أن أهمية الجيوبولتيك بالنسبة للدول يعود لمساهمته في رسم وتحديد أسس قوة الدولة وازهارها والتنبّؤ بمستقبلها، وعلى هذا تأخذ الدولة في حسابها أبعاد أمنها القومي.

وتُعدّ الجيوإستراتيجية مفهوماً أوسع وأشمل من الجيوبولتيك، لأنها تعني التوظيف الأمثل والأفضل لإمكانات الدولة السياسية والجغرافية والاقتصادية والثقافية من أجل تحقيق أهداف الدولة.

رابعاً: تأثير الجغرافيا على سياسات وسلوك الدول

كنتيجة طبيعية لما تقدّم في البحث فإن الدول تجنح نحو تحقيق أهدافها ومصالحها عن طريق الاستثمار الأفضل لسياساتها الخارجية مع الدول الأخرى، واستغلال موقعها الجغرافي إلى أقصى حدّ ممكن من خلال المساومات التي تجريها، وحتى المفاوضات والاتفاقات التي تدخل فيها طرفاً سواء مع دولة جارة قريبة أو أخرى بعيدة لا تشترك معها في أي حدود، وسواء مع دولة ما بشكل منفرد أو مع مجموعة من الدول مجتمعة ومتّحدة ربما على شكل تكتّل سياسي أو اقتصادي أو فيدرالي حتى.

إن موقع الدولة الجغرافي المتميز من خلال عدة اعتبارات سنتأتي على الحديث عنها، لا بدّ وأن يكون سبباً قوياً ودافعاً مشجّعاً لها في أن تدخل إلى ميدان السياسة الدولية بقوة، ذلك أن الدول الأخرى ستكون في حاجة إلى التعامل معها إن كان شكل التعامل من حيث المبدأ تجارياً أو سياحياً أو سياسياً أو ثقافياً أو اقتصادياً أو في مجال الاستثمارات مهما كان نوعها، ولذلك نجد أن بعض تلك الدول وخاصة عندما تدرك أن دولاً أخرى بحاجة إلى استخدام جغرافيتها تميل إلى الدلال والمساومة وربما إلى التعجرف بهدف كسب نقاط لمصلحتها، كما فعلت تركيا مع الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب على العراق عام ٢٠٠٣.

وبالمقابل نرى الدول التي لا تملك الميّزات المطلوبة في موقعها الجغرافي، كيف أن ذلك ينعكس بشكل أو بآخر على سياستها وسلوكها الخارجي على الساحة الدولية، فتكون عاجزة عن فرض مطالبها أحياناً وغير قادرة على لعب سياسة الأخذ والردّ والمناورة للاستفادة من جغرافيتها، وبالتالي قد لا تخرج إلى ميدان الدول الفاعلة والحاكمة.

"يقول نابليون بونابرت: "إن معرفة جغرافية الدولة يعني معرفة سياستها الخارجية". ويعتبر علم الجيوبولتيك بمثابة السُلوك السياسي والبيئة السياسية لأي دولة، وهناك من يرى في هذا العلم أنه دراسة العلاقة بين الأرض والسياسة، أي أن المعطيات الجغرافية هي التي تحدد سياسات وسلوك الدول، والمصطلح مركّب مؤلف من كلمتين: (جيو) التي تعني الأرض و(بولتيك) التي تعني السياسة"

. روسيا نموذجاً

ـ الدور الروسي في النظام الدولي

الركيزة الأساسية التي تحدد طبيعة دور الدولة في النظام الدولي هي القيادة السياسية، لأن القيادة السياسية هي المحور الأساسي في توظيف موارد وقدرات الدولة وتوجيهها، والشخصية السياسية القائدة هي التي تعطي وزناً وثقلاً لمكانة الدولة على الصعيد الخارجي وفي النظام الدولي، حتى لو كانت مواردها محدودة، وعلى العكس من ذلك قد تؤدي القيادة السياسية إلى تراجع دور الدولة مهما كانت غنيّة بمواردها وجغرافيتها، وبالنسبة للنموذج الروسي وفقاً للمراقبين، فإن تراجع الدور الروسي بعد الحرب الباردة كان عائداً إلى طبيعة القيادة السياسية التي تولّت زمام الحكم في تلك الفترة، حيث دخل الاقتصاد الروسي في أزمة اقتصادية حادّة ولم تستطع روسيا الاحادية تحقيق التقارب الاقتصادي الفاعل مع الغرب، هذا على الصعيد

”الركيزة الأساسية التي تحدد طبيعة دور الدولة في النظام الدولي هي القيادة السياسية، لأن القيادة السياسية هي المحور الأساسي في توظيف موارد وقدرات الدولة وتوجيهها، والشخصية السياسية القائدة هي التي تعطي وزناً وثقلاً لمكانة الدولة على الصعيد الخارجي وفي النظام الدولي، حتى لو كانت مواردها محدودة، وعلى العكس من ذلك قد تؤدي القيادة السياسية إلى تراجع دور الدولة مهما كانت غنيّة بمواردها وجغرافيتها“

الداخلي، أما على الصعيد الخارجي فقد شهدت تلك المرحلة تراجعاً واضحاً في الدور الروسي على الصعيد الدولي، ولم تستطع روسيا الاتحادية استعادة مكانتها الدولية على الرغم من عملية إعادة الهيكلة التي قام بها الرئيس ميخائيل غورباتشوف والنخبة الحاكمة من بعده برئاسة بوريس يلتسن، وظلت روسيا في حالة من التدهور على الصعيدين الداخلي والخارجي، في حين شهد مطلع القرن الحادي والعشرين صعوداً للدور الروسي في النظام الدولي، وهذا أيضاً بدوره يعود إلى نمط سياسات القيادة السياسية الجديدة في روسيا، فقد اتجهت هذه القيادة نحو تعزيز دورها الإقليمي أولاً، ومن ثم استعادة مجد الاتحاد السوفيتي السابق على الصعيد الدولي.

ومنذ مطلع القرن الحادي والعشرين أنجبت المدرسة الروسية شخصيات أكاديمية بارزة في صياغة النظريات والتوجهات الإستراتيجية الكبرى والحاسمة لدى الساسة وصنّاع القرار في روسيا، وتركّزت تلك النظريات حول القوة البرية لروسيا في مواجهة القوة البحرية للغرب، ويُعدّ البروفيسور ألكسندر دوغين من أشهر الشخصيات الجيوبولتيكية الروسية المعاصرة.

لقد شكّلت الجغرافيا الروسية الواسعة تصوّرات حول إمكانية أن تتحول روسيا إلى قوة عظمى وقوة عالمية، وقد ذكرت القيادة الروسية في عهد بوتين أن روسيا قوة عظمى ليس فقط بسبب امتلاكها القوة العسكرية والاقتصادية، ولكن أيضاً بفضل الأسباب الجغرافية، وعلى هذا الأساس توجهت اهتمامات السياسة الخارجية الروسية إلى منظور الأوراسية، فشكّل هذا المنظور فلسفة جيوبولتيكية جديدة تعتمد على التوسع الجغرافي ما أمكن، وإيجاد مركز قوة وثقافة مختلفتين، وهذا المركز لا يمكن أن يتحقق أوروبياً ولا آسيوياً بشكل منفرد، وإنما بالخلط والتعامل مع الاثنين، ويُرجع البعض ولادة الفلسفة الأوراسية إلى فكرة مفادها أن جغرافية روسيا الواسعة تمثل مصيرها، وأن هذه الفلسفة وُلدت سنة ١٩٢١.

. تركيا نموذجاً

ـ تأثير العامل الجيوسياسي على سياستها وسلوكها

مع انتهاء مرحلة الحرب الباردة أخذ التيار الإسلامي في تركيا بالصعود رويداً رويداً، وبدأ ينافس من أجل الوصول إلى الحكم على الرغم من العوائق والصعوبات الداخلية وشبه ممانعة خارجية، إلى أن وصل أردوغان إلى الحكم بعد توافق دولي ضمن جيوبولتيك جديدة للمنطقة فيما عُرف بمشروع الشرق الأوسط الجديد، لأن موقع تركيا الإستراتيجي ضمن هذا المشروع فرض عليها أن تلعب دوراً جيوسياسياً على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية وحتى العسكرية.

استطاع علماء الجغرافيا وضع الخرائط التي رسمت صورة دقيقة وواضحة عن الكرة الأرضية، وتوزّع المياه من محيطات وبحار والمناطق اليابسة

عليها. وقد عُرفت هذه الحقبة لدى العالم الجغرافي ماكندر باصطلاح العصر الكولومبي (نسبة إلى كولومبس كريستوفر). ولكن كانت نهاية هذا العصر مع انتهاء القرن التاسع عشر، وبدء مرحلة الجيوبولتيك في نظريته التي تبرز أهمية المنطقة الأوراسية والمعروفة بقلب الأرض.

حاول تركيا منذ صعود الحكم الإسلامي فيها أن تعود لاعباً حيوياً في العمق العربي والإسلامي، والخروج من الدور السلبي الذي كانت عليه في الحرب الباردة، ويزيد من هذا التوجه لدى تركيا بعد طول وقوفها أمام باب الاتحاد الأوروبي للانضمام إليه ولكن دون جدوى، وهذا الدور الذي تسعى تركيا إليه يحتّم عليها زيادة تأثيرها السياسي والاقتصادي على الطرق البحرية، من بحر إيجا إلى البحر الأدرياتيكي إلى المضائق والممرات المائية التي تشرف الجغرافيا التركية عليها، إلى قناة السويس والبحر الأحمر وصولاً إلى الخليج العربي، وتسعى من طرف آخر إلى لعب دور اتصال فاعل بين البحر الأسود وبحر إيجا، ولكن وعلى الرغم من غنى تلك الطرق البحرية التي تعطيها أفضلية تجارية واقتصادية ونوعاً من الاستقلال، إلا أنها لا تغنيها عن الطرق والمسارات البرية، وخاصة طرق نقل الثروات الطبيعية من بحر قزوين باتجاه الغرب ومشروع إمداد الغاز لأوروبا.

لقد أظهرت مرحلة ما يُسمى بالربيع العربي دور تركيا الطامع في اختراق العمق العربي والإسلامي من خلال العمل على تمكين الأخوان المسلمين، ومحاولة السيطرة على الحكم في تونس وليبيا ومصر وسوريا وقطر والعراق، ولم تسلم القارة الإفريقية أيضاً من محاولات تركيا الرامية إلى أخونة (سيطرة الأخوان المسلمين) بعض الدول فيها، ومن ثم تزعّم مشروعها الإسلامي الأخواني في تلك الدول، وهذه المساعي بدأت تظهر واضحة في السياسة التركية الأردوغانية، والعمل على استرجاع أحلام السلطنة العثمانية وأخونة المنطقة ثم تتريكها برمّتها. إن هكذا طموحات كبيرة من جانب الدولة التركية كانت نابعة من أهمية موقعها بالنسبة للصراع الدائر في كل من سوريا والعراق، بهدف لعب دور اللاعب الأبرز والمستفيد الأكبر من مشاريع الثروات النفطية في شمال شرق سوريا، وابتزاز الدول مستفيدةً من موقعها في مشاريع الربط بين آسيا وأوروبا لنقل الثروات الطبيعية ومنها النفط والغاز.

ولكن في مقابل هذه الرغبة والسطوة التوسعية للدولة التركية للعب دور المحور في المنطقة، فقد قوبل هذا الموقف من السعودية بالرفض والتحجيم لتركيا، خاصة وأن السعودية تترأس المنظمة النفطية لدول الخليج العربي، ومن جهة أخرى الإيديولوجية الإسلامية السعودية التي تعارض الأخوان المسلمين الذين تدعمهم تركيا.

خاتمة

يبقى علم الجيوبولتيك من العلوم الحديثة التي دخل التشكيك في مصداقيتها، من حيث يُعتبر علماً أو لا يُعتبر، على اعتبار أن الحوادث التي يدرسها لا يمكن إخضاعها للتجربة المخبرية، أو استعادتها على غرار العلوم الفيزيائية، وشأن الجيوبولتيك في ذلك كشأن علم التاريخ الذي دخل إليه التشكيك باعتبار أنه لا يمكن إعادة الحادثة التاريخية ضمن نفس شروطها ونتائجها.

ولكن مهما يكن من أمر العلوم الجيوسياسية وبغضّ النظر عن الآراء التشكيكية فيها، فإنها علوم حاضرة على الساحة السياسية الدولية، وهي موجودة بقوة في ميدان النظام الدولي، لما لها من أهمية إستراتيجية في رسم سياسات الدول القريبة والبعيدة، وفي رسم الخرائط والتكتّلات الجديدة، بالإضافة إلى كونها الموجّه والمحرّك للسياسة الخارجية لأي دولة كانت.

تركيا ...
موقعها ودورها في الصراعات الدولية

دلشاد مراد

يعيش المجتمع الدولي في الوقت الراهن مخاض أو ترتيبات الانتقال إلى نظام عالمي جديد، ويوحي ذلك من خلال انعكاسات وباء كورونا والتسارع الحاصل في المجال التكنولوجي ودخولها مراحل جديدة من شأنها تعزيز السيطرة والتحكم الكامل للقوى المهيمنة عالمياً على الجنس البشري وذهنيته.

وفي سياق تلك الترتيبات الجارية هناك تركيز دولي على الصراع «الأمريكي الروسي الصيني» خصوصاً ومستقبل العلاقات فيما بين تلك الدول وتأثيرها على شكل النظام العالمي المفترض لما بعد كورونا - كما يوصف في الإعلام العالمي- وعلى هذا الأساس أيضاً يقيس معظم بلدان العالم خطوط مستقبلها على ضوء الصياغة الدولية للنظام الجديد عالمياً.

لعبة «الصراعات الدولية»

وبغض النظر فيما إذا كان هناك صراع دولي جدي أم كونها لعبة ومسرحية دولية يدار بدقة من قبل لاعبين قلة في الخفاء بعيداً عن مرأى الشعوب، فإن كل قوى وبلدان العالم مضطرة بطبيعة الحال إلى الدخول إلى حلبة الصراع أو اللعبة العالمية المفترضة، كلّ منها حسب مصالحها، لأن القوى المهيمنة العالمية لا تترك مجالاً في أي منطقة وأمام أي شعب وأمة إلا وأن يدخل في لعبتها والتي غالباً ما تكون خطيرة وكارثية إلى حد بعيد، وقد يجد العديد من الأمم والشعوب نفسها كضحايا للقوى العالمية ولعبتها ويشهد تاريخ البشرية على أمثلة كثيرة حول ذلك.

من الواضح أنّ لكل حقبة أو نظام عالمي خصائصه وقواعده الخاصة به أي «قواعد اللعبة»، فالنظام العالمي الذي شُكل في أعقاب الحرب العالمية الثانية كان على شكل صراع دولي بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (روسيا)، واتخذت أيديولوجيتي (الليبرالية والشيوعية) كغطاء لذلك الصراع الذي امتد إلى كافة بلدان العالم وأحدث انشقاقاً في بنية مجتمعات كثير من الأمم.

وفي السنوات الأخيرة باتت المناقشات في أروقة ومراكز السياسات الدولية تنحصر حول شكل الصراع المفترض في النظام العالمي القادم، وباعتبار أنّ الولايات المتحدة الامريكية القائدة الفعلية للنظام العالمي القائم فإن مناقشات منظّريها ومهندسيها وأبرزهم «هنري كيسنجر» تركّزت على تحديد شكل لعلاقاتها المستقبلية مع كل من روسيا والصين بشكل خاص باعتبارهما من المنافسين الأقوياء لريادتها العالمية، وكانت هناك توصية لكيسنجر لقادة الولايات المتحدة الأمريكية بالتواصل مع روسيا والصين، والتنسيق معهما لصياغة نظام عالمي جديد محذراً من خطورة القطيعة بينها، وقد قام كسينجر بنفسه بمهمة وساطة بين روسيا وأمريكا بين عامي ٢٠١٦و٢٠١٩م لإنهاء حالة الحرب الباردة بينهما. وفي الوقت ذاته بدأت الصين بتمهيد نفسها للمرحلة المقبلة كجزء من «المثلث الكبير» الذي سيقرر بالضبط ما سيكون عليه العالم بعد وباء كورونا.

وعلى هذا الأساس يمكن تفسير لجوء الولايات المتحدة الأمريكية إلى انسحابات جيوسياسية وتقليص نفوذها والاتفاق مع روسيا في بعض مناطق الصراعات العالمية وخصوصاً آسيا الوسطى والشرق الأوسط بعد تحقيق أهدافها العلنية منها والسرية، ممهّداً بذلك الطريق للدول الكبرى الأخرى وبعض القوى الإقليمية لسد الفراغات الحاصلة جراء ذلك ومد نفوذها إلى تلك المناطق، أي بمعنى آخر تجري عملية تقاسم النفوذ وتشكيل خريطة النظام العالمي الجديد وتحقيق الأهداف القريبة والبعيدة على أرض الواقع وبدقة متناهية.

تركيا.. وبرمجتها دولياً

وكما للنظام العالمي قواعد وأدوار وظيفية لكل من القوى الكبيرة التي تديرها، فإن الدول الإقليمية حُدّدت لها أيضاً وظائف ومهمات ويتم استخدامها في تنفيذ أجندات النظام العالمي المهيمن التي تتركز في السيطرة الدائمة على مقدرات وخيرات العالم، وكذلك ذهنية الأمم والشعوب، وإحداث التغييرات الإثنية اللازمة.

تأسست دولة تركيا الحالية عام ١٩٢٣م على أنقاض الدولة العثمانية التي احتلت لقرون مساحات شاسعة من الشرق الأوسط وقسم من أوروبا، وكانت ظهورها بخريطتها الحالية مخاضاً لعملية إعادة تشكيل النظام العالمي بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨م.

لا يمكن تناسي الجرائم والإبادات التي قام بها القادة المؤسسون لتركيا الحالية بحق القوميات الأرمنية والسريانية بين عامي ١٩١٤-١٩١٦ والكُرد منذ عام ١٩٢٥م تطبيقاً للمفهوم العنصري «العرق الطوراني التركي الصافي»

والذي تبنّاه حزب الاتّحاد والترقي الحاكم في تركيا في أواخر عهد الدولة العثمانية، واستمرت الطبقة الحاكمة التركية في تطبيق هذا المفهوم بعد إعلان الجمهورية التركية عام ١٩٢٣م، وأصبحت سياسة رسمية في الدولة يحرسها الشكل الجديد لحزب الاتحاد والترقي الذي تحوّل إلى كيان سري يحكم البلاد سراً عبر واجهة من المؤسسات الامنية والعسكرية والمدنية الرسمية وأطلق عليه منذ بداية التسعينيات في الأوساط الإعلامية والسياسية اسم «الدولة العميقة». واعترف رؤساء حكومات تركية بوجود الدولة العميقة، لكن دون أن يتمّ الكشف عن تفاصيل هيكليتها وقادتها وطبيعة عملها. إلّا أنّ كل المعطيات تؤكد أنّ كل الانقلابات العسكرية التركية وأعمال الاغتيالات بحق السياسيين والمثقفين وشن حرب الإبادة على القومية الكردية وحركتها السياسية هي من تخطيط وتنفيذ «الدولة العميقة» التي مُولت رسمياً من قبل القوى المهيمنة في النظام الدولي.

تسعى الطبقات التركية الحاكمة إلى إنشاء إمبراطورية طورانية تركية كبرى تمتد من الأناضول إلى آسيا الوسطى وأجزاء من روسيا مروراً بكردستان وأرمينيا وشمالي سوريا والعراق والقوقاز، إضافة إلى مد نفوذها إلى كافة أرجاء العالم الإسلامي والعربي. وللوصول إلى ذلك الهدف لابد لها من إزاحة كلّ الشعوب التي تقطن في المناطق التي تسعى للسيطرة عليها سواء من خلال الإبادة أو التهجير الجماعي وهو ما حدث ولا يزال بحق الشعوب الأصيلة في منطقة ميزوبوتاميا والأناضول «الأرمن، السريان والآشور والكلدان، الكرد، اللاز... الخ»، والتي تحمل ثقافة وحضارة تاريخية عريقة وأصيلة. وكذلك لابد من الاستيلاء الذهني للشعوب العربية والإسلامية وعلى قرار بلدانها. فتم تأسيس عشرات من المدارس الإسلامية على «الطريقة التركية» خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين في دول عديدة بالشرق الأوسط وآسيا الوسطى، وكذلك جرى تمويل ودعم واستخدام جماعات الإسلام المتطرفة والمسلحة في زعزعة استقرار البلدان العربية ومنها حركة «الإخوان المسلمين» للإطاحة بالحكومات العربية والإسلامية. وكل ذلك أمام صمت دولي تجاه أفعالها الإجرامية، وهذا يعني مباركة النظام الدولي والقوى المهيمنة لأدوار تركية محددة في مواقع الصراعات الدولية والإقليمية، وبالتالي لسياساتها ودورها السلبي والتخريبي.

تركيا وموقعها في لعبة «الصراعات الدولية»

ربطت الطبقات الحاكمة في تركيا منذ تأسيسها عام ١٩٢٣م سياساتها ومصالحها بالغرب، ودخلت في حلف الناتو (الحلف الأمريكي الأوروبي) في خمسينيات القرن العشرين، وهي من الدول الرئيسية التي دعمتها الولايات المتحدة الأمريكية وبكافة المجالات، وقد انخرطت في معظم البرامج والعمليات والأحلاف التي أنشأتها وقادتها الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط، وكان هناك تناغم وتناسق في المواقف والسياسات بين تركيا وأمريكيا (التي كانت مستلمة مهمة قيادة المعسكر الغربي) باعتبارهما جزءان من المنظومة الأيديولوجية العالمية ذاتها. وكانت المهمة الرئيسية للدولة التركية في سياق لعبة الصراعات الدولية خلال حقبة الحرب الباردة في النصف الثاني من القرن العشرين محاربة حركات التحرر الوطنية في الشرق الأوسط وعلى رأسها حركة التحرر الكردستانية، ومجابهة أي محاولات وحدوية لشعوب المنطقة ومنها الوحدة العربية من خلال الانخراط مع إيران في حلف بغداد عام ١٩٥٥م بتوجيه أمريكي، إضافة إلى محاربة الشيوعية على أراضيها.

بعد انهيار المعسكر الشرقي (الاتحاد السوفيتي) في بداية تسعينيات القرن العشرين، تصدرت مهمة تفتيت مجتمعات العالم الإسلامي والعربي من خلال (الإسلاموية ودعم التطرف الديني وتوجيهه) أهداف النظام الدولي في مرحلة ما بعد سقوط (الشيوعية) التي

استفادت منها الأنظمة المسيرة من قبل قوى النظام الدولي لمحاربة القوى الفاعلة والديناميكية القادرة على النهوض بالمجتمعات والقيام بالثورة المضادة للنظام الدولي المهيمن. ومن هنا بدأ الرهان على دور تركي بارز في هذه المهمة من خلال كل من حركة فتح الله كولان الإسلامية (حركة خدمة) التي سعت إلى تغيير البنية المجتمعية في تركيا وفي الكثير من الدول الإسلامية والعربية نحو الإسلاموية من خلال فتح مئات المدارس الداخلية الدينية ممتدة من جمهوريات آسيا الوسطى وروسيا وحتى المغرب وكينيا وأوغندا في أفريقيا، مروراً بالبلقان والقوقاز، وأصبحت لها وسائل إعلام خاص بها من صحف ومجلات وقنوات تلفزيونية، إضافة إلى المؤسسات والجمعيات الخيرية والأعمال التجارية، وكانت تقيم مراكز ثقافية في عدد كبير من دول العالم، وإقامة مؤتمرات سنوية في الدول الأوروبية وأمريكا. وبالتزامن مع إطلاق يد كولن في تركيا والعالم الإسلامي كان نجم الدين أربكان الذي أسس الحركة السياسية الإسلامية في البلاد منذ بداية سبعينيات القرن العشرين يقود ملف الإسلام السياسي في تركيا ورغم وصول حزب أربكان إلى حكم البلاد من خلال حكومة ائتلافية إلّا أنّ الدولة العميقة أزاحته من الحكم خلال فترة قصيرة، وحظرت حزبه وسجنته حتى تراجع دوره في الحراك السياسي في تركيا مع تقدمه بالعمر، وظهور قيادات جديدة للحركة السياسية الإسلامية التركية، وأبرزهم رجب طيّب أردوغان الذي أسس حزب «العدالة والتنمية» الذي سرعان ما تسلمت حكومة البلاد مع بداية الألفية الجديدة، وانقلب فيما بعد على حليفه كولن واستحوذت حكومته على معظم المدارس التي أنشأتها حركة كولن في تركيا والخارج. وبغض النظر فيما إذا كانت هناك صراع حقيقي بين حكومة أردوغان وحزبه مع الدولة العميقة (مع العلم أن أربكان ذكر علناً في تصريحات عديدة إن مؤسسي حزب العدالة والتنمية هم عملاء أمريكا وإسرائيل) إلّا أنّ تحالف العدالة والتنمية (إسلامي قومي) وحزب الحركة القومية التركية (قومي متطرف) في السنوات الأخيرة يشير إلى تبنّي حكومة العدالة والتنمية وزعيمه أردوغان للأفكار والمخططات القمعية والعدوانية للدولة العميقة، وبالتالي تنفيذ مشاريع وسياسات القوى المهيمنة في النظام الدولي الراهن.

وإذا كان هناك توجه دولي لتشكيل نظام دولي في عالم ما بعد كورونا فإن التوسع التركي في منطقة الشرق الأوسط على حساب الشعوب الكردية والعربية...إلخ هي إحدى العلامات التمهيدية لذلك النظام العالمي القادم، ولهذا السبب بالضبط فإن المشاغبة التركية الامريكية الروسية الصينية ليست إلا فتح للأبواب الدولية أمام تركيا لإظهارها كقوة رادعة في الشرق الأوسط (بمعنى تصبح اليد الضاربة للنظام العالمي المهيمن في الشرق الأوسط)، وعلى هذا الأساس تهيأ تركيا نفسها على أنها ستكون قوة دولية بعد عام ٢٠٢٣م. والتسارع في العلاقات التركية مع الصين وروسيا للوصول إلى حالة من التوازن في علاقاتها معهما إلى مستوى علاقاتها مع أمريكا، إضافة إلى رفع مستوى علاقتها مع الدول الناطقة بالتركية في آسيا الوسطى والقوقاز إلى مستوى جامعة الدول التركية ، وأيضاً تدخلاتها العسكرية وغير العسكرية في مناطق متعددة يشير إلى السعي إلى التحقيق العملي لذلك الهدف، وبالتالي فمن المتوقع استمرار الأعمال والسياسات العنجهية والعدوانية التركية في العقود القادمة مالم يحدث تطورات خلاف ذلك تكبح جماح الدور التوسعي لتركيا في الشرق الأوسط وخارجها وخاصة من جانب الشعوب والحكومات المناهضة للتوسع التركي والتي لا بدّ لها من إيجاد الصيغ المناسبة لمجابهة الخطر التركي على منطقة الشرق الأوسط والإنسانية في آن واحد.

---

*- كاتب وصحفي، رئيس تحرير مجلة شرمولا / شمال وشرق سوريا.

إيران ما بين الدبلوماسية التقاربية والعداوة الظاهرية

أحمد العناني / مصر

لن يغير تبدُّل النظام داخل إيران من معتدل إلى محافظ طبيعةَ الاستراتيجية الإيرانية، سواء من الناحية السياسية أو حتى الدبلوماسية، وذلك لطبيعة علاقة إيران بجوارها.

ثمة مواقف ظهرت من النظام المتشدّد داخل إيران، تظهر مدى العداوة الدائمة لهذا النظام منذ قدوم إبراهيم رئيسي رئيساً لها، فعلى الرغم من محاولة النظام الإيراني تجميل صورته التي دائماً ما يُتّهم بها من محيطه الإقليمي قبل الدولي، على أنها طائفية ومذهبية، وهدفها تخريب استقرار الدول المجاورة من خلال أذرعه في المنطقة، إلا أن الواقع يفرض علينا جميعاً كمراقبين أننا نتفق مع هذا الطرح والرؤية الإقليمية.

”رغم تغير الأنظمة داخل إيران، تبقى الازدواجية في المعايير ما بين تقديم المقاربات الدبلوماسية والعدوات الظاهرية، هي السائدة في الأنظمة الإيرانية، بل توسّعت بشكل مفضوح في ظل حكم إبراهيم رئيسي الرئيس الإيراني المتشدد، والذي يحاول تقديم وجه آخر لدول الجوار يشمل المقاربات والتفاهمات وإجراء حوارات إستراتيجية، تشمل عدم تدخّل إيران في شؤون المنطقة“

إن ما تقوم به إيران وما تجريه من محاولة للذهاب نحو إقامة علاقات مع دول الجوار، خاصة مع السعودية والإمارات من قبل طهران، ما هو إلا محاولة لتجميل الصورة السيئة التي مُني بها نظام الملالي في الدولة الإيرانية، بعد ثورة ١٩٧٩من خلال إقامة نظام ثيوقراطيّ دينيّ قمعيّ للشعب في الداخل، ولتهديد المنطقة في الخارج.

أما الآن فإن إيران تريد أن تُصدّر الدبلوماسية التقاربية لدول الجوار، من أجل هدف واحد من وجهة نظري وهو عدم مجيء أيّ قوات حليفة لدول الخليج مستقبلاً، خاصة الولايات المتحدة وإسرائيل وجرّها للحدود الإيرانية بحرياً من قبل السعودية والإمارات والبحرين، بعد أن وقّعت أبو ظبي والمنامة معاهدة أبراهام التاريخية التي قرّبت المسافات، وطابقت الرؤى حول كيفية التنسيق للتصدي لأعمال إيران الخبيثة والمزعزعة للاستقرار، وذلك بعد إجراء مناورات عسكرية أمريكية إماراتية بحرينية إسرائيلية في البحر الأحمر، والتلويح بقرب مناورات قادمة في بحر عمان.

هناك مواقف عديدة وسياسة ثابتة وإيديولوجية متطرفة، تثبت أن نظام إيران المتشدّد سيظل أمام المجتمع الدولي نظاماً مارقاً لا يحترم المعاهدات، ويتخذ الاتفاقيات ذريعة للمضيّ قدماً في تنفيذ أجندته.

- **الاتفاق النووي مثال على ذلك**

رغم انسحاب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب من الاتفاق النووي الإيراني، إلا أنّ إيران ما زالت تصعّد في الملف النووي، حيث رفعت معدّل وتيرة التخزين والتخصيب الذي تجاوز الحدّ الأدنى ليصل التخصيب إلى ٦٠٪ من خلال أجهزة طرد مركزي متقدمة، وهذا ما ترفضه الدول الأعضاء ٤+١ في المفاوضات مع قرب الجولة السابعة للمفاوضات في فيينا.

- **أذرع ومليشيات إيران**

أحد أسباب العداوة الظاهرية وازدواجية المعايير من قبل إيران بجوارها الإقليمي، هو الحديث عن مقاربة خليجية وحوار إستراتيجي مع السعودية، في وقت تُصدّر إيران الأسلحة للحوثي للهجوم على خميس مشيط وأبها، كما حدث سابقاً من تعدٍّ على أرامكو في بقيق وأخريص.

إن الدعم المالي والعسكري لحزب الله، الذي يتدخّل في مصادرة القرار السيادي للدولة اللبنانية من أجل التفرّد الإيراني بلبنان، باعتباره أحد دول الهلال الشيعي الذي تحدّث عنه خامنئي قبل ذلك، كدول نفوذ لإيران في المنطقة مع كلّ من سوريا والعراق، والدعم الواضح للمليشيات العراقية حتى بعد سقوط

الأحزاب الموالية لإيران في الانتخابات التشريعية القريبة. لقد أرادت إيران أن تحدث استقطاباً سياسياً داخل العراق بين مكوّناته وأحزابه حتى تُدار بغداد كما كانت في السابق من قِبل طهران، من خلال سليماني وأحزاب موالية للمرشد الأعلى داخل بغداد. ولكن تبقى إيران دولة ذات سياسة غير متّزنة بسبب إيديولوجية الحكم المتعاقبة، حتى لو استخدمت ما يسمى بالدبلوماسية التقاربية، لمحاولة تغيير صورتها أمام المجتمع الدولي، كدولة منفتحة غير إيديولوجية، وليست صاحبة أطماع وعداوة ظاهرية سواء للمجتمع الدولي أو لدول الجوار، وبالتالي لن يتبقّى أمام إيران إلا فرصة واحدة إن أرادت أن يكون هناك قبول لها داخل الأسرة الدولية، وهي الكفّ عن التدخلات في شؤون الدول واحترام سيادة دول الجوار، وعدم دعم المليشيات التي تستخدمها لتسييس ملفّات عديدة إقليمياً ودولياً.

إن تعاون إيران مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، في الكشف عن نشاطاتها النووية غير السلمية، خاصة وأن هناك تعنّتاً واضحاً من الحكومة الإيرانية، في ملفّ المنشآت النووية مع الوكالة الدولية، وهذا ما أوضحه "رافائيل غيروسي" أمين عام الوكالة الدولية في عدم مساعدة الجانب الإيراني للمنظمة في تسهيل تفتيش بعض المواقع التي تعمل بالماء الثقيل، ومراجعة كاميرات المراقبة، وكل هذا يجعل من إيران محلّ شكّ في نيّتها بخوض جولة من المفاوضات بحسن نية مع الدول الكبرى.

بالطبع "رئيسي" أمام اختبار صعب؛ إما الوصول لحلّ من أجل رفع العقوبات، وإما الاستمرار في مسلسل توقيع عقوبات على كافة القطاعات، ما سيدفع ثمنه الشعب الإيراني في وقت يسعى فيه المتشدّدون أن يلقوا باللوم على الحالة الاقتصادية المتدهورة في الوقت الحالي على حكومة روحاني، والاستمرار في التصريحات التي اعتاد المحافظون إطلاقها على الشيطان الأكبر؛ أمريكا وإسرائيل اللتين لا تريدان لإيران التقدم.

رغم تغيّر الأنظمة داخل إيران، تبقى الازدواجية في المعايير ما بين تقديم المقاربات الدبلوماسية والعدوات الظاهرية، هي السائدة في الأنظمة الإيرانية، بل توسّعت بشكل مفضوح في ظل حكم إبراهيم رئيسي الرئيس الإيراني المتشدّد، والذي يحاول تقديم وجه آخر لدول الجوار يشمل المقاربات والتفاهمات وإجراء حوارات إستراتيجية، تشمل عدم تدخّل إيران في شؤون المنطقة، ولكن ما تقدمه إيران لا يدلّ بأن هناك نية لأن تكون دولة معتدلة تعتمد بالفعل على التقارب الدبلوماسي، بعيداً عن العداوة العلنية التي باتت مكشوفة أمام المجتمع الدولي برمّته.

النظام العالمي الجديد

«الاتحاد الروسي نموذجاً»

جيهان مصطفى

مخطط البحث

تقديم

أولاً: الجيوبولتيك - الأصل والمنشأ والعلاقات الدولية المتداخلة

ثانياً: من الجيوبولتيك إلى جغرافية إمبريالية... روسيا القيصرية حتى الاتحاد السوفيتي:

ثالثاً: عوامل ساهمت في ظهور دور الجيوبولتيك كقوة للدولة

رابعاً: جيوبولتيكا النـــظام العالميّ الجديد... منظـّـروها:

خاتمة

مقدمة

لا شك أن كل ما يتعلق بالوعي الجغرافي ومدلولاته السياسية، يدخل ضمن مفهوم الجيوبولتيك التي هي الجغرافيا السياسية، ويمتد هذا الوعي من خلال الواقع الذاتي، وليس الموضوعي، وفهم صُنّاع القرار في دولة معينة للجغرافيا السياسية وعلاقاتها بالقوة المرتبطة بالجغرافيا، يبين الأهمية التي حظي بها علم الجيوبولتيك في تفسير علاقات ومصالح الدول، مع محيطها الجغرافي ومع المجال والحيّز المكاني البعيد. وفي بحثنا الحالي يمكن تسليط الضوء على ذلك الدور المهم للجيوبولتيك وأخذ الاتحاد الروسي نموذجاً، كونه دولة تملك مساحة جغرافية كبيرة في قارّتين وتطلّ على مسطحات مائية هائلة، ورغم ذلك نراه يتدخّل في أماكن بعيدة عنه.

أولاً: الجيوبولتيك- الأصل والمنشأ والعلاقات الدولية المتداخلة:

إن تراجع الجيوبولتيك لصالح العلاقات الدولية كان بسبب تداخل الحقلين رغم اختلافهما من جهة، ومن جهة ثانية إنّ التكنولوجيا الحديثة تجاوزت الحدود الجغرافية، سواء كانت في الأسلحة المتطورة مثل حاملات الطائرات والصواريخ العابرة للقارات، وحالياً عسكرة الفضاء، جعلت من الجغرافيا شيئاً عفا عليه الدهر.

كما أنّ وسائل النقل الحديثة والثورة المعلوماتية أسهمت في إضعاف الجغرافيا كعامل في العلاقات الدولية، ولم تعد السيطرة على الأراضي بأهمية السيطرة على المعرفة والتكنولوجيا والرساميل.

لا شك أن هناك مبالغة في أية مقولة تقلل من الأهمية الجغرافية للبلدان، فالجغرافيا تعني مصادر اقتصادية زراعية وطبيعية، وكذلك مصادر بشرية، وقد تدارك بعض المحللين الأهمية الكبيرة للجيوبولتيك بسبب التطورات الراهنة في العالم.

يرى كابلن أن سلوك الدول تحددها الجغرافيا، وبالنسبة لكابلن فإن الجغرافيا لا تعني السهول والجبال فحسب، ولكن أيضاً الجغرافيا البشرية التي تتفاعل مع الجغرافيا الطبيعة، بحيث تحدّ من تمدد أو انغلاق الشعوب على نفسها، وقد أحيا كابلن منظّري الجيوبولتيك في القرنين التاسع عشر والعشرين والذين برروا في كثير من الأحيان سيطرة البلدان الاستعمارية على الدول، تحت مبرّرات عوامل جيوبولتيكية.

لكنّ التمدد الغربي وما تشعر به موسكو من تطويق ليس لحدودها السياسية فحسب، بل لمناطقها الحيوية، وكذلك الأحداث المتعلقة بالتمدد الروسي جنوباً وغرباً، وتعزيز موطئ قدم في الشرق الأوسط، أعاد الجيوبولتيك لواجهة الاهتمامات الأكاديمية والسياسية، ومازال النقاش حول التطورات الدولية تدور حول هذه القضايا والتطورات الراهنة.

وقد عبّر ولتر رسل ميد، الأكاديمي المتخّصص في الشؤون الدولية، بما أسماه "عودة الجيوبولتيك"

يرى ميد أن الغرب استمرأ انتصاره في الحرب الباردة والتي أفضت إلى انتهاء الصراع الأيديولوجي بين الرأسمالية الليبرالية والشيوعية.

في لحظة نشوة الانتصار أعلن فرانسيس فوكوياما أطروحته عن انتهاء التاريخ، بمعنى أن صيرورة التاريخ تتعلق بصراع الأفكار، وأن انعدامها، حسب المنطق الهيجلي، يقوّض حركة التاريخ.

يشير ميد إلى الاستكانة التي شعر بها الغرب لنهاية الحرب الباردة والتي انتهت لصالح الدول الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، ولكن هناك دولاً عديدة امتعضت إن لم نقل شعرت بالسخط، لكيفية انتهاء الحرب الباردة.

ليس خافياً أن روسيا هي أول دولة شعرت بالمهانة من طريقة انتهاء الصراع بين الكتلتين الشرقية

والغربية، وقد أمعن الغرب في إذلال موسكو في التوسع شرقاً على حسابها باحتواء دول أوروبا الشرقية في الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو.

من أهم المخاطر الجيوبولتيكية التي تواجه العالم اليوم بالنسبة لميد، هي تلك التي تفرضها ثلاث دول مارقة ورافضة لنهاية الحرب الباردة، وهذه الدول الثلاث روسيا والصين وإيران، وهي في الواقع متحالفة موضوعياً وواقعياً، وتحاول هذه الدول الثلاث التوسع في نطاقها الإقليمي، فالصين تتبع سياسة حازمة وتوسعية في بحر الصين الجنوبي، كما أن روسيا فعلت نفس الشيء بالنسبة لجورجيا وأوكرانيا، أما إيران فحدّث ولا حرج، ولعل التوسع الإيراني هو الأفجّ في الثلاثي، حيث تتمتع إيران بهيمنة أو نفوذ على العراق ولبنان وسوريا واليمن.

هناك تشكيك كبير بالحدود الموروثة من الاستعمار في المنطقة العربية، فظهور حركة داعش على الساحة الإقليمية ألغت عملياً الفواصل بين العراق وسوريا، وانهيار بعض من الدول العربية ينذر باحتمالات تغير حدود سايكس- بيكو والتي وزعت مناطق النفوذ بين بريطانيا وفرنسا في منطقة الهلال الخصيب، قبل قرن من الزمن، ومن ثم أصبحت هذه التقسيمات الحدود المعترف بها دولياً.

وظلت أفكار ربط الممارسات السياسية بالخصائص الجغرافية تتطور بإسهامات فلسفية متعاقبة، واكتسبت هذه الأفكار دفعة قوية بما كتبه عبد الرحمن بن خلدون (١٣٤٢-١٤٠٥م) التي ظهرت في مقدمته الشهيرة.

وفضل ابن خلدون يتمثل في تشبيهه الدولة بالإنسان الذي يمرّ بخمس مراحل حياتية: هي الميلاد والصبا والنضج والشيخوخة والموت.

وهذه الدورة الحياتية للدول وارتباطها بمقدرات الدولة أرضاً وسكاناً وموارد.. كانت أبرز ما نقله المفكرون الغربيون فيما بعد، حينما تمت بلورة الصياغة العلمية لقيام وسقوط الحضارات.

”يرى كابلن أن سلوك الدول تحددها الجغرافيا، وبالنسبة لكابلن فإن الجغرافيا لا تعني السهول والجبال فحسب، ولكن أيضاً الجغرافيا البشرية التي تتفاعل مع الجغرافيا الطبيعة، بحيث تحدّ من تمدد أو انغلاق الشعوب على نفسها، وقد أحيا كابلن منظّري الجيوبولتيك في القرنين التاسع عشر والعشرين والذين برروا في كثير من الأحيان سيطرة البلدان الاستعمارية على الدول، تحت مبررات عوامل جيوبولتيكية“

وظل تقييم دور العوامل المكانية (الجغرافية) في تاريخ ومستقبل الدولة السياسي بدون صياغة متكاملة، حتى ظهرت في المجتمع الألماني أفكار فردريك راتزل (١٨٤٤-١٩٠٤) والذي يرجع إليه الفضل في كتابة أول مؤلف يحمل عنوان ”الجغرافيا السياسية“ في عام ١٨٩٧م.

صعدت الجيوبولتيك إلى مصاف العلوم الكبرى خلال الحرب العالمية الثانية، حتى كتبت هزيمة ألمانيا نهاية لهذه المكانة.

وصار مفهوم الجيوبوليتيك بعد الحرب العالمية الثانية قرين التوظيف السيء للجغرافيا السياسية، وهو ما أضرّ بتطوير الجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية معاً.

ووصل الأمر في بعض الدول إلى منع تدريس الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك في جامعاتها؛ باعتبارهما علمان مشبوهان يسعيان إلى بذر العداء ويكرّسان الأطماع القومية.

كما تم توظيف نتائج بحث الجغرافيا التاريخية والآثار لتقديم معلومات عن أحقية ألمانيا في أراضٍ وبلدان تبعد عنها مئات الأميال شرق أوربا.

وبالرغم مما قد نظنه من مهام علمية بريئة للجمعيات الجغرافية، فإن دورها في خدمة التوسع الألماني كان جلياً واضحاً.

وتحت رعاية الجمعية الجغرافية الألمانية أنشئت في ميونخ عام ١٩٢٤ المدرسة الجيوبوليتيكية التي رأسها الجغرافي السياسي كارل هوسهوفر.

ثانياً: من الجيوبوليتيك إلى جغرافية إمبريالية من روسيا القيصرية حتى الاتحاد السوفيتي

دون الحاجة إلى تنظير أكاديمي ومصطلحات ضخمة، كانت إمبراطورية روسيا القيصرية ومنذ منتصف القرن السادس عشر تطبّق فكرة الدولة العضوية Organic State حتى قبل أن تصاغ في قوالب نظرية.

وأرست روسيا المنهج الذي قامت عليه الأطماع الاستعمارية فيما بعد، باعتمادها على الدور المحوري لجمع المعلومات الجغرافية عن الشعوب المجاورة، وتدعيم رحلات علمية "بريئة" تقدم أبحاثاً في ميادين شتى لخدمة التوسع فيما بعد، وكان ذلك يجري على قدم وساق حتى أفول شمس الإمبراطورية القيصرية في ١٩١٧.

وبعد الحرب العالمية الثانية كان الاتحاد السوفيتي واحداً من تلك الدول التي منعت تدريس الجيوبوليتيك في جامعاتها؛ استناداً إلى أن الجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية في ألمانيا جلبَتا الكوارث على القارة الأوربية والعالم بأسره.

و لم تظهر كتب في هذين العلمين ذي القيمة إلا في منتصف التسعينيات، هذا بالرغم من أن الاتحاد السوفيتي نفسه كان أكثر النماذج وضوحاً في التطبيق الحرفي لمبادئ الطمع الجغرافي "السمعة السيئة للجيوبوليتيك" لدرجة أن من أكثر النكات شيوعاً في أوروبا في الستينيات، كانت تلك التي يسأل فيها مدرّس تلميذه سؤالاً جغرافياً مباشراً: "من هم جيران الاتحاد السوفيتي؟" وبدلاً من أن يعدد الطالب أسماء الدول المجاورة تأتي إجابته: "جيران الاتحاد السوفيتي هم من يرغب هذا الاتحاد في أن يصبحوا جيراناً له"؛ في دلالة تهكّمية على أن هذه الحدود متغيرة، وتعتمد على مستوى التوسع والضم الذي تمليه الأطماع الجغرافية السوفيتية.

وبتفكك الاتحاد السوفيتي مع نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، وبتغير القدرات العسكرية النسبية له انكمشت الحدود، وصارت تطال الحدود الأصلية لروسيا ما قبل السوفيتية.

وقد دعا هذا الأمر أحد المفكرين السياسيين صبيحة تفكّك الاتحاد السوفيتي، إلى أن يعبّر درامياً عن هذا بقوله: "يبدو أنه لا مفرّ من أن نتجرّع الكأس حتى الثمالة؛ بالأمس انهدم البيت السوفيتي، واليوم تتهدم روسيا. وما الشيشان إلا مشهد في فصول تهدم البيت. أما بقية المشاهد فستتوالى بخروج مناطق الحكم الذاتي، تعقبها الأقاليم، ثم تتعاقب المشاهد والفصول عبر انفصال وحدات أصغر فأصغر".

وعلى الجانب الآخر كان قد ظهر على المسرح الجغرافي - مع خروج الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية كأكبر قوة عالمية- مفهوم جديد للجيوبوليتيك وهو "الحدود الشفافة"، التي يقصد بها الهيمنة الأمريكية الاقتصادية والعسكرية دون حدود خرائطية للدولة، أو ما يسميه تايلور – أشهر باحثي الجغرافيا السياسية في العقدين الأخيرين- بـ "جغرافية السيطرة من دون إمبراطورية".

والسيطرة من دون إمبراطورية هي أفضل تجسيد لتطوير الأفكار الجيوبوليتيكية، بعيداً عن الأطر التقليدية للنمو العضوي للدولة.

وهذا التطوير يسمح بأن يصبح العالم كله

"المجال الحيوي" للولايات المتحدة، بعدما عاشت الأخيرة حتى الحرب العالمية الثانية في عزلة جغرافية ممتعة اختارتها لنفسها.

وأهم سمة في هذا المجال الحيوي هو "اللا مواجهة"؛ استناداً إلى مزايا الحرب الإلكترونية، وتوظيف الخصوم المتناحرين في إدارة الحرب بالإنابة، أو التدخل في لحظة محددة باعتباره تدخلاً إنسانياً لصالح العدل والحرية.

ثالثاً: عوامل ساهمت في ظهور دور الجيوبولتيك كقوة للدولة

وهذه العوامل تتضمن دراسة خصائص بيئات الدولة الطبيعية من حيث الموقع، ومظاهر السطح، والمساحة، والشكل، والمناخ من وجهة نظر الجغرافيا السياسية

أ- الموقع

يعتبر الموقع الجغرافي أحد العوامل المهمة التي تؤثر في الجغرافيا السياسية للدولة، لتأثيره على اتجاهات سكانها والسلوك السياسي لحكومتها، وتحلل الجغرافيا السياسية الموقع وأثره في الدولة من ثلاث اتجاهات هي:

- *موقع يعكس مدى ملاءمة الدولة للحياة البشرية والتقدم الحضاري، إذ تتركز الدول المتقدمة في العروض المعتدلة. ولا يعنى هذا أن الحضارات نشأت أول ما نشأت في تلك العروض، ولكنها نشأت في الأقاليم المدارية وشبه المدارية حيث تتوافر السهول الفيضية والمياه، وكانت الصحراء حول هذه السهول الفيضية تعتبر بمثابة الدرع الواقي للحضارة في المناطق السهلية، ثم انتقلت بعد ذلك إلى المناطق المعتدلة في الشمال عن طريق الاستعمار الوافد من الشمال وهيمنته على تلك الأقاليم الحضارية. وترتب على ذلك أن رأى هنتنجتون Huntingtonأنّ البيئة الاستوائية محكوم عليها بالتأخر نتيجة لارتفاع درجة الحرارة والرطوبة طول العام، مما لا يشجع الإنسان على بذل مجهود للتقدم، أمّا المناطق المعتدلة فيشجع مناخها على بذل المجهود للتقدم، وبالتالي فالعناصر السوداء، التي تتفق في توزيعها مع النطاق الاستوائي تعيش في الماضي، والأجناس الصفراء تعيش الحاضر، والأجناس البيضاء صاحبة المدنية تعيش في المستقبل.*
- *موقع الدولة بالنسبة للقارات، والبحار، والمحيطات، وهو يحدد شخصية الدولة، ويسهم في رسم سياستها وإستراتيجيتها، وتطل معظم دول العالم على بحار أو محيطات، ومنها مالا يطل على أي بحار أو محيطات، وتعرف بالدول الداخلية أو الحبيسة.*

ويؤدي الموقع الساحلي للدولة إلى غناها الاقتصادي، واحتكاكها الحضاري، وبالتالي قوتها، وتقدمها، وينعكس هذا على سكانها،

"هناك تشكيك كبير بالحدود الموروثة من الاستعمار في المنطقة العربية، فظهور حركة داعش على الساحة الإقليمية ألغت عملياً الفواصل بين العراق وسوريا، وانهيار بعض من الدول العربية ينذر باحتمالات تغير حدود سايكس- بيكو والتي وزعت مناطق النفوذ بين بريطانيا وفرنسا في منطقة الهلال الخصيب، قبل قرن من الزمن، ومن ثم أصبحت هذه التقسيمات الحدود المعترف بها دوليا"

الذين يتميزون بما يُعرف بالنظرة العالمية، ويظهر هذا في سعة أفقهم وتفتّح أذهانهم، وانطلاقهم الحضاري. ويرجع ذلك إلى أن البيئات الساحلية ترتبط دائماً بالعالم الخارجي، وتيارات الحضارة، ومحاور التقدم، إضافة إلى أنها تتطلع دائماً إلى كل جديد ولا تعرف العزلة، في حين أن سكان الدول الداخلية كثيراً ما ينعزلون عن مثل هذه المؤثرات والتيارات. وكل هذه الظروف تؤثر بدورها في الجغرافيا السياسية للدولة. فمثلاً، أدى الموقع البحري دوراً كبيراً في بناء إمبراطورية سياسية واقتصادية كبيرة في بريطانيا. حقاً، قامت الثورة الصناعية في إنجلترا على المواد الخام المحلية ورأس المال الإنجليزي، لكن لا شك أن موقعها البحري ساعدها على السيطرة على مستعمرات تستورد منها المواد الغذائية والمواد الخام، كما أصبحت هذه المستعمرات سوقاً لتصريف المنتجات البريطانية، وأنشأت بريطانيا أسطولاً تجارياً يساعد في ذلك، وأسطولاً حربياً يؤمن الطريق للأسطول التجاري.

ويؤثر الموقع البحري والبري كذلك في نوع الدفاع الذي تعتمد عليه الدولة. وبغضّ النظر عن سلاح الطيران، الذي يوجد بكل من الدول البحرية والقارية، فيُلاحظ أن الدول البحرية تركز اهتمامها بصورة أكبر على بناء الأسطول التجاري والحربي والغواصات، في حين أنّ الدول القارية تركز على إعداد الجيش البري، ومثال ذلك: دفاع بريطانيا والدفاع الروسي.

ب- الموقع بالنسبة للدول المجاورة

كلما كانت حدود الدول بعيدة عن بعضها البعض وخاصة في الدول الجزرية، أدى هذا إلى تقليل المنازعات والحروب بينها، حيث تعرقل البحار عمليات الغزو وتعوقها، وأفضل مثال على ذلك بريطانيا التي لم تغزها أي قوة منذ عهد وليم الفاتح. أمّا طول الحدود البرية فيعتبر عامل خطر يُهدد الدولة. ونتيجة لهذا أُنشئت الدول الحاجزة بين القوات المتنازعة، مثال ذلك أفغانستان، التي كانت تفصل بين المصالح الروسية في الشمال والمصالح البريطانية في المحيط الهندي. وإذا كانت الحدود البرية الطويلة تفصل بين دول صديقة، فيعتبر هذا ميزة، كما هو الحال بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية. إذ تنساب المواد الخام الآتية من كندا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بينما تسافر السلع المصنوعة، ورأس المال، والخبرة من الثانية إلى الأولى عبر هذه الحدود. ويؤدي هذا التعاون بدوره إلى القوة والتقدم الاقتصادي. ولكن قد يحدث العكس، فالدول الكبيرة التي تجاور دولاً صغيرة تحاول أن تستولي عليها، مثال ذلك: ما حدث بين روسيا (الشاسعة المساحة، والكثيرة السكان، والقوية عسكرياً) ودول شرق أوروبا، إذ استولت عليها وأدخلتها في فلكها لأنها صغيرة المساحة، ومتوسطة السكان، وضعيفة عسكرياً إذا ما قورنت بالاتحاد السوفيتي .

ج - مساحة الدولة

تتباين دول العالم من حيث المساحة، فمنها ما يشغل مساحة شاسعة مثل الولايات المتحدة، وكندا، والبرازيل، والصين، والهند. ومنها ما يشغل مساحة صغيرة مثل سويسرا، والدنمارك، لبنان. ومنها ما يمثل وحدات سياسية قزمية تشغل مساحة ضئيلة مثل دولة الفاتيكان.

وتتمثل أهمية المساحة في إعطاء الفرصة لتنوع الموارد الاقتصادية وتباينها، كما تتمثل أهميتها من الناحية الحربية في إمكان الدفاع في العمق Defense in Depth، فالدولة ذات المساحة الصغيرة لا تلبث أن تستسلم أمام جحافل الجيوش الغازية، كما حدث في بعض دول أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، فقد استسلمت كل من بلجيكا، وهولندا، والنمسا، وتشيكوسلوفاكيا خلال فترة قصيرة عندما اجتاحتها الجيوش الألمانية، بينما استطاع الاتحاد السوفيتي (سابقاً) أن يصمد أمام الغزو الألماني ومن قبله غزو نابليون بفضل اتساع مساحته، إذ طبق مبدأ الدفاع في العمق، الذي يقوم على تسليم الأرض لكسب الوقت Selling Space to GainTime، فقد اتبع الاتحاد السوفيتي هذا الموقف الإخلائي عندما غزاه نابليون حتى أطال بينه وبين خطوط تموينه، وأدخله في بيئة طبيعية قاسية يجهلها،

مما أضطره إلى التقهقر ثانية. وقد سار الاتحاد السوفيتي على نفس السياسة مع الألمان سنة ١٩٤١. وقد فطن الألمان لهذه السياسة، ولذلك حاولوا تدمير الجيش الأحمر برجاله ومعداته عن طريق الالتفاف حوله، لكنهم لم ينجحوا في ذلك. إلاّ أن التقدم التقني في معدات الحرب أفقد المساحة الكبيرة أهميتها العسكرية، إذ يمكن نشر الميكروبات والغازات السامة فيها قبل انسحاب الجيوش إليها.

وتكفل المساحة الكبيرة امتيازاً عسكرياً آخر، ذلك أنه إذا هُزمت دولة كبيرة فإنه من الصعب احتلال إقليمها الواسع والسيطرة عليه، لا سيما إذا كانت كثيفة السكان. مثال ذلك، أن الولايات المتحدة الأمريكية يستحيل عليها أن تحتل الصين الشعبية حتى لو أنها انتصرت عليها، لأن ذلك سوف يتطلب إيجاد قوات أكثر مما تمتلك أمريكا. وتُحقق وسائل الإنذار المبكر الآن الغرض منها بفاعلية عالية، في حالة كبر مساحة الدولة، لأنها تُتيح الوقت الكافي لاتخاذ الإجراءات الوقائية المناسبة.

ولمساحة الدولة أيضاً تأثير كبير ومباشر على قدرتها في أن تستخدم القوة في الدفاع عن نفسها، فالمساحة الكبيرة تساعد على أن تكفل للدولة وسائل الإقناع التي تأتي من القدرة على الدفاع عن النفس، أمّا الدول ذات المساحة الصغيرة فهي لا تستطيع أن تدافع عن نفسها أمام الأعداء. مثال ذلك، هولندا التي استسلمت للألمان في مدة أربعة أيام، علماً بأن الجيش الهولندي لم يكن أقل بسالة من الجيش الألماني. وتعمد الدولة الصغيرة إلى الأخذ بزمام المبادرة في الهجوم، وذلك كي تبعد المعركة عن أراضيها، ومن أفضل الأمثلة على ذلك الصراع العربي الإسرائيلي الذي تبادر فيه إسرائيل باستمرار بشن الهجوم على الدول العربية المجاورة، لتنقل المعركة إلى أراضي الدول المجاورة حتى لا تتأثر طاقاتها الإنتاجية والخدمية، وسكانها المدنيون، ولتكسب مجالاً أرضياً أوسع يُمكّنها من المناورة العسكرية. وقد حدث هذا في عدوان ١٩٥٦، وعدوان ١٩٦٧.

د - شكل الدولة

كلما كانت الدولة مندمجة من حيث الشكل Shapeكان ذلك أفضل من الناحية السياسية لها. ويعتبر الشكل الدائري أو القريب منه الشكل المثالي للدولة، فتكون كل أطراف الدولة على أبعاد متساوية تقريباً، لذا يترتب على الشكل الدائري للدولة أن يكون طول حدودها قصيراً بالنسبة لمساحتها، ومن ثم يقل عدد المواضع التي يحتمل أن تُغزى منها الدولة، كما يصبح في إمكان الدولة الدفاع عن هذه الحدود وحمايتها. ويساعد الشكل الدائري على سرعة نقل الجيوش والمعدات إلى أي مكان في الدولة يتعرض لغزو خارجي، كما أنّه يوفر لجيوش الدولة المساحة الكافية، التي يمكن أن تتقهقر فيها إذا استدعت الظروف ذلك، ذلك لأنه يعمل على تيسير إنشاء شبكة نقل ومواصلات جيدة في الدولة. ويساعد الشكل المثالي على انصهار سكان الدولة في بوتقة واحدة مما يؤدي إلى زيادة نمو الشعور القومي لديهم، وهو عامل حاسم في رسم سياسة الدولة، ومن أفضل الأمثلة على الشكل المثالي أو القريب منه دول أوروجواي، وبولندا، والمجر، وبلجيكا.

ويرتبط بشكل الدولة موقع العاصمة بالنسبة للدولة . ويعدّ الموقع المتوسط في جسم الدولة أفضل موقع للعاصمة، ويُعرف بالموقع المركزي Centralحيث تحتل العاصمة الوسط الهندسي للدولة، وذلك حتى يسهل الدفاع عنها من جهة، ويسهل اتصالها بمختلف أنحاء الدولة من ناحية أخرى. ومن أمثلة المواقع المثالية للعواصم الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، والقاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية، والخرطوم عاصمة السودان، وبغداد عاصمة العراق، وبرن عاصمة سويسرا، ومدريد عاصمة أسبانيا، ووارسو عاصمة بولندا.

وقد نقلت بعض الدول عواصمها من مواقع ساحلية غير متوسطة داخل الدولة، وذلك لكسب مزايا تتعلق بالشكل الجغرافي الصحيح

> **يرى هنتنجتون** Huntington **أن البيئة الاستوائية محكوم عليها بالتأخر نتيجة لارتفاع درجة الحرارة والرطوبة طول العام، مما لا يشجع الإنسان على بذل مجهود للتقدم، أما المناطق المعتدلة فيشجع مناخها على بذل المجهود للتقدم، وبالتالي فالعناصر السوداء، التي تتفق في توزيعها مع النطاق الاستوائي تعيش في الماضي، والأجناس الصفراء تعيش الحاضر، والأجناس البيضاء صاحبة المدنية تعيش في المستقبل**

للدولة، وهذا ما حدث في البرازيل عندما نقلت عاصمتها من ريو دي جانيرو إلى برازيليا، وفي تركيا عندما نُقلت عاصمتها من استنبول إلى أنقرة.

ذ- الحدود السياسية الدولة

الحدود السياسية PoliticalBoundaries وهي بمثابة الهيكل الخارجي لرقعة الدولة، ولكل دولة في الوقت الحاضر حدودها السياسية، وهي عبارة عن خطوط محددة على الخرائط السياسية، وواضحة المعالم في الطبيعة، وهذه الحدود تكفلها المعاهدات والمواثيق الدولية.

وتمثّل البحار والمحيطات أكثر الحدود الطبيعية حماية، وهي حدود فاصلة يمكن أن تحمي الدولة من الغزو، خاصة إذا كانت لديها السيادة البحرية على حدودها. وتأتي الصحارى بعد البحار والمحيطات في الأهمية، ذلك لأنها تؤدي وظيفة الحماية كالبحار إلى حد ما. أمّا الجبال فتمثل حدوداً طبيعية منيعة، وهي تؤدي دورها بوصفها حدود سياسية في بعض المناطق، فجبال اسكندیناوه تُشكل الحدود بين السويد والنرويج، وجبال الألب تفصل بين النمسا وإيطاليا، وجبال البرانس تمثل الحدود بين فرنسا وأسبانيا. وكذلك تقوم الأنهار في بعض الحالات بوظيفة الحدود السياسية، كما هو الحال في شط العرب الذي يفصل بين العراق وإيران، ونهر سانت لورنس الذي يمثل الحدود بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية في بعض المواضع، ونهر الدانوب الذي يفصل بين رومانيا وبلغاريا، ونهر الراين الذي يفصل بين فرنسا وألمانيا.

أما الحدود الاصطناعية فمنها الحدود الفلكية، التي تتفق مع دوائر العرض وخطوط الطول، مثل الحدود بين مصر وكل من ليبيا والسودان. ومنها الحدود الهندسية التي تُرسم على شكل خطوط مستقيمة ولا يراعى في تخطيطها أي ظاهرة طبيعية، مثل الحدود بين المملكة العربية السعودية وجيرانها

٢ـ العامل الاقتصادي للجيوبولتيكا على الدولة

رفض التجاريون التمييز بين التفوق التجاري والتفوق السياسي، حيث يكون ميزان القوى مرهوناً بالميزان التجاري، فللأوضاع الاقتصادية المقام الأول في اتجاهات السياسة الخارجية للدول، ويؤكد الباحثون على أن هناك ارتباطاً بين الحرب كظاهرة بين الدول وبين الظاهرة الاقتصادية، فالحرب هي أثر حتمي للظاهرة الاقتصادية من حيث:

أ . حروب القحط: ففي الجماعات البدائية تؤثر حالة القحط الناجم عن تخلف الموارد الطبيعية على تمكين الجماعة من الاستمرار في الحياة، وهكذا تبدو هذه الحالة وكأنها الوضع المحتّم للحرب من أجل الاستيلاء على موارد الآخرين.

ب . حروب الوفرة: أما في الجماعات الصناعية

فالدافع للصراع كان السعي في الحصول على المزيد من الموارد الأولية من أجل المزيد من الإنتاج.

ج . حروب الأسواق والتسويق: هي تلك الحروب التي تلجأ إليها الدول من أجل الحصول على الحق في أن تتاجر بحرية في منطقة معينة.

٣ـ العوامل العسكرية، التكنولوجية والتنظيمية:

٣.١. العامل العسكري:

ينظر الكثيرون إلى درجة الاستعداد العسكري على أنه المظهر الرئيسي لقوة الدولة، ويرتبط مستوى الاستعداد العسكري بعدة عوامل:

١. التقدم التكنولوجي في إنتاج الأسلحة وفي وسائل جمع المعلومات.

٢. القدرة على التخطيط الإستراتيجي والذي يتفق وطبيعة مشكلة الأمن القومي التي تواجهها الدولة.

٣. مدى كفاءة القيادات المسؤولة عن عمليات التخطيط الإستراتيجي.

٤. مدى كفاءة التدريب وكذا مستوى القدرة القتالية للقوات المسلحة في الدولة.

٥. مدى القدرة على حشد طاقات الدولة وإمكانياتها بالسرعة الواجبة وفي الظروف التي تضطرها لإجراء تعبئة شاملة لقواتها.

رابعاً: جيوبوليتيكا النظام العالميّ الجديد... منظّروها:

. ميخاييل غورباتشوف، **فكرته:** تفكير سياسيّ جديد

. **فرنسيس فوكوياما، فكرته:** نهاية التّاريخ

. إدوارد لوتواك Edward Luttwak **فكرته:** نجوميّة الجيو-اقتصاد.

ـ **المحافظون الجدد، فكرتهم:** الولايات المتّحدة زعيمة النّظام العالميّ الجديد، الحرب الدّائمة، تسخير المنظّمات العالميّة لخدمة أمريكا.

. قادة صندوق النّقد الدّوليّ ومنظّمة التّجارة العالميّة وزعماء مجموعة السّبعة G٧ **أفكارهم:** اللّيبراليّة العالميّة واللّيبراليّة الجديدة ما بين الأميّة.

.مخطّطو الاستراتيجيات في البنتاغون والنّاتو، **أفكارهم:** دول مارقة، دول تسعى إلى التّسلّح النّوويّ بطريقة غير قانونيّة ـ إرهاب.

. صامويل هانتنغتون، **فكرته:** تصادم الحضارات

خامسا: جيوبوليتيكا البيئة... منظّروها:

ـ آل غور Al Gore ، **فكرته:** مبادرة إستراتيجيّة لحماية البيئة

. روبرت كابلان Robert Kaplan ، **فكرته:** الفوضويّة القادمة

. توماس هومر ديكسن Tomas Homer-Dixon ، **فكرته:** فقر المحيط أو النّدرة في المحيط

وينطلق منظّرو الجغرافيا السّياسيّة الإمبرياليّة من إيمانهم بتفوّق البيض على كلّ الأعراق، وبتفوّق الرّجال على النّساء، وبتفوّق الحضارة الغربيّة على غيرها من الحضارات. فأفكارهم بالتّالي تعبّر عن الجنسانيّة والعدوانيّة والعنصريّة والشّوفينيّة، وهذه كلّها ميزات الإيديولوجيا النّازية التي تغنّت بتفوّق العرق الآري على غيره. وبهذه الطّريقة يصبح الخطاب الجيوساسيّ منظّراً للقتل والتّدمير واستعباد الشّعوب. ثمّ جاءت الحرب

> **تكفل المساحة الكبيرة امتيازاً عسكرياً، فإذا هُزمت دولة كبيرة فمن الصعب احتلال إقليمها الواسع والسيطرة عليه، لا سيما إذا كانت كثيفة السكان. فيستحيل على الولايات المتحدة الأمريكية أن تحتل الصين الشعبية حتى وإن انتصرت عليها، فيتطلب ذلك إيجاد قوات أكثر مما تمتلك أمريكا. وتحقق وسائل الإنذار المبكر الآن الغرض منها بفاعلية عالية، في حالة كبر مساحة الدولة**

الباردة فوفّرت سياقاً لإنتاج الخطابات التي تندرج ضمن ثنائيّة السّلطة والمعرفة، وفي ذلك السّياق ذاته بلغت الجغرافيا السّياسيّة مرحلة النّضج، وفي حين شدّدت الجيوسياسة على أهمّية التّأثير الذي تمارسه الجغرافيا الطّبيعيّة في السّياسة الخارجيّة التّوسّعيّة، فإنّ جيوسياسة الحرب الباردة تمحورت حول العداء الأمريكيّ السّوفييتي ودور التّوسّع الجغرافيّ وكذلك الإيديولوجيا فيه.

هالفورد ماكّيندر مثلا وصف أجزاء من كتلة الأراضي السّوفياتيّة بأنّها "قلب الأرض" وأمّا جورج كينّن، مهندس السّياسة الاحتوائيّة الأمريكيّة، فقد رأى أنّ الأراضي السّوفياتيّة لم تكن أرضاً، بل كائناً توسّعياً يمثّل تهديداً لا نهائياً. وترتبط المصطلحات المستعملة في ربط الصّراع بمسائل إيديولوجيّة متعلّقة بالهويّة والاختلاف. لقد ظلّت الجغرافيا السّياسيّة تصف الغرب بأنّه ليس مجرّد منطقة جغرافيّة، بل هو مجموعة متميّزة لها هويّة خاصّة يعمل على نشر الدّيمقراطيّة، ويثمّن مقاييس التّحضّر والمدنيّة، وبما أنّ بلداناً حليفة للغرب لا توجد داخل المنطقة الجغرافيّة الغربيّة، مثل اليابان وكوريا الجنوبيّة، فقد تمّ توسيع الهويّة الرّمزيّة لكي تشملهما. في خضمّ الحرب الباردة صارت الجيوبوليتيكا لعبة تمارسها القوى العظمى فوق الخارطة العالميّة، فأصبحت القوى الغربيّة هويّة رمزيّة تسمّي الاتّحاد السّوفييتي "الكتلة الشّرقيّة" ثمّ سمّاه رونالد ريغن "إمبراطوريّة الشّرّ". وفي الكتابات الجيوسياسيّة سمّيت بلدان الكتلة الشّرقيّة "العالم الثّاني" للتّأكيد على مناقضته للعالم الأوّل وهو العالم الغربيّ.

أمّا العالم الثّالث فهو العالم الفقير المتخلّف الذي يمثّل مناطق يدور حولها صراع العالمين الأوّل والثّاني. وقد رافق ذلك الصّراع من أجل مناطق العالم الثّالث تصنيف ووصف وتحليلات ستراتيجيّة تقيّم المناطق الغنيّة بالموارد، كمنطقة الشّرق الأوسط مثلا.

أنتجت الحرب الباردة نظريّة حجارة الدّومينو التي ذكرتها آنفاً، وهي شكل من التّحليل الجيوسياسيّ يعتبر دول البلدان غير الاتّحاد السّوفييتي والولايات المتّحدة الأمريكيّة مجرّد كائنات لا حول لها ولا قوّة، يمكن إسقاطها بسهولة والإبقاء عليها بسهولة، أي التّلاعب بها كما تشاء القوى العظمى، ويمكن وصف الجغرافيا السّياسيّة كنماذج من ثنائيّة القوّة _ المعرفة التي تجاهلت كلّية الخصائص الجغرافيّة للأمكنة والشّعوب والمناطق، وقد عدّ البعض من علماء الجغرافيا السّياسيّة، انتصار التّحليل الخطابيّ الأمريكيّ انتصاراً للثّقافة الأمريكيّة، تحقّق بفضل الماكارثية التي أدّت بالولايات المتّحدة الأمريكيّة إلى احتلال فيتنام، وخوض المزيد من الحروب، لكنّ تلك الجيوسياسة أثبتت فشلها لأنّها لم تأخذ بعين الاعتبار خصائص الشّعب الفيتناميّ، وقد طُردت منه أمريكا شرّ طرد ثمّ ارتكب الاتّحاد السّوفييتي نفس الأخطاء عندما أقدم على احتلال أفغانستان.

ومع سقوط الاتّحاد السّوفييتي وقعت الجغرافيا السّياسيّة وكذلك العلوم السّياسية في أزمة سمّيت "أزمة المعاني" فبما أنّ الجيوسياسة تدرس الصّراعات، كان لابدّ من إيجاد صراعات جديدة؛ هذه المرّة تمّ التّركيز على الصّراعات الثّقافيّة وتمّ تصوير العالم الإسلاميّ على أنّه العدوّ الجديد للغرب وللثّقافة الغربيّة، ومنذ سقوط الاتّحاد السّوفييتي تحوّل التّنظير نحو مفاهيم "النّظام العالميّ الجديد" وفي هذا الإطار أعيد تعريف الجغرافيا السّياسيّة وتحديد مقارباتها وممارساتها. لقد برز منظّرون جدد يتغنّون بتفوّق العالم الغربيّ ومنهم فوكوياما الذي قال بنهاية التّاريخ، وإيدوارد لوتووك الذي تغنّى بتفوّق الجيواقتصاد الغربيّ، فقد رأى إدوارد لوتووك أنّ الدّول ككائنات أرضيّة أو جغرافيّة سوف تواصل صراعها، لكنّه لن يكون صراعاً سياسيّاً، بل جيواقتصاديّا، صراعاً يديره الاقتصاد في نطاق الجغرافيا، وسيتّخذ هذا الصّراع في رأيه شكل خلافات تجاريّة واقتصاديّة.

كانت نظريّة إيدوارد لوتووك مرتبطة بالدّولة، لكن منظّرين آخرين في ميدان الجغرافيا الاقتصاديّة شدّدوا على التّقهقر النّسبيّ للدّول لصالح التّدفّق الصّاعد للمؤسّسات ما بين القوميّة، هذه الرّؤية يُعبّر عنها بمصطلح "اللّيبراليّة" ما بين القوميّة أو اللّيبراليّة الجديدة، وهي مذهب تؤكّد أنّ العولمة التي تقودها التّجارة والإنتاج والأسواق، سوف تحدّ من سلطة الدّول وتسرّع في اندماج العالم. هذه النّظريّة تتبنّاها مجموعة السّبعة وصندوق النّقد الدّوليّ ومنظّمة التّجارة العالميّة، التي ترى أنّ العولمة تسرّع في نماء البلدان النّامية. إلاّ أنّ هذه المؤسّسات لها نوايا مختلفة تماماً عن نواياها المعلنة. أمّا عالم السّياسة ومنظّر المحافظين الجدد صامويل هانتنتن فيشدّد على قوّة الكتل الجيوثقافيّة في النّظام العالميّ الجديد، فيؤكّد هانتنتن أنّ الكتل الثّقافيّة تحدّد الشّؤون العالميّة، لكنّ هذه الخاصّية قد حجبتها الحرب الباردة، فلم يعتنِ بها علماء الجغرافيا السّياسيّة؛ أمّا الآن فهي موجودة إلى جانب الخطابات المختلفة، وهي التي ستحدّد طبيعة النّظام العالميّ الجديد.

الخاتمة

الجغرافيا السّياسيّة تُعنى بالعلاقات السّياسيّة بين الدّول، وتضع الاستراتيجيّات للدّول، وتبحث في موازين القوى العالميّة، وقد حاولتُ أن أبيّن كيف أنّ خطابها المهيمن حالياً قد نشأ من التّجربة الأوروبيّة الأمريكيّة، لكنّ النّظريّات التي تمّ تطويرها قد تمّ إسقاطها على بقيّة العالم.

في الوقت الحاضر، لم تعد القوّة والاستراتيجيّات العسكريّة مهيمنة على الجغرافيا السّياسيّة، بل هي أقلّ أهمية ممّا كانت عليه، فالقوّة الاقتصاديّة أصبحت غاية في حدّ ذاتها وصارت توصف بأنّها الوسيلة لتعزيز القدرة العسكرية، وأنّها التي تحدّد النّجاح النّسبيّ للدّولة، نظراً لصعود قوى إقليميّة جديدة مثل الهند والصّين. لقد أولت الجغرافيا السّياسيّة المزيد من الاهتمام بالعولمة وكيفيّة عبور الحدود، وكيفيّة انتقال الظّواهر والمشاكل البيئيّة والثّقافيّة، مثلاً من منطقة جغرافيّة إلى أخرى. وقد أشرت إلى عدم الموضوعيّة فيها ولذلك أقول إنّ مفاهيمها تحتاج إلى إعادة النّظر فيها؛ ولماذا لا نطمح إلى إنشاء جغرافيا سياسيّة عربيّة.

.المصادر المستخدمة في البحث

-1 روبرت كابلن، انتقام الجغرافيا، ترجمة إيهاب عبد الرحيم، عالم المعرفة، 2013

-2 استراتيجيات روسيا السياسية، خرائط سياسية، جورد فريدمان، 2016

-3 روسيا الأوراسية قوة عظمى الصراع والدبلوماسيا بريكس كندل. ترجمة وسيم خليل قلعة جي 2020

4__ دراسة في أثر جيوبولوتيك في علاقة روسيا بالدول الجوار فيرونيكا حليم فرنسيس 2019،

5__ الجيوبولوتيك والسياسة الدولية د. بدر الشاطري 2017

أبواب تركيا مغلقة أمام المهاجرين!

مصطفى عبدي

إنّ أبواب تركيا مغلقة أمام المهاجرين! تستهدفهم بالرصاص الحي، وضرب وإذلال للنساء والصغار واتهامات لدول الاتحاد الأوروبي بـ"غض الطرف"

> **"يواجه المهاجرون عنفاً على أبواب تركيا وحدودها المغلقة أمامهم والمفتوحة بالمقابل أمام نقل (الجهاديين) و (الأسلحة) خلال رحلتهم الشاقة للوصول إلى ما يعتبرونه بر الأمان، فمع تشديد تركي إجراءاتِها لصدِ اللاجئين والمهاجرين، بات هؤلاء أكثر عرضةٍ للقتل وللضرب والتوقيف، وسط اتهامات للاتحاد الأوروبي بأنّه يوافق ضمنياً على إجراءات صدِ المهاجرين لا بل يدفع لتركيا الكثير من الأموال لصدهم"**

يواجه المهاجرون عنفاً على أبواب تركيا وحدودها المغلقة أمامهم والمفتوحة بالمقابل أمام نقل (الجهاديين) و (الأسلحة) خلال رحلتهم الشاقة للوصول إلى ما يعتبرونه برّ الأمان، فمع تشديد تركي إجراءاتِها لصدّ اللاجئين والمهاجرين، بات هؤلاء أكثر عرضةً للقتل وللضرب والتوقيف، وسط اتهامات للاتحاد الأوروبي بأنّه يوافق ضمنياً على إجراءات صدّ المهاجرين لا بل يدفع لتركيا الكثير من الأموال لصدهم. ويأتي هذا التشديد تزامنا مع التصعيد العسكري من قبل الجيش السوري والقوات الروسية مستهدفين إدلب في ظل صمت تركي رغم كونها طرفاً ضامناً لاتفاق وقف إطلاق النار، كما وتتزامن تلك الإجراءات مع تصعيد تركي واستهداف مدينة كوباني ومنطقة الشهباء وتل رفعت في ريف حلب بطائرات مسيرة أدت الى مقتل وإصابة ١٧ شخصاً.

علاء محمد (٢٨ عاماً) هو أحد المهاجرين وهو نازح من بلدة معرة النعمان يقطن في بلدة أريحا يقول: "وكأنّ تهريب السلاح والمقاتلين أسهل من تهريب الغذاء والدواء"... ، يضيف "الجندرما التركية تتصرف مثل حيوانات برية، فهي تضرب جميع اللاجئين أطفالاً ونساء وشباباً ومسنين، حتى المتواجدين منهم على الحدود في مخيمات ضمن الأراضي السورية".

منذ سنوات يتّهم المدافعون الحقوقيون الشرطة التركية بإبعاد المهاجرين بعنف وبشكل مذل، وفق شهادات لاجئين ومبلّغين عن مخالفات من قبل الجندرما التركية.

وتتفق منظمات حقوق الإنسان في توجيه التهمة الى قوات الجندرما التي ترتكب انتهاكات ضد السوريين - خاصة الأطفال - على طول الحدود السورية التركية، في تناقض واضح لما يروجه المسؤولون الأتراك في أنهم يتبعون سياسة الباب المفتوح أمام اللاجئين السوريين.

وتبرر السلطات التركية استهداف اللاجئين وتصفهم بالإرهابيين، لكن بأي حال لا يوجد تهديد أو خطر يمكن أن يبرر موت الأطفال، وانتهاك حقهم في الحياة، لا يوجد إجراء يمكن أن يبرر موت أطفال والأشخاص الذين يحاولون بالفعل البقاء على قيد الحياة في ظروف قاسية، فهذه جرائم قتل متعمدة.

وارتفع عدد اللاجئين السوريين الذين قُتلوا برصاص الجندرما التركية إلى ٥١١ بينهم ٦٧ امرأة و ٩٥ طفلاً، كما ارتفع عدد الجرحى والمصابين بطلق ناري أو اعتداء إلى ١٠١٢ لاجئاً، وذلك حتى ١٩ تشرين الأول ٢٠٢١.

هذا وبات السوريون على يقين بأنّ تركيا خذلتهم، على كافة المستويات، ليس فقط العسكري، أو السياسي، وإنّما حتى على المستوى الإنساني.... فتركيا من كانت طرفا في الحرب الدائرة في بلدهم سوريا، وهي من فتحت الحدود لعبور السلاح، والمسلحين، ودعمت ولاتزال تدعم العشرات من الجماعات المسلحة التي تتقاتل فيما بينها، في مناطق من المفترض أنّها باتت آمنة، كما أنّها التي تتلق باسمهم المساعدات

الدولية والأموال المقدمة من دول الاتحاد الأوروبي ومن الولايات المتحدة. لكن لا يصلهم شيء كما يؤكد النازحون.

كما يجد الآلاف من النازحين الذين اضطر غالبهم إلى ترك منازلهم، والنزوح من مدنهم بناء على صفقات واتفاقيات عقدتها تركيا مع كل من روسيا وإيران بلا مأوى ومستقبل، وأنّ حياتهم وحياة أطفالهم انتهت، وأنّ الأمل يتبدّد يوماً عن آخر، في ظروف قاهرة، لا عمل، ولا أمن أو أمان، فهم أمام خيار أن يتحولوا إلى مرتزقة، ترسلهم تركيا إلى ليبيا أو أذربيجان أو أن يموتوا قهراً وجوعاً.

تتهم العفو الدولية تركيا باستغلال اللاجئين السوريين، وإعادتهم قسرا إلى مناطق غير آمنة، هذا وكانت منظمة العفو الدولية قد حذرت تركيا من خطط إجبار اللاجئين السوريين على العودة إلى بلادهم قسراً.

أشار تقرير المنظمة الدولية إلى أنّ قوات النظام السوري تعامل السوريين العائدين إلى بلادهم بشكل سيء، ووجهت المنظمة انتقادات إلى تركيا واتهمتهما بإجبار السوريين على العودة إلى سوريا.

وأكد التقرير أنّ سوريا ليست آمنة بعد للعودة إليها، محذّراً من استمرار الانتهاكات الحقوقية والعنف والتعذيب والاعتقال التعسفي والاغتصاب بحق العديد من اللاجئين العائدين إلى سوريا.

وأفاد التقرير بعنوان "أنت عائد إلى الموت" أنّ هناك لاجئين عادوا إلى سوريا، وانقطعت أنباؤهم منذ ذلك الحين.

وأسرد التقرير تفاصيل التطورات الخاصة بمصير ٦٦ لاجئاً من بينهم ١٣ طفلاً عادوا إلى سوريا خلال الفترة ما بين عامي ٢٠١٧ و٢٠٢١، إذ ذكر التقرير أنّ من بين العائدين إلى سوريا ٥ أشخاص لقوا مصرعهم داخل المعتقل و١٧ شخصاً انقطعت أنباؤهم.

هذا وأكد التقرير تورّط قوات النظام السوري في ١٤ واقعة عنف جنسي بحق اللاجئين العائدين، وسرد تفاصيل تتعلق بسبع وقائع اغتصاب بحق خمسة نساء.

كانت منظمة العفو الدولية قد أشارت في تقرير لها استند إلى شهادات لمرحلين أنّ الكثير منهم تعرّض للإكراه، أو التضليل، عند توقيع ما يسمى بوثائق "العودة الطوعية"، وقال بعض من التقتهم المنظمة أنّ الشرطة التركية اعتدت عليهم بالضرب، أو هددتهم بالتوقيع على وثائق تفيد أنّهم كانوا يطلبون العودة إلى سوريا، بينما كانت تركيا في الواقع تجبرهم على العودة إلى منطقة حرب، وتعرض حياتهم لخطر جسيم.

القضيّة الكُرديّة في الصراعات الدّوليّة بين الحربين العالميّتين

(الجزء الأول)

جميل رشيد

تمهيد

تحتلُّ القضيّة الكُرديّة موقعاً هاماً في الصراعات الدّوليّة والإقليميّة المعاصرة، ولها أهميّة كبرى في تغيير معادلات التّوازن الإستراتيجيّ والتّأثير على مصالح الدّول في الشّرق الأوسط، بحكم ديناميّتها وقدرتها على التأثير والتأثّر في محيطها الإقليمي والدّوليّ. فموقوع جغرافيّة كردستان في قلب الشّرق الأوسط وعلى تقاطع طرق التّجارة الدّوليّة البرّيّة "خط الحرير"، جعل منها منطقة تستأثر باهتمام الدّول والإمبراطوريّات الاستعماريّة القديمة والحديثة. فحروب الإسكندر المقدوني، وكذلك صراع الفرس والعثمانيّين، والمسلمين مع الرّوم، معظم أحداثها جرت على أراضي كُردستان التّاريخيّة، ودفع الكُرد ثمناً باهظاً لتلك الحروب والصراعات، تمثّلت بابتعادهم عن ركب الحضارة والعيش ضمن مجتمعاتهم.

حيث يعتبر بعض المؤرّخين أنَّه مرّت على الكُرد فترة انقطاع عن الحضارة العالميّة في فترات تعرّض بلادهم لعمليّات الغزو والاحتلال والحروب التي نشبت في المنطقة المحيطة بها. ما حدا بأن تكون جغرافيّة كردستان منطقة غير مستقرّة، وأن ينزوي سكّانها في جبالهم الوعرة كأفضل حامٍ لهم ضدّ الغزوات والحملات. فضلاً أنَّ العنصر الدّينيّ لعب دوراً بارزاً في انكفاء الكُرد نحو مناطقهم العصيّة على الأعداء، ولهذا ربط المؤرّخون اسم الكُرد بالجبال على طول تاريخهم.

إنَّ التغيّرات التي طرأت على تموضع القوى الإمبراطوريّة السّائدة في المنطقة والعالم في مراحل مختلفة من التّاريخ، وانهزام بعضها، مقابل تَسيّد بعضها الآخر المشهد العالميّ، لم تتأثّر بها بلاد الكُرد كثيراً؛ نظراً لوقوعها تحت احتلالين مباشرين، فارسيّ وعثمانيّ . فحركة التّنوير وبداية عصر النّهضة في أوروبا ولاحقاً دخولها في مرحلة الثّورة الصناعيّة والفكريّة، ظلّت كردستان بعيدة عنها نوعاً ما، لأنَّ الامبراطوريّات الحاكمة عليها كانت هي ذاتها قد انغلقت على نفسها، ولم تسمح بإحداث أيّ تغييرات بنيويّة جوهريّة داخل مجتمعاتها التي حكمتها – في أغلب الأحيان – بالسَّوط والسَّيف والفرمانات الشاهنشاهيّة والسُّلطانيّة، مُحاطة بنخبة من الغوغاء والحركات الشَّعبويّة، المعتمدة على القوّات الإنكشاريّة.

إنَّ هزيمة إمبراطوريّات الشَّرق أمام قوّة الغرب المتنامية باضطّراد، على الصعيد الفكريّ والعلميّ، قبل العسكريّ، وارتدادها نحو الدّين كوسيلة أخيرة بيدها للدّفاع عن نفسها، وضعها في موقع لا تُحسد عليه، استمرّت تأثيراتها إلى يومنا هذا، وإن بأشكال مختلفة.

أمام هذا الواقع المرير؛ وجد الكُرد أنفسهم في أتون معركة غير متكافئة على كافّة الصعد. ففي حين كانت أوروبا تقطع أشواطاً كبيرة على طريق تطوير الفلسفة والعلوم التطبيقيّة (**الفيزياء والكيمياء والرّياضيات والهندسة والطبّ.. الخ**) وعمليّة فصل الدّين عن الدّولة، تمسّكت دول الشَّرق وامبراطوريّاتها الضعيفة بتلابيب الفكر الدّينيّ المتطرّف والمنغلق على نفسه، واعتبرت كُلّ ما هو خارج رؤيتها للحياة والمجتمع «كُفراً» يجب محاربته بشتّى الوسائل، فكانت الهزيمة من نصيبها، كنتيجة حتميّة لمعادلات الصراع التّاريخيّ. فوجد الكُرد أنفسهم ضمن هذا الواقع، دون إمكانيّة إحراز أيّ نوع من الاستقلال الثّقافي والمعرفيّ، وعاشوا حالة من التكوّر والتقوقع على الذّات.

الصراعات بين الدّول في العصر الحديث، وسياسات التقسيم والتجزئة التي فرضها الاستعمار المُحمَّل بالأفكار والتوجّهات الرّأسماليّة الباحثة عن مصادر المواد الخام وطرق التّجارة والأسواق، توجّهت أنظارها إلى كردستان، لتكون الضحيّة الأولى لمطامعها في منطقة الشَّرق الأوسط.

سنحاول في بحثنا تناول الأثر الذي تركته الصراعات الدّولية على القضية الكُردية وحلولها خلال مراحل معينة من التاريخ الحديث، ودور بعض الدّول في رسم خرائط وسياسات دول شرق أوسطية، ومحاولة استنتاج أهم النتائج التي تمخضت عن الاتفاقيات التي أبرمتها الدّول الغربية مع الدّول المحتلة لكردستان، وماهية الصراع عليها وفيها، وتبيان العوامل الذي أثرت في عدم وصول القضية الكُردية إلى مستوى الاهتمام الدّوليّ، وبالتالي طرح حلول لها، وهل مقولة إنشاء دولة كُردية، ستتسبّب في اندلاع حرب عالمية ثالثة، مثلما يروج لها غلاة القوميين العرب والترك والفرس؟

مكانة القضيّة الكُرديّة في بداية الحرب العالميّة الأولى

إنَّ الصراع الدّائر بين دول المحور والتّحالف الأوروبيّة، وانتقال هذا الانقسام إلى منطقة الشَّرق الأوسط، تمثّل في دعم دول المحور (ألمانيا

وإيطاليا) للسَّلطنة العثمانيّة، التي وصفوها بالرَّجل المريض، في حين دول التَّحالف التي كانت تقودها كُلّ من بريطانيا وفرنسا، توجّهت أنظارها في البداية صوب تفكيك كيان السَّلطنة العثمانيّة. فالسياسة التي اتّبعتها بريطانيا (فرّق تَسُدْ)، حاولت أن تتّبعها مع السَّلطنة أيضاً.

فالسَّلطنة المتهالكة، والمستندة إلى قاعدة إقطاعيّة متخلّفة في الإنتاج الفكريّ والماديّ، كما وصفها مؤسّس الجمهوريّة التركيّة مصطفى كمال أتاتورك في إحدى خطاباته، لم تَعُدْ قادرةً على تجديد نفسها أمام التحدّيات الكبيرة التي فرضتها الدّول الغربيّة المُتسلّحة بأحدث تِقنيّات العلوم التي توصّلت إليها. ووجد الأتراك العثمانيّون أنفسهم ضمن صراع لا قُدرة لهم على المغامرة في خوض غماره.

التيّارات السّياسيّة التي وُلِدَتْ من رحم السَّلطنة العثمانيّة، لم تكن إلا إرهاصات لمرحلة جديدة، عنوانها الرّئيس دفن السَّلطنة والقطع مع تاريخها الإقطاعيّ – الدّينيّ. فإن كانت حوامل تلك التيّارات غربيّة الهوى والثَّقافة؛ فإنَّها في بداية انطلاقاتها أبدت ميولاً إنكاريّة لتاريخها، محاوِلةً التَّسويق للأفكار الحداثويّة المستورَدة. فالجمعيّات والأحزاب والحركات التي تشكّلت في بداية القرن العشرين، مثّلت هذا التوجّه لدى بعض النُّخب الفكريّة والسّياسيّة ضمن السَّلطنة. فجمعيّة الاتّحاد والترقّي التي تصدّرت المشهد السّياسيّ وتقوّى عضدها ضمن مفاصل السَّلطنة وفي المؤسّسات العسكريّة والسّياسيّة والإداريّة، تمكّنت خلال سنوات معدودة من أن تغدوَ القوّة الأكبر، لِتُهدّدَ السَّلطنة وتفرض عليها قيمها وأفكارها فيما بعد.

السّياقات الفكريّة والنّظريّة للاتّحاد والترقّي، بدت للوهلة الأولى غريبة عن الأنماط الفكريّة السّائدة في الشّرق، وخروجاً عمّا هو مألوف لدى شعوبها.

تأثّر الكُرد بهذا التطوّر والتغيّر في توجّه

> **"إن التغيرات التي طرأت على تموضعّ القوى في المنطقة والعالم، لم تتأثّر بها بلاد الكُرد كثيراً؛ نظراً لوقوعها تحت احتلالين مباشرين، فارسيّ وعثمانيّ. فحركة التنوير وبداية عصر النهضة في أوروبا ولاحقاً دخولها في مرحلة الثّورة الصناعية والفكرية، ظلّت كردستان بعيدّة عنها نوعاً ما، لأن الامبراطوريات الحاكمة عليها كانت هي ذاتها قد انغلقت على نفسها، ولم تسمح بإحداث أي تغييرات بنيوية جوهرية داخل مجتمعاتها التيّ حكمتها بالسوط والسيف والفرمانات الشاهنشاهية والسُّلطانيّة"**

بعض النُّخب الفكريّة والسّياسيّة لدى الأتراك، فأسّسوا "جمعيّة ترقّي وتعالي كردستان"، إلا أنَّها لم تتطوّر وتصبح حركة سياسيّة وفكريّة على غرار الاتّحاد والترقّي التركيّة، بل انضمَّ قسم منهم إلى الأخيرة، حيث ظلّت متعلّقة بأذهانها فكرة "الأخوّة الكُرديّة – التركيّة" التي تمتدُّ بجذورها عميقاً إلى التّاريخ الإسلاميّ المشترك وإلى "ملاذ كرد وتشالديران ومرج دابق والرّيدانيّة"، والتي أسّست لاحقاً لمرحلة جديدة من التشارك الكُرديّ – التركيّ في حرب التّحرير الوطنيّة، بناءً على هذه الفكرة.

إنَّ دخول السَّلطنة العثمانيّة معترك الحرب العالميّة الأولى إلى جانب دول المحور، وخسارتها الحرب، ومن ثُمَّ تفكيكها وخضوعها لشروط الحلفاء، يعتبر مرحلة هامّة في سياق التّحالفات والصراعات التي خاضتها السَّلطنة مع القوى الغربيّة، وكذلك تأثيراتها على القضيّة الكُرديّة ضمن زاوية تشارك الكُرد والأتراك في التّاريخ.

> **”التّنافس الاستعماري للدّول الرأسمالية، وبحثها عنّ مناطق المواد الخامّ والأسواق، جعلها تبدي مقاربات نفعية وانتهازية من قضايا الشعوب وتحرُّرها. فبريطانيا رسمت خرائط سياسية للمنطقة، وخلقت معها صراعات إثنية ودينية متعددة، ترسّخت فيما بعد، لتغدو أمراً واقعاً استمر حتى يومنا هذا. فمسطرة سايكس – بيكو التي قسمت المنطقة إلى دويلات ناشئة، اعتماداً على واقع إنكاري للمجموعات القومية الأخرى“**

فأيُّ تحوّل في الموقف الغربيّ تجده ينعكس سلباً أو إيجاباً على الكُرد وقضيّتهم أيضاً.

فإن كان الفيلسوف والمفكّر الكُرديّ عبد الله أوجلان يقول إنَّ معركة «ملاذ كرد» تُمثّل معاني مختلفة لكُلّ من الكُرد والأتراك، ويبرز السِّمات المشتركة بينهما، إلا أنَّ ما ظهر بعد الحرب العالميّة الأولى من توجّهات متباينة لدى الأتراك والنُّخب الثّقافيّة والسّياسيّة، وتجلّياتها الدّمويّة لاحقاً، نسفت كُلّ الأسس والتقاطعات المشتركة بينهما، بما حقّق للطبقات السّياسيّة التركيّة الصاعدة هوسها في تشكيل الدّولة القوميّة التركيّة، المعتمدة على نظريّة العرق الواحد واللّون الواحد واللّغة الواحدة، والمستندة إلى واقعٍ إنكاريّ تجاه الغير، والتي كانت سبباً أساسيّاً في اندلاع الحروب والنّزاعات إلى يومنا هذا.

فالدّول الغربية التي تقاسمت تركة السَّلطنة العثمانية بعد انهيارها، سعت – وبقوة – إلى جعل القضية الكُردية مادة للمساومة بها مع الدّول التي نشأت فيما بعد، وخاصّة الجمهورية التركية، وغدت تلك الدّول تبني نظريات دولها القومية بناء على إنكار الكُرد ودورهم في تثبيت وجود دولهم أو عدمها.

كما أنَّ الدّول الغربيّة أبدت مقاربات انتهازيّة تعتمد على تثبيت مصالحها أوّلاً، وتُخضع تعاملها مع القضيّة الكُرديّة وممثّليها لمنطق المنفعة، بعيداً عن المبادئ التي نادت بها. فرغم حضور وفدٍ كُرديٍّ يمثّل تطلّعاتهم مؤتمر السَّلام في باريس عام ١٩١٩، بقيادة الجنرال إحسان نوري باشا، إلّا أنَّ الدّول التي انتصرت في الحرب العالميّة الأولى، ورغم قطعها وعوداً بتشكيل دولة للكُرد، إلا أنَّها ما لبثت أن تنصّلت منها في عدّة مؤتمرات لاحقة، ودعمت حركة الاتّحاد والترقّي التي قادها أتاتورك، لتناقض ما أقرّته في مؤتمر باريس.

ويورد الكاتب «مظفّر مزوري» في مقالة له نشرت عام ٢٠١٨ على موقع «الجزيرة نت» بأنَّه ”دُوِّنَ حقُّ تقرير المصير للشُّعوب من خلال مؤتمر السَّلام في باريس ١٩١٩ الذي أعقب الحرب العالميّة الأولى، إذ تَمَّ التمييز في هذا المؤتمر بين الأقاليم الأوروبيّة وغير الأوروبيّة، فالأولى منحت الاستقلال استناداً إلى المبدأ، في حين تمّ الالتفاف على حقّ الشُّعوب الأخرى في ابتكار نظام الانتداب في المادّة ٢٢ من عهد عُصبة الأمم لتطبيقه على الأقاليم غير الأوروبيّة، والتي صنّفت في ثلاث فئات اعتبرت إحداها فقط هي الفئة (أ) جديرةً بنيل الاستقلال، على أن تتلقّى خلال فترة غير محدّدة الإرشاد والمساعدة من الدّولة المنتدَبة، ولهذا السّبب انسحبت الولايات المتّحدة الأمريكيّة من عصبة الأمم لتقاطع المادّة ٢٢ مع ثوابت دستورها وقيمها، وتَمَّ إدراج حقّ تقرير المصير في ميثاق حلف الشّمال الأطلسيّ الذي تمّ إعداده بعد عقد اجتماع في ١٤ يوليو/ تمّوز سنة ١٩٤١ بين رئيس الولايات المتّحدة ورئيس وزراء بريطانيا، وقد اتّفقوا على الرَّغبة في عدم إحداث أيّ تغييرات إقليميّة ضُدَّ رغبات الشُّعوب، وهناك قرارات أخرى أيضاً في مسألة حقّ تقرير المصير للشُّعوب والأمم في مواثيق وقرارات الأمم المتّحدة

وقرارات الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة واتّفاقيّات دوليّة أخرى مثل اتّفاقيّة فيينا واتّفاقيّة فرساي واتّفاقيّة سيفر واتّفاقيّة هلسنكي".

التّنافس الاستعماريّ للدّول الرّأسماليّة الصاعدة في الغرب، وبحثها عن مناطق للاستحواذ على المواد الخام والأسواق، جعلها تبدي مقاربات نفعيّة وانتهازيّة من قضايا الشُّعوب وتحرُّرها. فبريطانيا المنتصرة في الحرب رسمت خرائط سياسيّة للمنطقة، وخلقت معها صراعات إثنيّة ودينيّة متعدّدة، ترسّخت فيما بعد، لتغدوَ أمراً واقعاً استمرَّ حتّى يومنا هذا. فمسطرة سايكس – بيكو التي قسَّمت المنطقة إلى دويلات ناشئة، كانت السَّبب في اندلاع الحروب القوميّة التي تذرّعت بألف سبب وسبب، ولتمنح نفسها أحقيّتها في العيش والاستمرار دون سواها. فكُلُّ النظريّات القوميّة في المنطقة، تطوّرت لتصل إلى تشكيل دولها، اعتماداً على واقع إنكاريّ للمجموعات القوميّة الأخرى ضمن الحدود التي رسمتها سايكس – بيكو.

إنَّ الصراع الدّائر في منطقة الشَّرق الأوسط بعد أن وضعت الحرب العالميّة الأولى أوزارها وتشكيل الدّول القوميّة العربيّة والتركيّة إلى جانب الإيرانيّة، همّشت القضيّة الكُرديّة، فيما تنكّرت الدّول الغربيّة لحقوق الكُرد في إنشاء كيان مستقلّ لهم على غرار الأتراك والدّول العربيّة التي انبثقت بعد انهيار السَّلطنة العثمانيّة. فمعاهدة سيفر ١٩٢٠ التي أقرّت بإنشاء دولة كُرديّة مستقلّة، ومنحت عصبة الأمم تركيّا حقّ مراقبة تنفيذ الأتراك لبنود الاتّفاقيّة ومدى التزامها بها، لكنّها سُرعان ما أدارت ظهرها لها، بعد مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١.

يعتبر مؤتمر القاهرة نقطة مفصليّة في مواقف الدّول الغربيّة إزاء القضيّة الكُرديّة. فبريطانيا التي عقدت المؤتمر تحت إشراف وزير المستعمرات لديها آنذاك "ونستون تشرشل" وحضور وفدٍ كرديٍّ رسميٍّ، وكذلك بمشاركة فاعلة من ممثّلي بريطانيا في العراق ضابطي

"إن دخول السلطنة العثمانية معترَك الحرب العالمية الأولى إلّى جانب دول المحور، وخسارتها الحرب، ومن ثم تفكيكها وخضوعها لشروط الحلفاء، يعتبر مرحلة هامة في سياق التحالفات والصراعات التي خاضتها السلطنة مع القوى الغربية، وكذلك تأثيراتها على القضيّة الكردية ضمن زاوية تشارك الكُرد والأتراك في التاريخ. فأيُّ تحول في الموقف الغربيّ تجده ينعكس سلباً أو إيجاباً على الكرد وقضيتهم أيضاً"

المخابرات "السير كوكس" و"مسز بيل"، حيث كان لهما دورٌ بارزٌ في نسف كُلّ ما أقرّه مؤتمر سيفر، قبل أن تنسفها الدّول المحتلّة لكردستان.

الورقة التي قدّمتها "مسز بيل" في مؤتمر القاهرة، تعتبر بداية الإنكار البريطانيّ لحقوق الكُرد وخلق صراعات في المنطقة، محورها القضيّة الكُرديّة. وقبل أن تكون هناك أيّ قضيّة أخرى شائكة في المنطقة كالقضيّة الفلسطينيّة. لقد وصفت «بيل» الكُرد بأنَّه شعب لا يستحقُّ دولة خاصّة به، بناءً على تصوّرات كيديّة استشعرت بها خلال صولاتها وجولاتها في مناطق الكُرد في جنوب كردستان (كردستان العراق). واستخلصت "بيل" أنَّه نظراً للبنى العشائريّة المتخلّفة السّائدة في المجتمع الكُرديّ، وارتباط الكُرد العضويّ مع الأتراك، فإنّهم يشكّلون خطراً مستقبليّاً على المصالح البريطانيّة في المنطقة وبالذّات في العراق.

استندت "بيل"، وكذلك "كوكس" على نتائج زياراتهما لمناطق عديدة في المناطق

الكُرديّة الملحقة بدولة العراق الآن، وأظهرا الجوانب السّلبيّة السّائدة في المجتمع الكُرديّ، من خلال تركيزهما على إبراز الانقسامات الدّينيّة وصراع الطرق الصوفيّة، رغم أنَّ المنطقة العربيّة لم تكن أفضل حالاً من المناطق الكُرديّة. فمنطقة الحجاز التي شهدت تصاعد الحركة الوهّابيّة التي حمل لواءها آل سعود، انبثقت من واقع مجتمعيّ مُثقلٍ بالقيم الدّينيّة والعشائريّة التي لا ترتقي إلى مصاف تشكيل دولة خاصّة بهم. وكذلك الأتراك الذين خرجوا من الحرب مهزومين، انقسموا بين التمسُّك بأمجاد السَّلطنة البائدة ومحاولة إحيائها ثانية، وبين توجّهات جمعيّة الاتّحاد والترقّي في إلحاق تركيّا برُكب الحضارة الغربيّة وتبنّي قيمها المتناقضة مع قيم السَّلطنة.

إنَّ بناء دولة العراق الملكيّة وحصر سيادتها بالعنصر العربيّ، إنّما جاء متوافقاً مع سياسة بريطانيا السّاعية إلى خلق صراعات بين شعوب المنطقة وديمومتها. فرغم أنَّ العرب لم يكونوا في وضع يؤهّلهم لتشكيل دولة خاصّة بهم، فضلاً عن الانقسامات المذهبيّة بينهم؛ السُّنّة والشيعة، إلا أنَّ الإنكليز نصبوا نوري السَّعيد ملكاً على العراق، وتَمَّ إلحاق الموصل بها، رغم محاولات تركيّا المُستميتة بإلحاقها بدولتها الفتيّة، إلا أنَّ تطلّع الإنكليز إلى اكتشاف النَّفط فيها، دفعهم بضمّها للعراق، دون أخذ البُنية الدّيمغرافية لسّكانها وتاريخيّتها بعين الاعتبار، حيث تُعتبر جزءاً لا يتجزّأ من جغرافيّة كردستان، لكن تَمَّ غضُّ النَّظر عن هذا الجانب الهام في التّوافقات التي أجرتها بريطانيا مع معظم الأطراف حينها.

رَفْضُ الإنكليز إنشاء دولة كُرديّة، جعل من القضيّة الكُرديّة عنصر قلق وعدم استقرار في منطقة الشَّرق الأوسط، نظراً لارتباط مصير أربع دول – على الأقلّ – بها، وتأثيرها على باقي دول المنطقة التي أنشأتها بعد انهيار السَّلطنة العثمانيّة.

البنود الواردة في اتّفاقيّة سيفر عام ١٩٢٠ بإنشاء دولة كُرديّة، ورغم أنَّها فيما لو تشكّلت، لكانت دولةً مقطّعة الأوصال. فضلاً عن ذلك وضع الإنكليز تلك الدّولة تحت الحماية والوصاية التركيّة، عندما اشترطت أن تكون تركيّا الدّولة المُراقبة لِحُسنِ أداء إدارة الدّولة الكُرديّة المشكّلة، وعلى ضوء تقريرها ستُبدي "عصبة الأمم" اعترافها بها.

إلا أنَّ الأمور لم تصل إلى تلك المرحلة من الاستنتاج والانتظار، حيث تَمَّ نقض كُلّ ما تَمَّ إقراره في سيفر بخصوص إنشاء دولة كُرديّة في مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣، وفرض التَّقسيم الرُّباعي على كردستان، حيث ألحق كُلّ جزء بدولة، لتأتي في خدمة مصالح الإنكليز والفرنسيّين بالدَّرجة الأولى، ومن ثُمَّ مصالح القوميّات الفارسيّة والتركيّة والعربيّة، ولتعتبر أراضي كردستان جزءاً لا يتجزّأ من أراضيها التّاريخيّة.

بريطانيا المتخوّفة من تحالف الكُرد مع الأتراك لتهديد مصالحها في العراق، أدارت بوصلتها نحو الأتراك، بعدما انقلب مصطفى كمال أتاتورك على لينين والسوفييت، ودخل في تحالفات مع الدّول الغربيّة، ليغدو جزءاً من المشروع الاستعماريّ الغربيّ في منطقة الشَّرق الأوسط.

رَدّةُ الفعل الكُرديّة على التآمر البريطانيّ والغربي عموماً، تَمثّل في اندلاع العديد من الثّورات والانتفاضات ضُدَّ الجمهوريّة التركيّة الفتيّة. كما أنَّ أتاتورك نفسه خان تعهّداته مع الكُرد بعد الانتهاء ممّا سُمّي بـ «حرب التّحرير الوطنيّة" وتحرير منطقة الأناضول برمّتها من الاحتلال الغربيّ، الذي هدَّدَ بتقسيم تركيّا إلى دويلات صغيرة، لتسعى إلى ضَمِّ قسم من تركيّا الحاليّة إلى اليونان.

إنَّ إطلاق يد أتاتورك في ارتكاب المجازر الوحشيّة ضُدَّ الكُرد، وخاصّة في شمال كردستان، إنّما عبَّرَ عن إرادة غربيّة في طمس القضيّة الكُرديّة، قبل أن يُعبّر عن رغبة تركيّة في إمحاء كُلّ ما يتعلّق الكُرد وثقافتهم ولغتهم. فاعتماد الدّول الغربيّة على تركيّا في حماية مصالحها، وتنازل الأخيرة عن إقليم الموصل الغنيّ بالنَّفط، خاصّة بعد فرض الانتدابين البريطانيّ والفرنسيّ على

كُلّ من العراق وسوريّا، قلّل من الاهتمام الغربيّ بالقضيّة الكُرديّة، وفي ذات الوقت أبقى عليها قضيّة معلّقة دون حلّ.

فالعامل الدّوليّ في تأزيم القضيّة الكُرديّة منذ بداية الحرب العالميّة الأولى لا يزال هامّاً، ورُبَّما يُشكّلُ العقبة الوحيدة أمام وصول الكُرد إلى حقوقهم المشروعة، التي تنصّل منها الغرب، رغم توافقها مع المبادئ الأربعة عشر التي أوردها الرَّئيس الأمريكيّ في ذاك الوقت "تيودور ويلسون".

ضياع القضيّة الكُرديّة بين مصالح الشَّرق والغرب بعد الحرب العالميّة الثّانية

إنَّ تقوية نفوذ الدّول القوميّة التي حكمت الأجزاء الأربعة من كردستان فيما بينها، وترسيخ بنيتها التي اتّسمت بِبُعدٍ قوميّ معتمد على اللّون الواحد واللّغة الواحدة والإثنيّة الواحدة، همّشت الكُرد، وتسبّبت في إلحاق الكوارث بالكُرد وحتّى بدولهم أيضاً، وذلك بعد أن استمدّت كامل قوّتها من الدّول الغربيّة.

وفي هذا الصدد يقول المفكّر الكُرديّ عبد الله أوجلان إنَّ الدّول التركيّة لو انقطع الدّعم الدّولي عنها لشهر واحد، لانهارت من تلقاء نفسها، وهذا ما يفسّر بأنّها دول وظيفيّة اخترعها الغرب لتخدم مصالحها في المنطقة، ولم تُعبّر في يومٍ ما عن إرادة وتطلّعات شعوبها.

حافظت الدّول المُقسِّمة لكردستان على الوضع القائم، وخنقت كُلّ التطلّعات الكُرديّة نحو الحُرّيّة ونيل الكُرد حقوقهم المشروعة التي أقرّتها القوانين الدّوليّة، وفرضت بالحديد والنّار قوانينها التمييزية التي ألغت الوجود الكُرديّ. فالجمهوريّة التركيّة الحديثة أصدرت جملة من القوانين العنصريّة ضُدَّ الكُرد، واعتبرت حتّى حقّ التحدّث باللُّغة الكُرديّة جُرماً يُحاسب عليه قانونيّاً، فضلاً عن سياسة تهميش المناطق الكُرديّة وتخلّفها، فلم تطوّر فيها المشاريع

> **"تعتبر الورقة التي قدّمتها مسز بيل في مؤتمر القاهرة، بداية الإنكار البريطانيّ لحقوق الكُرد وخلق صراعات في المنطقة، محورها القضية الكردية. وقبل أن تكون هناك أي قُضيّة أخرى شائكة في المنطقة كالقضيّة الفلسطينية. لقد وصفت "بيل" الكُرد بأنّه شّعب لا يستحق دولة خاصّة به، واستخلصت "بيل" أنه نظراً للبنى العشائرية المتخلّفة السّائدة في المجتمّع الكُردي، وارتباط الكُرد العضوي مع الأتّراك، فإنّهم يشكّلون خطرًا مستقبلياً على المصالح البريطانية في المنطقة وبالذّات في العراق"**

التنمويّة والتعليميّة، وأبقتها خاضعة لنظام إقطاعيّ صارِم مُلحقٍ بمؤسّسات دولها.

كما أنَّ تركيّا طوّرت نظام الصهر القوميّ من خلال أسلوب الحرب الخاصّة الذي اتّبعته مع الكُرد، خاصّة بعد القضاء على آخر انتفاضة كُرديّة في ديرسم عام ١٩٣٧. فمن نجا من المجازر التي أُرتُكِبت أثناء الانتفاضة وبعدها، اقتلع من وطنه، وعاش في المدن والقرى الخاصّة التي أنشأتها الدّولة، وقسمٌ كبير منهم تَمَّ ترحيلهم إلى مدن الأناضول، ليقطعوا كُلَّ ارتباط لهم مع وطنهم الأم كردستان.

اقتضت المصالح الدّوليّة، بين الدّول المنتصرة في الحرب العالميّة الثّانية، بعد القضاء على الدّولة النّازيّة في ألمانيا، إلى تقسيم مناطق النّفوذ في العالم. فدَعَمَ الجيش الأحمر تأسيس دولة كُرديّة في شرقيّ كردستان (قسم من كردستان مُلحق بالدّولة الإيرانيّة الآن) عام ١٩٤٦، إلا أنَّها لم تَدُمْ سوى إحدى عشر شهراً، فسُرعان

ما انهارت الجمهوريّة الفتيّة بعد التّوافقات التي حصلت بين روسيّا السوفييتية والشّاه الإيرانيّ، فأغرقت كردستان في بحار من الدّماء وأعدم قادة الجمهوريّة وعلى رأسهم رئيسها القاضي محمّد في ساحة چارچرا وسط مدينة مهاباد، في ذات المكان الذي تمّ فيه الإعلان عن الجمهوريّة.

إنَّ دراسة تجربة جمهوريّة مهاباد من زاوية تأثير مصالح الدّول الغربيّة على القضيّة الكُرديّة، تعتبر مفتاح الوصول إلى فهم معادلات الصراع على كردستان، قديماً وحديثاً، رُبَّما يُبدي البعض فهماً قاصراً ومغلوطاً لقضيّة عدم انتصار الكُرد في نيل حقوقهم رغم التضحيات الجِسام التي قدَّموها طيلة تاريخهم الحديث والقديم، من خلال جَلْدِ الذّات، عبر كيل الاتّهامات بأنَّ المجتمع الكُرديّ مفكّكٌ وتنخره العديد من الأمراض والانقسامات والولاءات، ويَغيب عن أذهانهم أنَّه حتّى تلك الأمراض هي نتاج حالة الانقسام والتجزئة التي فرضها أعداء الكُرد عليهم، ولم يتوارثها الكُرد عن آبائهم وأجدادهم.

> **”بالرغم من أن الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، شهدت ولادة حركات التحرر في العالم، ونالت دعماً وتأييداً من المعسكر الاشتراكيّ، وتمكّنت معظم هذه الحركات من تحرير أوطانها واستقلالها، إلا أن الوضع كان مغايراً بالنسبة للكرد وقضيتهم، حيث لم تنظر الدول الغربية وحتى الاشتراكية أيضاً إلى الكرد على مبدأ حقّ تقرير المصير واعتبار قضيتهم قضية شعب ووطن محتل، بل أبدت مقاربات انتهازية من زاوية مصالحها مع تلك الدّول“**

فعلى الرَّغم من أنَّ الفترة التي تلت انتهاء الحرب العالميّة الثّانية، شهدت ولادة حركات التحرّر في بلدان كثيرة في العالم، ونالت دعماً وتأييداً من المعسكر الاشتراكيّ، مثل فيتنام ودول أخرى، وتمكّنت خلال سنوات قليلة من تحرير أوطانها والوصول إلى الاستقلال التّام والنّاجز، إلا أنَّ الوضع كان مُغايراً بالنّسبة للكُرد وقضيّتهم، حيث لم تنظر الدّول الغربيّة وحتّى الاشتراكيّة أيضاً إلى الكُرد على مبدأ حقّ تقرير المصير واعتبار قضيّتهم قضيّة شعب ووطن محتلّ من قبل أربعة دول، بل أبدت مقاربات انتهازيّة من زاوية مصالحها مع تلك الدّول. فالزَّعيم السوفييتي ”ستالين» سحب تأييده ودعمه من جمهوريّة مهاباد لمجرّد توافقه مع شاه إيران على عدم تدخّل الأخير في الشّؤون الدّاخليّة لبلاده، خاصّة أذربيجان وأرمينيا المُتاخمة لحدودها، وعدم إثارته للنّزعات القوميّة والانفصاليّة لديها.

خاتمة

إنَّ إفرازات الحربين العالميّتين وتوصّل الدّول المنتصرة فيها إلى وضع ستاتيك معيّن يتناسب ومصالحها في مختلف بقاع العالم، وضع القضيّة الكُرديّة تحت رحمة الدّول المحتلّة لكردستان، لتنفّذ سياسات الإمحاء والصهر القوميّ والجينوسايد، إضافة إلى محاولة طمس الهُويّة الوطنيّة الكُرديّة، دون أن تبديَ أيٌّ من تلك الدّول التي تزعّمت قيادة العالم، خاصّة بعد اتّفاقات مالطا بين السوفيّيت والأمريكان، وظلّت القضيّة الكُرديّة ضحيّة الصراعات الدّوليّة.

طَبيعةُ الصّراعات الدّوليّة واتّجاهاتها

فوزي سُليمان

توالت الأحداث خلال الفترة المنصرمة، وخصوصاً مع بداية العام ٢٠٢١، وتشابكت لدرجة جعلت المتتبّع لها تختلط عليه الأوراق ويتوه في دهاليز الفوضى العارمة التي تجتاح العالم ككُلّ، والتي يفضّل الكثيرون تسميتها بـ بـ(الفوضى الخلاقة..!).

بادئ ذي بدء لا يختلف اثنان على أَن أغلب الصراعات العالميّة تتمحور حول السّوق ومصادر استمرارها وديمومتها، وبطبيعة الأحوال السَّيطرة عليها حتّى ولو على حساب الأمم الأخرى، وهي كذلك على الأغلب، ومع كُلّ أسف أضحى ذلك من البديهيّات أو المسلّمات. ويمكننا هنا الاستشهاد بمقولة ونستون تشرشل – الفظَّة – والتي في الوقت عينها تلخّص حقيقة السّياسة العالميّة ككُلّ: «ليس هناك أصدقاء دائمون، ولا أعداء دائمون، إنَّما هناك مصالح دائمة». فهذه المقولة تُعبّر عن حقيقة التوجّهات العالميّة الجديدة – القديمة والتي بدأت فعليّاً ترسم ملامح المرحلة المقبلة وتتّضح خلال قمّة G٧ الصناعيّة والتي تَمَّ إلحاقها مباشرة بقمّة للناتو، حيث أكَّدَ فيها الرّئيس الأمريكيّ على رصّ الصفوف لمواجهة العدوّ الرّوسيّ والصّينيّ. وبغضّ النَّظر عن تقليديّة انعقاد هكذا قمم، إلا أنَّ القمّتين الآنفة الذّكر عُقِدَت لتوجّه رسائل بعينها ليس إلى روسيّا والصّين فحسب؛ بل إلى العالم أجمع، ألا وهي أنَّنا مقبلون على تغييرات جذريّة في شكل وجوهر العلاقات وحتّى التكتّلات الكلاسيكيّة المعروفة، العسكريّة منها والاقتصاديّة، ليتّجه العالم نحو الانقسام إلى أقطاب متعدّدة وفي جوهرها متناحرة حتّى ضمن القطب الواحد، وذلك يعكس حقيقة الأزمة التي تعصف بالعالم.

إنَّ دلالات الأزمة بدأت مع انسحاب بريطانيا من الاتّحاد الأوروبيّ. ليس هذا فحسب؛ بل وصلت الأمور إلى درجة نشوب الحرب والتي كانت قاب قوسين وأدنى بين أعضاء الحلف الواحد؛ أي حلف النّاتو. فالخلافات بين اليونان وتركيّا، وتركيّا وفرنسا، وفرنسا وبريطانيا وأمريكا، وفرنسا وإيطاليا، ماهي إلا تعبير مكثّف لعمق الأزمة العالميّة والتي انعكست إلى ساحات أخرى لتصفيتها فيما بينها. وبمعنى أدقّ؛ نقلت تلك الصراعات نحو ساحات أخرى – الشّرق الأوسط والأدنى وأفريقيا – وفي الوقت عينه التوجّه نحو تحالفات جديدة. وتحالف (أوكوس) المُستحدث بين أستراليا وإنكلترا والولايات المتّحدة الأمريكيّة في مثلّث المحيطين الهندي والهادئ ما هو إلا خيرُ مثالٍ على ذلك، والذي يُعتقد بأنَّ كُلّاً من الهند واليابان وقوى أخرى سيتجّهون نحو الانضمام له وأخذ مكان لها ضمنه، ووصفه العديد من المراقبين بأنَّه حلف عسكري، وان لم يكن بديلاً في الوقت الحالي عن النّاتو فهو رَديفٌ له..!.

إذاً فالأحداث على الأرض كُلُّها تُنذر بالتَّصعيد، وفي كافّة المجالات الاقتصاديّة والسّياسيّة والعسكريّة، وذلك للحدِّ من طموحات القوى النّاشئة التي تبحث لها عن موطئ قدم في الأسواق العالميّة، وفي الكثير من المواقع تَمَّ اقتحام الفضاءات التقليديّة للقوى المُهيمنة في العديد من الدّول، وحتّى بين الأصدقاء ذاتهم تَمَّ تجاوز ما هو مُتعارف عليه بالنّسبة لمناطق النّفوذ. فتحوّل الصفقة الفرنسيّة للغوّاصات مع أستراليا لصالح أمريكا وإنكلترا، يؤكّد مقولة "ونستون تشرشل"، والتي وصفته فرنسا بأنَّها "خيانة" لها، وتؤكّد مرّةً أخرى أنَّ التّوازنات القديمة وخاصّة بعد الحرب العالميّة الثّانية لم تَعُدْ صالحةً، أو على الأقلّ لم تعد مجدية لمواجهة المتغيّرات العالميّة، وخصوصاً بعد المستوى الذي وصلت إليه الصّين من تطوّرٍ، وفي كُلّ المجالات، والتي يعتبر اقتصادها من أقوى الاقتصاديّات في العالم. وكذلك الأمر بالنّسبة إلى روسيّا التي استطاعت بشكل من الأشكال – وخصوصاً في المجال العسكريّ – ترميم ما تمخّض عن انهيار الاتّحاد السّوفياتي، لتتّجه مرَّةً أخرى إلى فرض نفسها في العديد من الملفّات.

وإذا ما أخذنا التوجّهات العلنيّة للقوى (الصديقة...!) نحو الأسواق الشّرقيّة المحظورة أمريكيّاً وغربيّاً كامتلاك تركيّا لمنظومة الصّواريخ "S – ٤٠٠" الرّوسيّة ومناطحتها لأسيادها في البحر المتوسّط وليبيا وقبرص وأفريقيا، يُفسّر التشنّجات في الخطاب الفرنسيّ – التركيّ، فالأمر ليس كما يَتُمُّ التَّرويج له، من قبيل تحويل كنيسة آية صوفيا إلى مسجد، أو مسألة مساندة فرنسا بهذا الشكل أو ذاك لقوّات سوريّا الدّيمقراطيّة، أو مسألة الاعتراف بمجازر الأرمن، بل إنَّ الأمر يتعدّى ذلك، وذا أبعادٍ أكثر عمقاً. فتركيّا تمدّدت خلال العقد المنصرم إلى ساحات تُعَدُّ امتداداً للمصالح الفرنسيّة، معتمدة في ذلك على التنظيمات الإسلاميّة المتشدّدة كمنظّمات القاعدة والإخوان المسلمين، مستخدمة إيّاها مطيّة في تحقيق أهداف ذات أبعاد طورانيّة استعماريّة بحتة، وكُلّ هذه التطوّرات مرتبطة بشكل وثيق مع قرب انتهاء مئة عام على اتّفاقيّة لوزان المشؤومة، والتي تُعَدُّ تركيّا من أكثر الدّول التي تحيا فوبيا هذه الاتّفاقيّة، والتي كانت على حساب تهميش وإنكار حقوق شعوب بأكملها.

كما أنَّ ريادة تركيّا المعسكر "السُنّيّ" – إن صحّ التعبير– قادها إلى تعميق الخلافات والشّروخ بينها وبين دول المنطقة، وخاصّة السُّعوديّة، التي تعتبر نفسها القائدة التَّقليديّة لهذا المعسكر، وبلا منازع. فإن اقتنعنا بأنَّ تركيّا تلعب دوراً "وظيفيّاً" في خلق الصراعات في المنطقة، بناءً على نظريّة "الفوضى الخلّاقة"، ولكنّها دون شكّ سترتدُّ عليها سلباً، وفق مقولة إنَّ "طبّاخ السمِّ ذائقٌ له دون بُدّ". فالأزمات المتلاحقة الاقتصاديّة والمجتمعيّة التي تمرّ بها تركيّا، إنّما تعكس في حقيقتها جوهر الدّور الذي تضطّلع به خارجيّاً. فتدخّلها السّافر في سوريّا واحتلالها لأجزاء واسعة من أراضيها، إنَّما عمّقت من أزمة النّظام التركيّ، وليس كما يتصوّرها البعض أنَّ تركيّا صدّرت أزماتها إلى الخارج. وإن كانت تبحث عن مساحات إضافيّة من الجغرافيّة السّوريّة والشّرق

أوسطيّة لتنفيذ مشروعها الطورانيّ "الميثاق الملّي"، فإنّها في ذات الوقت مُحاطة بكم هائل من الجيران الأعداء، ما يستحيل تنفيذ مشروعها، خاصّةً بعد أن أثبتت الأيّام فشل الإستراتيجيّة التي طرحها هُدْهُدُ السّياسة الخارجيّة التركيّة السّابق أحمد داود أوغلو "سياسة تصفير المشاكل"، لتنقلب إلى صفر حلفاء. في حين أنّ المراوغة التركيّة بين القُطبين "الأمريكيّ والرّوسيّ"، لم يَعُدْ لها جدوى، خاصّة أنّنا بدأنا نشهد ارتدادات هذه السّياسة عليها سلباً، من خلال التّصعيد الرّوسيّ ضُدّها في سوريّا، مقابل تدخّل تركيّ مباشر في أوكرانيا، والتي تعتبرها روسيّا أنّه يمسّ "الأمن القوميّ الرّوسيّ" بالدّرجة الأولى.

فرُغم إيحائها – أي تركيّا – بأنّها تسعى إلى إعادة تدوير (أمجاد...!) الإمبراطوريّة العثمانيّة البائدة، والتي هي ضربٌ من ضروب الخيال والمستحيل، إلا أنّ الحقيقة هي أنّها تحاول بشتّى السُبُل الحفاظ على الأمور كما هي عليها، أو كما جاءت في سايكس بيكو، وهذا الأمر أيضاً أصبح في خبر كان. فالتطوّرات على أرض الواقع تنبّئ عكس ذلك. فتركيّا أقحمت نفسها في وضع لا تُحسد عليها. فرغم سياسة الابتزاز المَقيتة التي تتبنّاها في أكثر من ملفٍّ، وخصوصاً في ملفّ المُهجّرين، ضُدّ أوروبا، وكذلك ابتزاز أمريكا في مسألة أنّها ستتوجّه نحو المعسكر الآخر، وبالإضافة إلى أطماعها التوسُّعيّة في أكثر من ساحة، وخصوصاً دول البلقان وآسيا، جعلتها في عزلة دوليّة تامّة ومعرَّضة لكافّة الاحتمالات؛ أفضلها هي انتكاسات على الصُعُد كافّةً، وتحجيم قدراتها في أطر ضيّقة ومحدودة، وعدم لعب دورٍ يتجاوز الدَّور المنوط والمرسوم لها. وهذا ما نشهده فعليّاً على أرض الواقع، وذلك يُثبت أنّ تركيّا فقدت مكانتها ودورها المعروف كمخفر متقدّم لحلف النّاتو وخصوصاً بعد الحرب العالميّة الثّانية، وجاءت الضربة القاضية لها مع فشل وهزيمة تنظيم الإخوان المسلمين وسياساته البعيدة عن روح العصر في أكثر من ساحة، مصر وتونس والمغرب والسّودان، والتي كانت بالنّسبة لتركيّا بمثابة القشّة التي قصمت ظهر البعير.

وتأتي إيران أيضاً على رأس أولويّات القوى المتناحرة، لما لها من مكانة جيوسياسيّة واقتصاديّة، وخاصّة أنّها قطعت أشواطاً مُهمّة في عمليّات تخصيب اليورانيوم، ورغم اتّجاهها مؤخّراً نحو منظّمة شنغهاي، إلا أنّها هي الأخرى تواجه ملفّات عديدة، داخليّة وخارجيّة. ولا يخفى على أحد اعتمادها المطلق على النّزعة المذهبيّة في توجّهاتها السّياسيّة، وهي ليست أفضل حالاً من تركيّا، فهي الأخرى عملت على تصدير أزمتها الدّاخليّة نحو الخارج، وهي في ذات الوقت معرّضة لدخول نزاعات قد تأتي على الأخضر واليابس، خصوصاً بعد الانسحاب الأمريكيّ من أفغانستان الذي أبقى الأبواب مُشرَعَةً أمام تطوّرات على أكثر من صعيد، والحشود العسكريّة الإيرانيّة على تخوم أذربيجان والتوتّر الحاصل فيما بينهما رغم التّصريحات المغلّفة بـ"الطبيعيّة"، إلا أنّها في حقيقة الأمر بمثابة دقّ طبول الحرب، وكُلّ المؤشّرات تشير إلى أنّ الخاسر الوحيد فيها ستكون إيران.

بناءً على ما تقدّم، يتبادر إلى أذهاننا ما ستؤول إليه الأمور...؟! وأين هو الحَلُّ في هذا السّرد الدّراماتيكيّ...؟! في هذه النُّقطة بالذّات يتطرّق المفكّر والفيلسوف عبد الله اوجلان إلى أنّ "توزيع القوّات والإمكانات في ساحات عديدة من العالم؛ لا يُعبّر عن القوّة والسَّيطرة، بل على العكس يُعبّر عن عمق الأزمة والوهن". والملفّات في مجمل السّياسات آنفة الذّكر، تشير إلى توجّه جميع القوى نحو التّصعيد والعسكرة والاستحواذ على الأسلحة بشكل مُرعب جدّاً. ورغم فشل سياسة القطبين، وكذلك القطب الواحد؛ فإنّه من الحتميّ أيضاً أنّ سياسة الأقطاب المتعدّدة ستفشل. وعلى هذا الأساس لا بُدَّ من تغييرات جذريّة في مجمل السّياسات العالميّة، والتوجّه نحو إنقاذ كوكبنا الذي تعصف به الأوبئة والتغييرات المناخيّة التي تُهدّد الحياة بعينها، وإيجاد الحلول العادلة لقضايا الشُّعوب؛ وعلى رأسها قضيّة الشَّعب الكُردستانيّ.

العلاقات الكردية العربية في الإسلام

(الجزء الثاني)

(تطور العلاقات الكردية-العربية)

الباحث/عبد الله شكاكي

لا ريب أنّ الكرد من أقدم الشعوب الإسلامية تاريخياً حيث ثبت وجودهم على أراضيهم منذ آلاف السنين، ورغم كلّ التغييرات السياسية والعسكرية بقوا متشبثين بجغرافيّتهم الجبلية خلال العهود التاريخية المختلفة، ولم يتسنَّ لهم القيام بنشاطات تاريخية - حضارية خارج وطنهم إلا في العصر الإسلامي الوسيط، بدءاً من الجوار القريب لبلاد الكرد وهي بلاد الشام، حيث يشكّل الجزء الجنوبي الغربي من كردستان امتداداً لبلاد الشام من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية، وربما تعود أسباب الهجرات الكردية بسبب وقوع بلاد الكرد على طريق الغزاة، مثل حملة الإسكندر وبعدها الرومان من الغرب إلى الشرق أو حملات العنصر الطوراني من الشرق إلى الغرب،

وكذلك لأسباب جغرافية - سيكولوجية حيث معظم تضاريسهم جبلية، والجبليون يتّصفون بنزعة الحرية والتمرد ولا يقبلون الانقياد لأحد، وتعرضوا لكثير من الحروب والقتل والاستعباد، ولذلك كانت كردستان في معظم مراحلها موطن الاضطرابات والثورات عبر العصور على السلطات الحاكمة، كثورات "الخوارج" بعد معركة صفين ضد الخلافة الأموية وخاصة في عهد عبد الملك بن مروان وحربه مع الحجاج الثقفي، والثورة الخرّمية التي قادها بابك الخرمي من أردبيل في جنوب القوقاز ضد الخلافة العباسية انتقاماً لمقتل أبي مسلم الخراساني مؤسس الخلافة العباسية، واستمرت ٢٢ عاماً، وكذلك الانتفاضات التي قامت ضد السلطة العثمانية، وما إن تنتهي الانتفاضة بالإخفاق كان يتعرّض المشاركون فيها لانتقام السلطة، وتجنّباً للعقوبة كانت الأسر المشاركة تهاجر بعيداً إلى الأماكن الآمنة، ومنها بلاد الشام ومصر وخاصة منذ القرن الحادي عشر وحتى القرن العشرين.

لكن جذور وجودهم التاريخي اكتنفه نوع من الإبهام والغموض وغفل التاريخ عن ذكر دورهم، وخاصة في مرحلة الحروب الصليبية وما بعدها، حيث جرى استيطانهم، ولعبوا دوراً رئيسياً في الميدان السياسي والعسكري والإداري، فقد ورد في كتاب "ذيل تجارب الأمم" ص ٢٢٨ اسم أحمد الضحاك الكردي الذي لعب دوراً حاسما في معارك الجيش الفاطمي مع الجيش البيزنطي سنة ٩٩٧م وقتل قائد الجيش البيزنطي، وفي أحداث القرن الحادي عشر استقر الكرد بين حمص وطرابلس من قبل شبل الدولة المرديسي ملك حلب سنة ١٠٣٧ بغية حماية حصن الأكراد وعرفت القلعة باسمهم، وذكر المؤرخ أبو صلت أمية الأندلسي (ت ١١٣٣) الذي زار مصر بقوله: "وأما سكان مصر فأخلاط من القبط والروم والعرب والكرد والديلم والأحباش والأرمن..."[1]، ويتبين أن الكرد قاموا بدور فعال في عملية الاستنهاض الحضاري في مصر والشام، ونشير إلى أنّ عوامل تواجد الكرد في الشام ومصر تختلف عن العوامل التي حدت بقبائل وعشائر وأسر إلى الانتقال والاستقرار فيها لأسباب أمنية واقتصادية أو مناخية، وإن ما حدث كان بمثابة مهمة تاريخية فرضت نفسها بقوة، كالعشيرة الراوندية التي هي جزء من القبيلة الهذبانية الكردية وتنتسب إليها الأسرة الأيوبية التي قدمت من جنوب القوقاز لتقوم بدور تاريخي عظيم فرضته لحظة حاسمة.

تقلّد الكرد المهام السياسية والدينية:

تقلّدت الشخصيات الكردية وظائف سياسية ودينية في مصر وبلاد الشام منذ مراحل تسبق العصر الأيوبي وبعده، لكن ممّا يؤسف له أنّ المؤرّخين العرب والمسلمين غضّوا الطرف عن ذكر انتمائهم القومي الكردي وتحاشوا إبراز اسم الكرد، ناهيك عن نسب بعضهم إلى العرب أو الفرس أو الترك، ونذكر بعض الأمثلة عن تلك الشخصيات:

ـ خالد البرمكي (٧٠٩ـ ٧٨٠):

هو سليل أسرة كردية زرادشتية من عشيرة الزرزاري[2]، كانت أسرته سدنة بيت النار في بلخ ومنها جاءت تسمية «بَرْ مَكْ» (خادم البيت الأساس)، أما ما ورد في المصادر أن البرامكة أسرة فارسية هي من قبيل الانتماء السياسي وليس القومي، حيث كثيراً من الأعلام يحملون الجنسية السورية والعراقية والإيرانية والتركية لكنهم من أصول كردية، وكان خالد عسكرياً بارعاً مناصراً للدعوة العباسية في العهد الأموي وتحت أمرة أبي مسلم الخراساني، وبنجاح الدعوة العباسية أسند الخليفة الأول أبو العباس السفاح إليه ديوان الجند وديوان الخراج، وفيما بعد استوزره وبقي حتى وفاة السفاح، كما أقره أبو جعفر المنصور في الوزارة، ثم ولّاه على الرّيّ وطبرستان ودمباوند.

١ -د. قادر محمد حسن، إسهامات الكرد في الحضارة الإسلامية، دار سبيريز اربيل ص 39.

٢ -ابن خلكان، وفيات الأعيان، ويؤكد ابن خلكان أنه ينتسب إلى العشيرة نفسها وينتسب إلى أسرة البرامكة.

وكان داهية في السياسة كما في الحرب، ووجّهه الخليفة المهدي مع ابنه هارون الرشيد لمحاربة الروم فنجح في مهمته، وقد أرضعت كل من زوجتي السفاح وخالد ابنة الأخرى.

ـ يحيى بن خالد البرمكي (٧٣٨ـ ٨٠٥):

ولّاه أبو جعفر المنصور على أذربيجان ولا يولّى هذه الوظيفة إلّا لأهل الثقة لأنها من بلاد الثغور، وبعد وفاة المنصور اختاره الخليفة المهدي ليكون وزيره وكاتبه وعلى ديوان رسائله ومؤدب أولاده، وكان هارون الرشيد ابن المهدي يناديه: يا أبتِ ... فقد أرضعت الخيزرانة (أمازيغية) زوجة المهدي وأم هارون الفضل بن يحيى، وأرضعت زوجة يحيى أم الفضل هارون الرشيد٣.

ـ الفضل بن يحيى البرمكي (٧٦٦ـ ٨٠٨):

وكّله هارون الرشيد في عهده أمر تربية ابنه الأمين، ونظراً لشجاعته وحسن تدبيره ولّاه على إقليم الجبال وهي المقاطعات الكردية في جنوب وشرق كردستان وكذلك طبرستان وجرجان والري، كما ولاه خراسان فأزال الظلم عنها وأكرم الجند والقواد والكتاب، وجنّد فيها خمسمائة ألف مقاتل سماهم «العباسية» وخاض بهم حروباً مع الترك وفتح شرق أفغانستان، ثم عاد إلى بغداد فاستقبله هارون بحفاوة، وقلده الوزارة حيناً، ثم نقلها إلى أخيه الأصغر جعفر حيث كان مولعاً بحب جعفر، فقد حاول الرشيد زرع التنافس بين الأخوين لكنه لم يفلح، وقد كلّف الرشيد الفضل بتولية البلاد من الأنبار (العراق) وحتى تونس، ثم عزله عن جميع مناصبه وأبقاه وصياً على ابنه الأمين (ولي العهد).

ـ جعفر بن يحيى البرمكي (٧٦٨ـ ٨٠٣):

صكان له محبة خاصة لدى الرشيد ومن ندمائه والمقربين جداً منه وكأن بينهما صلة

"ورد في كتاب "ذيل تجارب الأمم" اسم أحمد الضحاك الكردي الذي لعب دوراً حاسما في معارك الجيش الفاطمي مع الجيش البيزنطي سنة ٩٩٧م وقتل قائد الجيش البيزنطي، وفي أحداث القرن الحادي عشر استقر الكرد بين حمص وطرابلس من قبل شبل الدولة المرديسي ملك حلب سنة ١٠٣٧ بغية حماية حصن الأكراد وعرفت القلعة باسمهم."

رحم، ويعتمد عليه في معظم القضايا لرجاحة عقله، إضافة إلى أنه كان سياسياً وأديباً بليغاً وكريماً وحلو الكلام وفصيحاً، ويصرف أمور الناس ويرفع عنهم المظلومية دون مخالفة الشرع إلى جانب الحق والإنصاف، وكان أبوه يخشى من هذه العلاقة الحميمة، فقد قال ذات يوم «لا أرحام بين الملوك وبين أحد»، وكأنه كان يتنبأ لكارثة تحلّ بهم، وحدثت «نكبة البرامكة»، بسبب علاقة حب نشأت بين جعفر و «عباسة» أخت هارون الرشيد، حيث كان هارون لا يطيب له الجلوس على مائدة الشراب دون جعفر وعباسة، وقال لجعفر سأزوجكما ليحل لك النظر إلى عباسة إذا حضرت مجلسي، لكن دون أن يكون لك حق الاختلاء بها لوحدكما كما بين الرجل وزوجته، ولكن حدث ما كان متوقعاً وولدت عباسة منه غلاماً، حيث نقلت إحدى الجواري الخبر إلى هارون الرشيد بدسيسة من زوجته زبيدة، وثار الرشيد ووقعت النكبة، حيث قتل العباسة وشطر جسم جعفر إلى نصفين رفع نصف على الجسر الأعلى ونصف على الجسر الأسفل ورفع رأس

٣ ـ د. أحمد الخليل، عباقرة كردستان في القيادة والسياسة، كتاب الكتروني ص ٣٧.

جعفر على الجسر الأوسط ببغداد، ثم أكمل على بقية أسرة البرامكة وزجّ يحيى وولده الفضل في أعماق السجن حتى الموت، مع أن البرامكة هم من أوصلوا الرشيد إلى سدة الخلافة، وهم من أخمدوا جميع الثورات التي نشبت ضد الخليفة شرقاً وغرباً، وهو من نظموا أمور الدولة وحققوا لها الازدهار، ويشبه سلوك الرشيد تماماً سلوك السفاح مع أبي مسلم.

- الأمير محمد يزدان الشهرزوري: عين والياً على دمشق بين سنوات ٩٣٩- ٩٤١م، ثم أصبح والياً في مصر على الشرطة حتى وفاته سنة ٩٤٣ م.

- تولّى الأمير أبو الثريا الكردي ولاية دمشق سنة ٩٧٤.

- تولّى سهم الدولة خليفة بن جيهان الكردي حاكماً على حماة في العهد الفاطمي سنة ١٠٢٩م. والأمير علي الكردي حاكم حماة سنة ١١١٠م في العهد الزنكي.

- تولى علي ابن السالار الكردي منصب الوزير للخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله سنة ١١٤٩م، ثم ولّى الإسكندرية وقتل غيلة سنة ١١٥٢٤، وكانت له نشاطات عسكرية ضد الصليبيين.

وفي الوظائف والأمور الدينية والعلوم نذكر على سبيل المثال:

- القاضي تاج الدين عبد الغفار الكردي ولّى قضاء حلب سنة ١١٦٦.

- القاضي مالك بن سعيد الفارقي: تولى قضاء مصر سنة ١٠٠٩، وبعده القاضي أبو الفتح بن سعيد الفارقي سنة ١٠٣٠٥، وكلاهما من آمد (ديار بكر) والعشرات غيرهم.

- قاضي القضاة ضياء الدين الشهرزوري الذي تولّى قضاء الشام، ثم ولّى قضاء حماة وتوفي سنة ١٢٠٢، وعشرات غيرهم من الشهرزوريين والهكاريين، وقد حصل القضاة على ضياع وإقطاعات مما شجعهم على الاستقرار وبقاء بعضهم على الأقل٦ في تلك الديار.

دور الكرد الثقافي والتجاري في الأمة الإسلامية

إضافة إلى الدور السياسي والعسكري والإداري نلحظ إقبالاً كبيراً من النخب الثقافية الكردية في العصر الوسيط على دراسة العلوم الإسلامية وأصولها، وفروعها المختلفة، وكذلك الكتابة في التاريخ والآداب والعلوم الأخرى وباللغة العربية، كما يلحظ بوضوح تأثير الثقافة الإسلامية والعربية على كتاباتهم بالكردية وخاصة في مجال الشعر، أمثال: بابا طاهر الهمداني في رباعياته، وملاي جزيري، وفقي تيران، وملا أحمدي خاني في رائعته الملحمية «مَمْ و زين». وإن المدارس الدينية والكتاتيب كانت تدرس تلاميذها الأدب الكردي إلى جانب علوم الدين وأصول الفقه، حيث كثرت وقتها أعداد رجال الدين الذين تلقبوا بـ «ملا» وهم الذين كانوا يمارسون مهنة التدريس ومنح الشهادات إلى جانب ممارستهم للأمور الدينية.

ففي اللغة الكردية برع "ماسي سورات" و "بينوشاد" في وضع أبجدية كردية خاصة مؤلفة من ٤٢ حرفاً، وحسب ما ذكره ابن وحشية النبطي الكلداني في كتابه "شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام" وهو من مسيحيي كردستان، وكان كاتباً ومترجماً لدى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (ولد من أم كردية)، وكان يجيد الكردية، بأنه: "رأيت في بغداد ثلاثين كتاباً بهذه الأبجدية، ولديّ في مكتبتي بالشام كتابان منها، يحكي إحداها حول زراعة الكرمة، والأخرى حول علل المياه واستخراجها، وقد ترجمتهما إلى اللغة العربية ليستفيد منها العرب"، كما استعمل

٤ -الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص ٢٨١د. قادر محمد حسن، مرجع سابق ص ٥١

٥-الكندي، تاريخ ولاة مصر، بيروت ١٩٨٧، ص ٣٧٦-٣٧٩،

٦-د. قادر محمد حسن مرجع سابق ص ٥١.

الكرد قبلها عدة أبجديات منها: الهيروغليفية والمسمارية والآفستائية وأبجدية مستمدة من الآرامية المربعة والبهلوية.

ونسرد عدداً من أعلام الكرد الذين خدموا الثقافة العربية وساهموا في بناء الحضارة الإسلامية في المجالات المختلفة حسب التسلسل الزمني وعلى سبيل المثال لا الحصر:

أبو حنيفة النعمان (٦٩٩ـ٧٦٧):

وهو من التابعين وأحد المجتهدين الكبار وأول الأئمة الأربعة صاحب المذهب الحنفي، وله كثير من المؤلفات والتصانيف في الفقه والحديث، تعرض للسجن والتعذيب على يد أبو جعفر المنصور لأنه رفض عرضه لمنصب قاضي القضاة كي يفتي حسب رغبته، ولما ألحّ عليه المنصور لتولّي أي عمل كان، فقبل أبو حنيفة أن يقوم بأعمال البناء وإعداد اللبن، وقيل توفي في بغداد بعد ضربه وسقيه بالسم.

أبو حنيفة الدينوري (٨٢٨ـ٨٩٥):

هو أحمد بن داوود بن ونَنْد، من علماء الفلك والنبات واللغة ورواية الحديث، ولد في دينور[٧]، نسبته المصادر الإسلامية إلى الفرس تارة والعجم تارة أخرى وهو كردي، قال عنه أبو حيان التوحيدي: «إنه من نوادر الرجال، جمع بين حكمة الفلاسفة، وبيان العرب، له في كل فنٍ ساق وقدم»، بلغ مؤلفاته حوالي عشرون كتاباً منها: تفسير القرآن (١٣ مجلد)، الوصايا، الشعر والشعراء، ما تلحن فيه العامة، إصلاح المنطق، النبات، البيان، رسالة في الطب، الجبر والمقابلة،

"إضافة إلى الدور السياسي والعسكري والإداري نلحظ إقبالاً كبيراً من النخب الثقافية الكردية في العصر الوسيط على دراسة العلوم الإسلامية وأصولها، وفروعها المختلفة، وكذلك الكتابة في التاريخ والآداب والعلوم الأخرى وباللغة العربية، كما يلحظ بوضوح تأثير الثقافة الإسلامية والعربية على كتاباتهم بالكردية وخاصة في مجال الشعر، أمثال: بابا طاهر الهمداني في رباعياته، وملاي جزيري، وفقي تيران، وملا أحمدي خاني."

البلدان في الجغرافيا، الانواء في الفلك والطقس، الأخبار الطوال في التاريخ.

الرحالة ابن فضلان (٨٧٧ـ ٩٦٠):

هو أحمد بن فضلان العباس رحالة مشهور، غادر بغداد سنة ٩٢١م بتكليف من الخليفة العباسي المقتدر بالله في بعثة دينية إلى بلاد الترك والخزر وروسيا والصقالبة ووصل إلى بلغاريا يوم ١٢ أيار ٩٢٢م (اتخذت جمهورية تتارستان ذلك اليوم عطلة دينية)، يعتبر وصفه أقدم وصف أجنبي لروسيا، (ويكيبيديا).

أبو علي القالي (٩٠١ـ ٩٦٧):

هو إسماعيل بن عيذون بن هارون بن محمد بن سلمان، وكان جده سلمان مولى الخليفة عبد الملك بن مروان، ويعني أنه من الموالي وليس عربيّاً، ولد في مدينة ملاذ كرد- مناذ كرت بشمال كردستان أهلها غالبية كردية مع قليل من

٧- دينور أهلها من الكرد وتقع في قلب بلاد الجبل عرف في العهد الأموي باسم ماه الكوفة تقع بين همدان وكرمنشاه بكردستان إيران، وصفها اليعقوبي في كتابه البلدان ص ٦ بأنها "دار الأكراد"، وكانت عاصمة الدولة الحسنوية ثم أصبحت تابعة للدولة العيارية الكرديتين، كما كتب عنه المؤرخ الكردي عبد الرقيب يوسف أن أبو حنيفة عالم كردي.

الأرمن والروم لأنها كانت تحت سيطرة بيزنطة وقتها، وكنيته "قالي" جاءت من اسم المدينة التي دعتها العرب "قاليقلا" (من قال قيل لأنهم لم يفهموا لغة أهلها) لكن اسمها الحقيقي "ملاذ كرد" التي اشتهرت تاريخياً أثناء معركة آلب آرسلان السلجوقي مع البيزنطيين سنة ١٠٧١م وكان الكرد يشكلون عشرة آلاف فارس من أصل الجيش السلجوقي المكون من ١٤ ألفاً، ومن المؤكد أن "القالي" كردي، لأنه مسلم ولو كان رومياً أو أرمنيا لذكر كنيته، سافر القالي إلى الموصل وهو صغير طلباً للعلم ثم شد الرحال إلى بغداد حيث درس النحو والعربية والفقه والحديث والأدب وبرع فيها، ثم توجه نحو الأندلس تلبية لدعوة من الملك عبد الرحمن الناصر ووصل إلى قرطبة، ولقي استقبالاً من ولي العهد وعهد إليه التدريس في جامعة قرطبة ونزل ضيفاً على الخليفة الناصر، وعكف على التأليف إلى جانب التدريس وأبرز كتبه: المقصود والممدود، خلق الإنسان، مقاتل الفرسان، فعلتُ وأفعلتُ، البارع، وأشهر كتبه: الأمالي وهي مجموعة محاضرات وقد ذكره ابن خلدون في مقدمته وكذلك ياقوت الحموي والقفطي، وتوفي في قرطبة.

ـ ابن حوقل النصيبي (القرن العاشر الميلادي):

هو محمد بن علي البغدادي الموصلي المشهور بابن حوقل، ولد في بغداد وأسرته نصيبينيّة الموطن (بجانب مدينة قامشلي) وهو ليس بعربي لأن العرب من عاداتهم ينتسبون إلى قبائلهم، ولم يكن وقتها للتركمان وجود في المنطقة، وليس سريانياً لأن السريان مسيحيون، ونرجح أنه كردي، أمضى ابن حوقل ثلاثين عاماً في الرحلات، وكان يزاول التجارة من نهر السند حتى المحيط الأطلسي، كما زار اليونان والبلقان وإيطاليا واسبانيا، اشتهر ابن حوقل بكتابه "المسالك والممالك" المعروف بـ"صورة الأرض" وضع فيه كل معارفه الجغرافية من النواحي البشرية والطبيعية والاقتصادية والعرقية والحيوية (النبات والحيوان)، ويعتقد أنه توفي سنة ٩٧٨م.

الفيلسوف شهاب الدين السُهْرَوَرْدي (ت ١١٩٠م):

هو يحيى بن حبش بن أميرك ولقب بالشهيد، ولد في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، وتقع بلدة سهرورد الكردية شمال شهرزور وقريبة من زنجان في جنوب كردستان، ويعتبر السُهْرَوَرْدي من كبار مفكري المذهب الإشراقي، والإشراقية تعني الوصول إلى المعرفة الحقيقية، وهي حسب قول قطب الدين الشيرازي "ظهور الأنوار العقلية وفيضانها بالإشراقات على النفوس عند تجردها"، ويقول السهروردي إنّ: "الله نور الأنوار ومن نوره خرجت أنوار أخرى هي عماد العالمين المادي والروحي"، وهي قريبة من مذهب أفلاطون، ولتوسيع معرفته تجول في معظم مدن كردستان وآسيا الصغرى وبلاد الشام، بلغت مؤلفاته تسعة وأربعين كتاباً منها: حكمة الاستشراق، المناجاة، كشف الغطا لإخوان الصفا، الألواح العمادية، هياكل النور وغيرها، وأخيراً استقر بحلب، لكنه تعرّض لانتقادات قوية بسبب فلسفته من قبل الفقهاء والعلماء واتهموه بالكفر لعدم قدرتهم على فهم رؤيته، ولأنه كشف جهلهم أمام الملك الظاهر ابن صلاح الدين ونافسهم على مجالسة الملك وصداقته، وكان صلاح الدين بحاجة إلى أولئك العلماء لدرء خطر الفرنجة والضغط الزنكي ناهيك عن أنه على المذهب الشافعي الأشعري، فأوعز إلى ابنه التخلص منه، ولما أدرك السهروردي بأنه سيقتل اختار أن يُترك في مكان منفرد ويمنع عنه الطعام والشراب إلى أن يلقى ربه، ففعل الملك، واستشهد في قلعة حلب عن عمر نحو ست وثلاثين سنة[٨].

ابن الصلاح الشهرزوري (١١٨١ـ ١٢٤٥):

هو الإمام عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشرخاني ولد في شرخان قرب شهرزور (ولاية السليمانية جنوب كردستان)، عاش في العصر الأيوبي وزار بغداد والموصل ودمشق وتولى التدريس

٨- بتصرف عن مقال للدكتور أحمد الخليل حول مشاهير كردستان.

في العديد من المدارس منها مدرسة ست الشام زمرد خاتون أخت توران شاه، برز في علوم التفسير والحديث والفقه، وكان القاضي والمؤرخ ابن خلكان تلميذه، قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية: "هو في عداد الفضلاء الكبار". ومن مؤلفاته: شرح صحيح مسلم، الأمالي، الفتاوي، طبقات الشافعية وغيرها، توفي في دمشق ودفن فيها وقبره بجوار قبري ابن تيمية وابن كثير داخل مبنى كلية طب الأسنان. (بحث إلكتروني للدكتور أحمد الخليل).

العالم الفقيه عيسى الهكاري (ت ١١٨٩):

هكاري بلاد جبلية تقع في قلب كردستان في الزاوية الجنوبية الشرقية من خارطة تركيا، يجهل المؤرّخون ولادته ونشأته وشبابه، كان يقيم بحلب ودرّس في المدرسة الزجاجية، اصحبه القائد شيركوه إلى مصر وأصبح إماماً، ثم مستشاراً لصلاح الدين، وتولى الوزارة، كما كان من كبار أمراء العسكر ومن قدماء فرقة فرسان الأسدية (فرقة شيركوه) بمعنى أنّه كان فقيهاً وجندياً «يلبس زي الأجناد وعمائم الفقهاء»[٩]، إلى جانب كونه سياسياً بارعاً أيضاً، وتكمن عبقريته السياسية في تمكّنه من إقناع الخليفة الفاطمي في تولية الوزارة لصلاح الدين بعد وفاة شيركوه، وإقناع أمراء الجند لقبول تولية صلاح الدين مع أنه كان من أصغر قادة الجند.

الفقيه ابن الحاجب (١١٧٥ـ ١٢٤٩):

هو عثمان بن عمر.. بن الحاجب الكردي الدويني (نسبة لمدينة دڤين- حالياً في أرمينيا) كان أبوه حاجباً لدى الأمير موسك ابن خال صلاح الدين، استوطن في مصر ونبغ في الشام ثم انتقل إلى مصر، كان عالم زمانه ومفتياً وضليعاً في التفسير والتصريف واللغة والعروض، وله تصانيف عدة منها: مختصر في الفقه، شرح المفصل، الأمالي، المقدمة، الجامع بين الأمهات، الكافية، الشافية، وغيرها، ويعتبر ابن الحاجب وابن الصلاح الشهرزوري من أشهر علماء الإسلام .

ابن تيمية (١٢٦٣ـ١٣٢٨):

هو أحمد بن عبد الحليم الحراني اشتهر بكنية أسرته "ابن تيمية"، وهي اسم إحدى جدّاته حيث تتمكن المرأة الكردية من منح اسمها لعائلتها؛ لأهميتها في المجتمع الكردي، وكان إماماً وخطيباً ومحدثاً ومفسراً ومفتياً ونحوياً وفقيهاً حنبلياً لقب بشيخ الإسلام، وكان هدفه إعادة الإسلام إلى عهده الأول واتباع خُطا الأسلاف، ولد لأبوين كرديين في حران (منطقة كردية تابعة لولاية أورفا) ومن أسرة راسخة في العلم فقد كان والده وجدّه عالمين جليلين، حارب البِدع ووقف في وجه كل خروج عن الشريعة وقاد حملة على غلاة الصوفية، ولذلك كثر أعداؤه وزجّ به في السجن بعد أن عجز حساده من تفنيد حججه، وفي مصر أيضاً دخل السجن بسبب عداء المتصوفة له؛ لرفضه مسألة الاتصال بالذات الإلهية والوصول إلى الحالة الروحانية، كما أنّه وقف في وجه التتار الذين غزَوا بلاد الشام في عهد الملك قلاوون، وقابل ملكهم وحاربهم، ولمّا انتهت البلاد من غزو التتار تم سجنه من جديد؛ بسبب فتوى منع بموجبه زيارة القبور اعتماداً على نهج السلف، وتوفي في السجن، ومن كتبه: الرسالة الحموية، منهاج السنة النبوية وغيرها.

ـ عزالدين ابن الأثير الجزري (١١٦٠ـ١٢٣٣):

يعتبر من أشهر مؤرّخي الإسلام، ولد في جزيرة بوتان وتوفي في الموصل، عاصر دولة صلاح الدين ورصد أحداثها، ومن أعماله الشهيرة: الكامل في التاريخ /١٢ مجلداً/ أسد الغابة في معرفة الصحابة، اللباب في تهذيب الأنساب، آداب السياسة... الخ.

ضياء الدين الجزري (١١٦٤ـ١٢٣٩):

اجتهد في مجال الادب ومن أعماله: المثل السائر في أدب الكاتب، والشاعر/ مجلدان، الوشي

٩- ابن خلكان وفيات الأعيان ص ٤٩٨.

ابن شداد (١١٤٥ـ ١٢٣٤): هو يوسف بن رافع بن شداد الموصلي، قاض ومؤرخ وسياسي، ولد في الموصل، اتسم بالحكمة ورجاحة العقل، رافق صلاح الدين في حروبه ودوّن تلك الاخبار والوقائع، أشهر كتبه: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، وهو في وصف سيرة صلاح الدين الأيوبي.

ـ ابن شداد (١٢١٧ـ١٢٨٥):

هو محمد عز الدين بن علي بن إبراهيم، نشأ في حلب وخدم الأيوبيين، مؤرخ وجغرافي، أشهر كتبه: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة.

أبو الفداء (إسماعيل بن علي الأيوبي) (١٢٧٣ـ١٣٣١):

هو جغرافي ومؤرخ وسياسي وشاعر، ولد في دمشق وولي على حماه، أشهر آثاره: تقويم البلدان، وهو من أهم الكتب في علم الجغرافيا في العصر الوسيط، وكتاب: المختصر في اخبار البشر. نقش اسمه على جدران الجمعية الجغرافية الفرنسية وسمّي أحد جبال القمر تيمّناً باسمه. قال عنه كراتشكوفيسكي: الكتب التي أثارت اهتمام الغرب (القرآن، ألف ليلة وليلة، وتقويم البلدان لأبي الفداء)، وهي شهادة كبيرة من لدن هذا العالم.

زرياب (٧٨٩ـ٨٥٧):

هو علي بن رافع الموصلي ولد في بغداد وعاصر الرشيد، لقب بـ"زرياب" ويعني ماء الذهب (بالكردية) لعذوبة صوته، أكبر موسيقي في العصر الاسلامي، أعجب هارون الرشيد بموهبته، ابتكر شكل الموشح والعديد من المقامات، وأضاف وتراً خامساً للعود، وأحدث في أساليب التلحين والايقاع، تأثرت أوربا بموسيقاه، وكان متعدد المواهب ومبتكر فن الذوق (أتيكيت)، كما

"من المؤكد أن "القالي" كردي، لأنه مسلم ولو كان روميا أو أرمنيا لذكر كنيته، سافر القالي إلى الموصل وهو صغير طلباً للعلم ثم شد الرحال إلى بغداد حيث درس النحو والعربية والفقه والحديث والأدب وبرع فيها، ثم توجه نحو الأندلس تلبية لدعوة من الملك عبد الرحمن الناصر ووصل إلى قرطبة، ولقي استقبالاً من ولي العهد وعهد إليه التدريس في جامعة قرطبة ونزل ضيفاً على الخليفة الناصر."

المرقوم في حل المنظوم، البرهان في علم البيان.. الخ.

ـ ابن خلكان (١٢١١ـ١٢٨٢):

هو أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان بن باوك ... بن جعفر بن خالد البرمكي الأربيلي من قبيلة الزرزاري الكردية، أصبح قاضي القضاة في عهد الملك بيبرس على الديار الشامية، كما أنه فقيه وأديب ومؤرخ، ولد في أربيل ودرس فيها ثم انتقل إلى حلب ودمشق والموصل، وأخيراً إلى القاهرة، ثم توفي في دمشق، وأشهر كتبه "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان".

ابن النديم (أبو الفرج محمد بن اسحاق):

أديب وكاتب سيرة وجامع فهارس، أشهر مؤلفاته: الفهرست (فهرست ابن النديم) وأحد عشر كتاباً غيره، ولد في بغداد وتوفي فيها سنة ١٠٤٧.

أنّه أدخل ولأول مرة الأواني الزجاجية على مائدة ملوك الأندلس بدلاً من الأواني النحاسية وغيرها.

ـ إبراهيم الموصلي (٧٤٢ـ٨٠٦):

هو إبراهيم بن ماهان (أو ميمون) من يهود كردستان المتأسلمين، أقام في الموصل، كان إبراهيم من أشهر المغنّين في بلاط هارون الرشيد، توفي في بغداد. أما ابنه اسحاق الذي ولد في الري، فقد برع في التلحين والإيقاع، ووضع تصنيفاً للمقامات الشرقية، وألف كتباً عدة.

كما نذكر العالم الفقيه عثمان بن عيسى الماراني الكردي (ت ١٢٠٨) أشهر علماء العهد الأيوبي في مصر شرح بعض الكتب ومارس التدريس١٠، والملك المعظم عيسى بن أبي بكر الأيوبي صاحب دمشق (ت ١٢٢٧) كان من فقهاء الحنفية إلى جانب عمله في الجهاد والإدارة، والملك الأمجد بهرام شاه الأيوبي صاحب بعلبك قتل سنة ١٢٣٠ كان شاعراً وخلف ديواناً شعرياً، والصلاح الأربيلي (ت ١٢٣٣) كان أديباً وشاعراً وفقيهاً.

المؤرخ ابن أبي الهيجاء (١٢٢٣ـ١٣٠١):

هو الأمير عز الدين محمد بن أبي الهيجاء الهذباني الأربيلي، ولد سنة ١٢٢٣ م بمدينة إربيل ومن قبيلة هذباني الكردية العريقة التي كانت تنتشر على الجغرافية الواقعة بين إربيل وجنوب القوقاز التي قامت عليها الدولتان الكرديتان الروادية والشدادية وتتبع أمراؤها إلى عشيرة الروادي التي هي فرع من الهذبانية، "توجه إلى الشام في شبابه وجالس الشعراء والفلاسفة ومنهم العز الضرير، وهو فيلسوف كردي أربيلي ولد في نصيبين"١١، وعاصر أبو الهيجاء مرحلة سقوط الدولة الأيوبية على يد المماليك بعد قتلهم لـ»تورانشاه» آخر ملك أيوبي وتنصيب زوجته شجرة الدر خليفة للمسلمين تمهيداً للسيطرة على الدولة.

تولّى أبو الهيجا في عهد السلطان المملوكي قلاوون ولاية دمشق سنة ١٢٨٥ وبقي والياً عليها حتى وفاته، وكان عصره يعج بالحروب والمؤامرات داخلياً وخارجياً مثل مؤامرة إسقاط الدولة الأيوبية داخلياً، وغزوات المغول والتتار المتلاحقة من الشرق والفرنجة من الغرب بغية إنهاء الدولة الإسلامية وخاصة في بلاد الشام، وقد شارك أبو الهيجاء في صناعة الأحداث السياسية وقام الفرنجة حتى طردهم سنة ١٢٩٠.

ما بقي من آثاره كتابه «تاريخ ابن أبي الهيجاء» اعتمد في كتابه أسلوب التسلسل الزمني السنوي بدءاً من النبي محمد، لكنه ركّز على أحداث العاشر، وحتى الثالث عشر، وتوفي في دمشق ودفن في جبل قاسيون.

شرفخان البدليسي (١٥٤٣ـ ١٦٠٣):

أمير وحاكم كردي على إمارة بدليس الوراثية، سياسي ومؤرخ صاحب كتاب "شرفنامه" أقدم كتاب تاريخي عن الكرد، وينتمي إلى عشيرة روجكي الكردية.

١٠- ابن خلكان، وفيات الأعيان ص ٤٩٧

١١- دراسة بحثية للدكتور أحمد الخليل

الدبلوماسية الروحية والإبراهيمية ترسم خارطة الشرق الأوسط

المحامية: شيماء رياض أبو زيد

مقدمة

في عصر المتغيرات السياسية وانتشار ظواهر تجسّدها أحداث صنعتها أطراف دولية عميقة، ظهر مصطلح التطرّف بمسميات عديدة ومختلفة، حيث يتم توظيف الإيديولوجيات والأفكار في سبيل تحقيق الهيمنة على الشعوب والدول، ومع انتشار بؤر التوتر واستمرار النزاعات وتزايد وتيرة الصراعات، خاصة في منطقة الشرق الأوسط، بات الحديث عن السلم العالمي مجرّد ضرب من الخيال، وأصبح العالم مهدّداً من جوانب عدة نظراً لخطورة ظاهرة التطرّف وتنامي التنظيمات الإرهابية التكفيرية وتكاثرها، المرتبطة بأجندات تديرها دول إقليمية ذات صبغة إسلامية راديكالية.

لذلك يمكننا التفكير بشكل مغاير في نوع من الدبلوماسية تحمل في مضمونها مفهوم التسامح بين الأديان والمعتقدات الدينية، وخلق فرص التواصل الروحي بينهم وفرض احترام الإنسان وقدسيته.

وبالرغم من أن الواقع الحالي لا يعطي وزناً للأديان داخل مسارات الحياة السياسية، لكن يعتبر الدين محركاً رئيساً حاكماً في العلاقات الدولية، ولأهميته في صنع السياسة الخارجية وخاصة لتلك الدول التي تحمل صبغات وتوجهات دينية.

ومن جانبه يمكننا أن نرى أن حوار الأديان الذي يُطرح بين الفترة والأخرى يلعب دوراً مهماً في ترسيخ التعاون الإقليمي، وخلق المشتركات بين الدول التي تختلف في سياساتها، إنها الدبلوماسية الروحية، نعم لأنها تمثّل أحد الروافد الحيوية لترسيخ قيم تجمع المشترك الإنساني لمواجهة تحديات تهدّد جميع الشعوب والدول، واليوم نطرح التساؤل التالي: إلى أي مدى يحتاج الشرق الأوسط الدبلوماسية الروحية؟ وهل يمكن لهذه الدبلوماسية القيام بالإصلاحات الديمقراطية وحماية البيئة ومبادرات بنّاءة تدعم الحوار والتواصل الإنسانيين، وتهدف إلى بناء سلام عالمي؟ وهل يمكن لهذه الدبلوماسية القضاء على النزاعات ذات المنبت الديني ورفع الاقتصاد وتنمية الحسّ الأخلاقي، وتحقيق التنمية المستدامة والمساواة والعدالة الاجتماعية والسلام وبناء الشراكات الدولية؟

هل يمكن للدبلوماسية الروحية التركيز على جمع المشترك بين الاختلافات المذهبية والدينية، وتوظيفها في خدمة القضايا المجتمعية والإنسانية والسياسية؟

وهل يمكن للدبلوماسية الروحية مكافحة الإرهاب عبر تغيير النظرة الدينية في التربية، وتفكيك التطرف المتراكم في العقول عبر التاريخ الدموي للصراع، وهل يمكن لهذه الدبلوماسية تحويل المجتمعات لقبول الآخر وتشجيع الدعوة على الانفتاح على العالم، بما يخدم قضايا الإنسان وحمايته من التهويمات الأيديولوجية المتمثلة في التعامل مع الوقائع بعقلية الأفكار المطلقة.

وهل يمكن للدبلوماسية الروحية المحافظة على السلام العالمي؟

من هذه المقدمة يمكننا البحث عن أهم الأفكار والجهات والمراكز التي روّجت وما تزال تروّج الدبلوماسية الروحية والإبراهيمية كطريق الحل، باعتبارها تتبنى الدبلوماسية الروحية مذهباً.

بداية وبصرف النظر عن نجاح الدبلوماسية الروحية من عدمها، فالواضح أن التدخل الديني دليل على أن العالم اليوم، بمؤسساته الدولية الراهنة وبعلاقاته الحالية، غير قادر على تدبّر الحلول للأزمات السياسية الكثيرة المتداخلة، ليس فقط للوهن الشديد الذي أصيبت به المنظومة الدولية، وعجزت من خلاله عن تدبّر حلول لأزمات تجاوز عمرها عشرات السنين، بل لأن المنظومة الدولية ذاتها، بتشابكاتها الاقتصادية والإعلامية والسياسية، هي جزء أساسي في صنع هذه الأزمات وتوليدها، بالتظافر مع المعطيات الداخلية.

هنا نتساءل هل تصبح لهذه الدبلوماسية الروحية، رغم كل الاعتراضات التي تواجهها وستواجهها لاحقاً، محاولة لتعويض القصور الدبلوماسي العالمي في تبيّن الحلول لتصدّعات العالم الكثيرة؟

أولاً: الدبلوماسية الروحية والنظام العالمي الجديد

بعد قرون طويلة من استخدام الدين في العلاقات بين الدول، أصبحت محدّدات العلاقات والتوازنات داخل السياسة الدولية مختلفة، فالمدرسة السياسة الواقعية التي ترفض وجود أي دور للدين في العملية السياسية، وتحمل شعار فصل الدين عن الدولة، تأتي اليوم

بمفهوم «الدبلوماسية الروحية» كمفهوم يؤكّد أنّ الدين مصدر الصدام قد تغيّر وتطوّر ليكون مدخلاً للحلّ والتسوية، وبدأ الحديث عن «السلام الديني العالمي» المقرّر الوصول إليه عبر مفهوم «الدبلوماسية الروحية»، وما ستقدّمه من حلّ غير تقليدي للصراعات الدينية. فحلّ طرح «المشترك الإبراهيمي» أو «الديانات الإبراهيمية»، يشير إلى الأديان السماوية الثلاثة، ضمن مفهوم جديد لحل النزاعات والصراعات الممتدة والقائمة على أبعاد دينية متشابكة، أي «الدبلوماسية الروحية»، لتمثّل خلاله الأديان الإبراهيمية أحد أبرز أركان هذا المفهوم الجديد.

وفي تزاحم التسميات والمصطلحات، التي تُعدّ إحدى أخطر التحدّيات الفكرية والثقافية، كثُر استخدام مصطلحات مثل «المشترك الإبراهيمي»، و»الدبلوماسية الروحية»، و»السلام الديني العالمي»، خلال السنوات الأخيرة في خطاب الدبلوماسية العالمية وفي أدبيات بعض مراكز الدراسات والجامعات في الولايات المتحدة الأميركية و»إسرائيل» وقطر وتركيا، وقد تكون المصطلحات «برّاقة»، ظاهرها رحمة لكن مضمونها ظُلمة وتضليل، فهي تُستخدم لتوظّف الدين في خدمة السياسة العميقة في المنطقة.

خلال بحث جدّي ومُحكم تُطالعنا به، أنّ الدبلوماسية الروحية و «الإبراهيمية» المزعومة المُنادية بـ»التسامح»، تُمهّد لتغييب التناقض الوجودي بين المشروع الصهيوني العنصري، وبين الحقوق التاريخية للشعوب العربية عموماً في المنطقة؛ ومصطلح «الدبلوماسية الروحية» إنّما يروّج لحقوق الإنسان و»السلام» ولمواجهة العنف والإرهاب ليسامح «إسرائيل» ودول أخرى عن كل ما مارسته ولا تزال تمارسه من أحقاد ومجازر وانتهاكات لحقوق الإنسان.

ثانياً: الدبلوماسية الروحية والسلام الديني العالمي

”إن مصطلح "المشترك الإبراهيمي" و "السلام الإبراهيمي" يعود استخدامه لأول مرة، إلى دراسة نشرها الرئيس الأميركي الأسبق، جيمي كارتر، في عام ١٩٨٥ في كتاب حمل عنوان "دم أبراهام"، بتأثير واضح لما يعرف بالصهيونية المسيحية التي تُقارب التاريخ من زاوية الروايات اليهودية التلمودية، وأسهب كارتر في كتابه في مناقشة المشترك الإبراهيمي بين أبناء المنطقة كحلٍ للوصول إلى "السلام".“

جاء الحديث مراراً حول المشترك الإبراهيمي، وفق مرتكزات وركائز تعريف كمدخل فكري مهم، تدعمه الحكومات الأميركية المتعاقبة بحثياً منذ عام ١٩٩٠ مع خطاب الرئيس الأميركي جورج بوش الأب عن «النظام العالمي الجديد» عقب انهيار الاتحاد السوفياتي، والحرب الأميركية ضدّ أفغانستان والعراق وحرب الخليج الثانية. وأخذ الأمر منحى جديداً مع الألفية الجديدة كبداية للتنفيذ والدعم توّجت بتأسيس داخل وزارة الخارجية الأميركية عام ٢٠١٣.

ثالثاً: الدبلوماسية الروحية والمخطط المتمثّل بـ «القوى والمطامع الغربية»

هذه تحرّكها دوافع متطرّفة ترفعها الصهيونية المسيحية الداعمة لـ»إسرائيل» كإطار للقرن الجديد والنسق العالمي الجديد، الذي أعلنه بوش الأب، حيث لا يمكن قراءة مفهوم الدبلوماسية الروحية بعيداً عن النظام العالمي الجديد.

هنا، لا بُدّ لنا من الإشارة إلى أنّ مصطلح «المشترك الإبراهيمي» و «السلام الإبراهيمي» يعود استخدامه لأول مرة، إلى دراسة نشرها الرئيس الأميركي الأسبق، جيمي كارتر، في عام ١٩٨٥ في كتاب حمل عنوان «دم أبراهام»، بتأثير واضح لما يُعرف بالصهيونية المسيحية التي تُقارب التاريخ من زاوية الروايات اليهودية التلمودية، وأسهب كارتر في كتابه في مناقشة المشترك الإبراهيمي بين أبناء المنطقة كحلّ للوصول إلى «السلام».

رابعاً: الولايات المتحدة الامريكية والدبلوماسية الروحية

إن اهتمام الولايات المتحدة الأميركية بالدين، يمكن تفسيره من خلال آراء العديد من المؤرّخين والمحلّلين الأميركيين، إنّه نتيجة سيطرة الصهيونية المسيحية على السياسة في الولايات المتحدة التي تؤمن بفكرة العودة الأصولية المتجدّدة للجذور، كأساس حركة التاريخ بالعالم. وتُعتبر مهمة أعضاء هذه الحركة وأتباعها تدبير وتهيئة كل الأمور التي تطرح فكرة إمكانية عودة المسيح إلى الأرض، ومن ثم السيطرة على العالم، ومن ثم تعتبر أن ما يتمّ داخل السياسة الدولية ما هو إلاّ تكليف إلهي، فأضحى الدين مدخلاً لتفسير الدور الأميركي في العالم، بوصفه محرّكاً ومبرراً ومفسراً.

في السياق ذاته، يعتبر الباحث الأميركي جيمس روزينوه، أن مستقبل العالم سيرتكز على السلام العالمي الذي سيتحقق عبر الديانات الإبراهيمية والعقائد المتداخلة، كمدخل جديد لحل النزاعات في العلاقات الدولية، وكطرح بديل لنظرية «صامويل هنتنغتون» حول «صدام الحضارات»، ونظرية «فرانسيس فوكوياما» حول «نهاية التاريخ»؛ بل ليعكس نهجًا جديدًا داخل علم العلاقات الدولية كانت أهم ملامحه ظهور مفاهيم جديدة؛ كالتسامح العالمي، والأخوّة الإنسانية، والحب، والوئام، كمفاهيم جديدة مطروحة داخل هذا الحقل.

خامساً: حوار الأديان والدبلوماسية الروحية

من الجدير ذكره، أنّ قضية «حوار الأديان» لعبت دوراً كبيراً في بلورة مفهوم الدبلوماسية الروحية، حيث حضرت القضية منذ مرحلة ما بعد الحرب الباردة كمصطلح يُشير إلى التفاعل البنّاء والإيجابي بين الناس، وتحويل حوار الأديان إلى خدمات تُقدّمها الأديان من شأنها بناء جسور تربط بين الشعوب، كمكافحة الملاريا وحملات الإغاثة، فلن يعود دور الأديان مجرّد إدارة النزاع أو الصراع، وإنّما يغدو فاعلاً على الأرض لخلق سلام ديني عالمي، «الديانة الإبراهيمية».

وبعيداً عن نظريات المؤامرة، تبرز تساؤلات كثيرة تحتاج الى البحث والتقصّي حول ماهية النظام العالمي الجديد ومفهوم «المواطن العالمي»، وعلاقة الأمر بالماسونية التي من أهدافها الوصول إلى «المواطنة العالمية»، خاصة وأنّ وجود «الباسبور الماسوني» العالمي أصبح واقعاً.

فهدف «المشترك الإبراهيمي»، يتمثّل في خلق ولاءات جديدة رفعت شعارات إزالة الحدود والولاءات، وترسيخ مفهوم المواطن العالمي على الأرض، ليكون ولاؤه غير مرتبط بالأرض، وإنمّا تحت مدخل محبّب ومقبول للنفس، ألا وهو المشترك الروحي؛ أي الإبراهيمي، تحت شعارات التسامح والتشارك.

سادساً: تركيا وإسرائيل ودورهما في الدبلوماسية الروحية

إن التشارك في الموارد والتكنولوجيا (إسرائيل وتركيا) يؤدّي إلى إقامة «اتحاد فدرالي يتحكّم في الموارد بصورة مركزية للسلطة الفدرالية، التي تديرها «إسرائيل» أولاً ثم تركيا ثانياً.

سابعاً: الدبلوماسية الروحية والتنمية المستدامة

تقدّم الدبلوماسية الروحية نفسها كمدخل لتحقيق التنمية المستدامة، وسبق استخدامها أيضاً في مطلع الألفية كمدخل لتحقيق الأهداف الإنمائية للألفية في الفترة ٢٠٠٠-٢٠١٥، وذلك عبر الحوار الخدمي القائم على مبادرات تنموية بين الأديان، بهدف بناء مشترك واقعي يتجسّد في مشروعات تنموية تكافح الفقر وترفع معدلات التنمية، وبخاصة في الدول النامية، إلاّ أنّ تطويرها جاء بعد عام ٢٠١٥، عقب انقضاء أجل الأهداف الإنمائية للألفية، ودخول العالم إلى حقبة تنموية جديدة وهي أهداف التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠ تحت رعاية الأمم المتحدة.

في سبيل تطبيق المفهوم، يتمّ استحداث عدد من الأدوات العالمية التي توظّف على أرض الواقع، منها: المنظمات الأممية وفي مقدمتها منظمة اليونيسكو، المؤتمرات الدولية والقمم العالمية، القوى العظمى والمعسكر الغربي، السياحة الدينية المشتركة، مشروعات ريادة الأعمال، التواصل مع الشباب، التعاونيات النسائية.

أمّا مؤسسات «الدبلوماسية الروحية»، فتتنوّع بين برامج أو معاهد أكاديمية، مؤسسات مجتمع مدني، جمعيات دوائر طلابية لبناء الكوادر الجديدة، وجميعها تهتم بالتأصيل النظري للفكر الجديد عبر تأويل النصوص بالأديان الثلاثة، ومن أبرز تلك المؤسسات: المركز العالمي للدبلوماسية الروحية، منظمة الأديان من أجل السلام، مشروع الأرض الجديدة.

أمّا تمويل هذه المؤسسات ومشاريعها في مختلف مناطق العالم، فيتمّ من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا وقطر، من خلال التمويل الحكومي والتبرعات الخاصة والمنح وتمويل الجامعات.

ثامناً: الدبلوماسية الروحية مسار من مسارات التفاوض

وهي تستهدف حلّ النزاع أو منع حدوثه من أجل بناء سلام ديني عالمي، ويتم الترويج عبر الجمع بين القادة الروحيين والساسة داخل آلية المسار

"حضرت قضية "حوار الأديان" منذ مرحلة ما بعد الحرب الباردة كمصطلح يشير إلى التفاعل البنّاء والإيجابي بين الناس، وتحويل حوار الأديان إلى خدمات تقدّمها الأديان من شأنها بناء جسور تربط بين الشعوب، كمكافحة الملاريا وحملات الإغاثة، فلن يعود دور الأديان مجرد إدارة النزاع أو الصراع، وإنّما يغدو فاعلاً على الأرض لخلق سلام ديني عالمي، "الديانة الإبراهيمية"

الثاني للمفاوضات، باستخدام المدخل النفسي لدحض الأصولية في الأديان الثلاثة، والتباحث حول القضايا الحسّاسة محلّ النزاع بهدف التوصّل إلى مشترك عبر تقارب الأديان السماوية الثلاثة (الإسلام، المسيحية، اليهودية) أو ما يُسمّى الديانات الإبراهيمية أو الدين الإبراهيمي (الدين العالمي الواحد)، للقضاء على الاختلافات والوصول إلى متّفق يقبله المجتمع، عبر ترجمته لخدمات ملموسة يشعر بها المواطن (الحوار الخدمي) ليكون ولاؤه للدين الإبراهيمي، ويتم نقله إلى الخريطة السياسية، لأنّ هذا المسار سيكون مركز صنع القرار السياسي في العالم، بهدف خلق السلام الديني العالمي».

وتتمثل أبرز مقومات الدبلوماسية الروحية، بـ:

محورية النبي إبراهيم المشترك بين الأديان.

سلطات الديانات الإبراهيمية: ستتحاور لتصل إلى وضع ميثاق تكون له القدسية الدينية كبديل من المقدسات السماوية ويُنحّي الخلاف والفواصل.

*آلية دبلوماسية المفاوضات غير الرسمية: «دبلوماسية المسار الثاني» كساحة مهيئة لعمل وتعاون رجال الدين والساسة والدبلوماسيين، ليعملوا معاً لحلّ الصراعات المتشابكة.

*أُسر السلام (جماعات قاعدية)، الحوار الخدمي، نشر الأفكار عبر تقديم خدمات تنموية.

*الكيانات العلمية الداعمة كالجامعات الدولية وفي مقدمتها جامعة هارفرد.

أمّا أولويات التدخّل لتحقيق السلام الديني العالمي، فسيتمّ تقسيم مناطق الصراع والنزاع في العالم وإعطاء الأولوية للمناطق التي توجد فيها الأديان الإبراهيمية، ويقوم طرح التصدّي للنزاعات العنيفة الممتدة القائمة على أسباب دينية متشابكة كقضية الصراع العربي- الإسرائيلي، كون المنطقة الجغرافية مكان النزاع هي محور العالم، وكون السلام العالمي لن يتحقّق إلاّ بسلام تلك المنطقة. وعن آلية حلّ الصراع في الشرق الأوسط، سيتم عبر استغلال الإمكانات التي تتيحها الأديان لتكون مصدراً للتفاهم المشترك.

تاسعاً: القوى الدولية الفاعلة لتطبيق الدبلوماسية الروحية والإبراهيمية

مع عملية رصد القوى الفاعلة المنوطة بالانتشار القاعدي للدبلوماسية الروحية، والتمهيد للقبول بالمشترك الإبراهيمي، تبيّن أنّ حركة «الصوفية العالمية» إحدى أهم تلك القوى، إلى جانب مراكز البحث الإبراهيمية.

إنّه وعلى الرغم من أنّ إرهاصات التيارات الصوفية تعود إلى عام ١٩١٠، فإنّ تطويعها سياسياً كحركة على الأرض جاء مع مطلع الألفية، عبر إنشائها أطراً مؤسسية لتطبيق ونشر أفكارها في العالم، وبخاصة في منطقة الشرق الأوسط، واستقطاب أتباع جدد وبدء الحوار مع القيادات الروحية الصوفية الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط، من خلال المؤتمرات الدولية والمحافل العالمية تحت إطار الأمم المتحدة، ومن هنا نشير إلى أنّ الرابطة الدولية للصوفية كمنظمة غير حكومية، تشارك في الاجتماعات والقمم العالمية في مقرّ الأمم المتحدة في جلسات حوار مع قادة دينيين آخرين، في شأن القضايا ذات الاهتمام العالمي كقضايا حقوق الإنسان والعدالة والتعليم وقضايا المرأة.

إنّ خطورة التيارات الصوفية ليس فقط في الأفكار التي تروّج لها، لكن انتقالها من مستوى الفكر إلى الحركة، وانتشارها عبر المجتمعات المحلية، ناشرة مفهوم «دبلوماسية المواطن» والحديث عن «المواطن العالمي»، الذي لا يؤمن بالحدود، والحشد والتعبئة من أجل التغيّر السلمي للتشبيك مع المجتمع المحلي.

إنّ الصوفية العالمية ترفع شعار الماسونية القديمة، حيث يُزعم أن «جورج سوروس» أبرز القيادات الصهيونية اليهودية في العالم، يُعدّ من أبرز ممّولي «الصوفية العالمية».

عاشراً: الدبلوماسية الروحية والمشروعات والمبادرات المطروحة:

يُمثّل مشروع «مسار إبراهيم»، ترجمة لمفهوم الدبلوماسية الروحية على الأرض، يُستثمر لبناء ذاكرة تاريخية جديدة تتكامل خلالها طرائق الحج المشتركة بشعار «معاً نصلّي»، يأخذ شكلاً تجميعياً للبشر عبر مسيرات السير المشترك، لا يرفع أي شعارات سياسية وإنّما دينية وثقافية وسياحية. والمقصود بـ»مسار إبراهيم»، هو الطريق الذي سلكه نبي الله إبراهيم وعائلته منذ ٤٠٠٠ عام مضت، الذي بدأ من حرّان- تركيا حيث كلّفه الرب بالخروج، وانتقل للمرور بالعديد

من المدن التي تتقاطع مع تسع دول غير تركيا وفقاً للمسيرات السماوية الثلاث، وتنتهي بمدينة هبرون (الخليل الآن) حيث دُفن وفقاً لسفر التكوين. وتمرّ رحلة المسار بسوريا والعراق ومصر والأردن ولبنان والسعودية وفلسطين والأراضي المحتلة (التي يطلق عليها إسرائيل)، وإيران.

المشروع طرحته جامعة «هارفرد» مطلع الألفية. والولايات المتحدة الأميركية هي الدولة الأولى الراعية للمسار، وتتشارك مع فرنسا في مسار «فرسان المعبد» وتدعم تركيا في «المسار الصوفي»، وتدعمه في إطار مشروع كبير «على خُطا إبراهيم الخليل» لتموّله وزارة الخارجية الأميركية وتُنفّذه جامعة «هارفرد».

وقع اختيار المسارات الثلاثة على الأراضي العربية ومنطقة الشرق الأوسط، وتتلاقى جميعاً في الهدف لتحقيق «السلام الديني العالمي» عبر بوتقة صهر تتواءم مع أنصار الأديان المختلفة الإسلامية، كالمسار الصوفي التركي، والمسيحية كمسار» فرسان الهيكل». والمُلفت، أنّ المسار الأكبر، «مسار إبراهيم»، حدوده الجغرافية تتشابه مع الحدود الجغرافية لخريطة أرض «إسرائيل الكبرى».

حادي عشر: الكيان المؤسسي لـ «مبادرة مسار إبراهيم»

هي عبارة عن منظمة غير سياسية وغير طائفية مفتوحة أمام الجميع، ترفع شعار «نحن نعيش ببساطة.. نزيل الغبار عن خُطا قديمة» لتؤكّد أنّ هدفها بالأساس هو إحياء التاريخ المشترك وبناء الثقافة التاريخية المشتركة لأتباع الأديان الإبراهيمية». في عام ٢٠٠٦، نُظّمت زيارات لوفود من ١٠ دول حُرص خلالها على الترويج الإعلامي للزيارة، وفي الوقت عينه بدأت عملية التفاوض مع حكومات الدول لنشر المفهوم للحصول على الدعم السياسي للمسار، ومثّل عام ٢٠٠٧، بداية مأسسة المسار عن طريق إنشاء مؤسسة «مبادرة طريق إبراهيم» كمبادرة أهلية تحت مظلّة جامعة هارفرد.

يقع المقر الرئيسي للمؤسسة في بولدر، في ولاية كولورادو الأميركية، ويديرها «ويليم أوري»، وتتم الأنشطة من خلال جامعة هارفرد التي استطاعت بناء شبكة من الجمعيات الشريكة، وتمّ قبول تعاونها وفقاً لميثاق عمل يُنظّم أسس التعاون، فلا تُقبل عضوية أي جمعية إلاّ قبل التأكّد من التزامها بفكر العمل المؤسسي للمبادرة.

من أبرز أصدقاء «مسار إبراهيم»، في البرازيل مدينة ساو باولو منذ عام ٢٠٠٦، حيث نظّمت مسيرة افتراضية للمسار في تموز/يوليو ٢٠٠٩ في وسط المدينة شارك فيها أكثر من ٢٠٠٠ عدّاء حولهم تعلو صور القدس ودمشق وبيروت وحلب والخليل، وتمّ تصويرها إعلامياً وبثّها بالقمر الصناعي، وكانت بمثابة أهم أنشطة تنمية الموارد للمبادرة والطريق، وتمّ خلالها تحصيل مبالغ كبيرة.

بلغ طول «مسار إبراهيم» على الأرض عام ٢٠١٤ أكثر من ١٥٠٠ كيلومتر، ومن المخطط أن يصل طول المسار الى ٥٠٠٠ كيلو متر ليكون قابلاً للسفر في جميع الدول التي مرّ بها النبي إبراهيم وفقاً للأديان الثلاثة، بشكل متكامل من دون استبعاد أي رواية، وفقاً لإصدار ٢٠١٦ من جانب المبادرة، أمّا الجهات المانحة للمسار، فهي تمثّل ١٨ دولة، وكانت المؤسسة السعودية التابعة للوليد بن طلال للأعمال الإنسانية من أوائل المانحين.

***الدروب المُنفّذة على الأرض:** درب سيناء، درب «إسرائيل»، درب/إبراهيم الخليل فلسطين، درب الأردن، درب لبنان، درب سوريا (جُمّد العمل به مع بدء «ثورات الربيع العربي»)، درب السعودية.

مسارات إبراهيم في الخليج وشبه الجزيرة العربية: (سوريا، العراق، مسارات في دول الخليج، اليمن).

*المسار الصوفي: يروّج كبوتقة تشمل الديانات الثلاث والملحدين أيضاً، ويتلاقى سير المسار مع

"تتنوع مؤسسات "الدبلوماسية الروحيّة" بين برامج أو معاهد أكاديمية؛ مؤسسات مجتمع مدني، جمعيات دوائر طلابية لبناء الكوادر الجديدة، وجميعها تهتم بالتأصيل النظري للفكر الجديد عبر تأويل النصوص بالأديان الثلاثة. ومن أبرز تلك المؤسسات: المركز العالمي للدبلوماسية الروحية، منظمة الأديان من أجل السلام، مشروع الأرض الجديدة، أما تمويل هذه المؤسسات ومشاريعها في مختلف مناطق العالم، فيتم من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا وقطر."

الرؤية التركية لنطاق السيادة الذي تحلم به لاستعادة أمجاد الدولة العثمانية، ويتقاطع مع المسارات الأخرى. ويمر مسار «فرسان الهيكل» أيضاً بالتوازي معه، لا سيما أنّه يعبر الأراضي التركية وصولاً الى القدس.

مسار «فرسان الهيكل»: تمّ تدشينه بمبادرة أميركية- فرنسية عام ٢٠٠٦، يبدأ من فرنسا ويرفع شعار مسار الحج الديني المقدس من أجل السلام العالمي، يأخذ خمسة أشهر للوصول من فرنسا إلى القدس سيراً على الأقدام أو عبر ركوب العجلات، ويمرّ بإحدى عشرة دولة وقارتين، يبلغ طوله نحو ٤٢٢٠ كيلو متراً، ويشمل عدة طرق ونقاط عبور: (فرنسا، سويسرا، ألمانيا، النمسا، المجر، سلوفاكيا، صربيا، بلغاريا، تركيا، قبرص والكيان الإسرائيلي)، إذ لا تعترف المبادرة بفلسطين وإنما بـ«إسرائيل» برغم أنّ المقدسات المسيحية هي في القدس الشرقية).

مبادرات مطروحة: الولايات المتحدة الإبراهيمية تطرح جامعة فلوريدا الأميركية، مشروع «الولايات المتحدة الإبراهيمية» عبر مركزها البحثي (EMERGY) المعني بدراسة القضايا البيئية والمستقبلية ومستقبل الطاقة، واستدامة الموارد الطبيعية المتاحة، حيث نوقش المقترح في المؤتمر السنوي للمركز عام ٢٠١٥.

لم يُقدّم المشروع بوصفه مبادرة سياسية، بل كرؤية استشرافية من أجل بقاء المنطقة المهدّدة بالجفاف وندرة الموارد خلال المستقبل القريب، مع الإشارة الى أنّ منطقة الشرق الأوسط هي منطقة شديدة الجفاف في العالم. وتُقدّم الرؤية نموذجاً لهيكل سياسي عملي، ورمزاً موحّداً يجمع كل الأطراف في الأرض بين نهري دجلة والفرات ونهر النيل، عبر إقامة اتحاد فيدرالي يجمع ١٨ دولة عربية و"إسرائيل" وتركيا وإيران معاً، أي ما سيُعرف باسم الولايات المتحدة الإبراهيمية، أو ببساطة "الأرض المقدسة".

تقود عملية التكامل الفيدرالي، "إسرائيل" ثم تركيا بحكم امتلاكهما الموارد والتكنولوجيا في ظل "جهل" عربي، أمّا التمويل لإقامة الدولة، والربط الإقليمي فسيكون من جانب دول الخليج بسبب "التهديد"، ويُلاحظ في المقترح غياب القضية الفلسطينية، وإدراجها ضمن الطرح الإقليمي الذي سيتمّ في إطار إزالة الحواجز وإعادة تقسيم الولايات والمحافظات والوحدات التابعة.

إرهاصات "الاتحاد" تعود الى تسعينيات القرن الماضي، ورغم عدم دقة المعلومات في هذا الشأن، استطاعت الباحثة الوقوف على صاحب الفكرة والمخطط المطروح من جانب مراكز الفكر الأميركية، ألا وهو الأصولي المصري "سيد نصير" المتهم بقتل الحاخام الإسرائيلي المتطرّف "مائير كاهانا"؛ زعيم حركة "كاخ" الصهيونية الأكثر تطرّفاً، والقابع في السجون الأميركية منذ عام ١٩٩٠، حيث وضع فكرة تسييس استخدام النبي إبراهيم لحلّ الصراعات السياسية، أملاً منه في تقديم فكرة جديدة تشجّع الأميركيين للموافقة على الإفراج عنه بسبب عدم إدانته في جريمة القتل وفقاً للقضاء الأميركي، مع مفارقة بقائه

في السجن المشدّد. فقدّم إلى "هيلاري كلنتون" خلال حكم الرئيس بيل كلنتون مشروعاً يحمل اسم "دولة إبراهيم الفيدرالية"، كمشروع يهدف إلى خدمة الأمن القومي الأميركي في منطقة الشرق الأوسط، بوصفه الحلّ الأمثل لضمان "السلام".

الخاتمة:

يمكننا تقديم رؤية حول الدبلوماسية الروحية واستشراف المستقبل من خلال ما تم نقاشه من قبل الباحثين المختصين بقضايا الدين والدبلوماسية، من خلال التركيز على قضايا ومحاور تتناول المخطّط المطروح في إطار النظام العالمي الجديد، وكيفية ترجمته إلى عدد من المفاهيم المتداخلة والمتشابكة، يأتي في إطارها تحديات خطيرة تتواطأ فيها دول ضد دول أخرى في المنطقة، تُقدَّم في سياق مخطط إقامة الولايات المتحدة الإبراهيمية. إنّ إرهاصات الإعلان عنه سياسياً بدأت من خلال ملامح مشروع "صفقة القرن" الذي طرحه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، عندما أعلن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل، الأمر الذي يدعو إلى طرح عدد من التساؤلات التي تتطلّب وضع سياسات تصحيحية مهمة من أجل مواجهته.

إن كل ما يُخطط لمنطقتنا ويُروّج له "هدفه ليس السلام العالمي، وإنما ضياع المنطقة وحقوق الشعوب معاً، ونحن كشعوب يجب ألاّ ننخدع خلف الشعارات الدينية الجذّابة والأخوّة الإنسانية والتسامح المزيّف. إنّ الوعي والمقاومة المجتمعية هو الأساس، والتماسك واللحمة هي المدخل الرئيسي للتصدّي للأفكار الهدّامة، والعودة إلى فكرة التعايش الحقيقي للشعوب التي تم طرحها في مفهوم وفلسفة الأمة الديمقراطية الحقّة، التي طرحها المفكر الأممي عبد الله أوجلان ودفع ثمنها سنوات عمره في معتقل إمرالي.

المراجع:

١. الدبلوماسية الروحية والمشترك الإبراهيمي: المخطط الاستعماري للقرن الجديد، هبة جمال الدين محمد العزب، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٢١

٢. "لاهوت الغلبة"-التأسيس الديني للفلسفة السياسية الأميركية"، محمود حيدر، دار الفارابي).

٣. الصراع العربي-الإسرائيلي، ياسمين قعيق. بيروت. 2021

٤. الدبلوماسية الروحية مدخل لخلط الدين بالسياسة، موقع العرب 2021

٥. الدبلوماسية الروحية لماذا، موقع شفق 2020

٦. الدبلوماسية والدين، البحث عن مصالح مشتركة، آلن كويستنر، والأسقف جون شاين، مركز الدوحة للنشر ٢٠٢٠.

موجز لمكونات شمال شرق سوريا عبر التاريخ

مصطفى شيخ مسلم

المقدمة

كما هو معروف ولا يكاد أن يكون خافياً على أحد، أن شمس الحضارة الأولى بحسب غالبية المؤرخين وعلماء الآثار سطعت من هذه المنطقة، منطقة الجزيرة التي تتوسّط نهرَي دجلة والفرات، ومدن الشمال السوري عامةً، إذ عايشتْ هذه المنطقة أقصى ما توصّل إليه الإنسان، ففيها عُرِفت الألواح المسمارية التي أنشأت الحرف الأبجدي الأول في التاريخ البشري، ومن هنا اكتُشف أول سلاح استخدمه الإنسان، وفيها اكتُشفت تماثيل تجسّد حياة الإنسان ومعتقداته قبل الميلاد بآلاف السنوات، كل بقعة من الشمال السوري لا تكاد تخلو من أثر أو تل يخفي تحته آلاف الأسرار عن حضارات توالت على هذه المنطقة، وسومر وأكاد وبابل وآشور وكلدان وآرام من أشهر حضاراتها.

هذه المنطقة القديمة قِدم التاريخ، كانت أرضاً خصبة للكثير من المكونات القومية والدينية، فبالرغم من صِغر المساحة التي نقصدها بعينها دون سواها، إلا أنها كانت حاضنةً للعرب والكرد والشيشان والأرمن والتركمان والمسلمين والمسيحيين واليهود والإيزيديين على حدٍ سواء.

العرب في شمال شرق سوريا – تاريخياً:

عرب سوريا، هم أكبر مكونات الشعب السوري، كانت سوريا موطنًا للعرب منذ القرن التاسع قبل الميلاد، وقامت على أرضها مجموعة ممالك وإمارات عربية (مملكة تدمر، مملكة حمص، مملكة رها، إمارة أفاميا)، غير أن استعراب غالبية البلاد لم يتم إلا بحلول القرن الحادي عشر، أي حديثًا، فإنه بعد اضمحلال الدولة العثمانية، كان أول كيان قد قام واتخذ اسم المملكة السورية العربية، وفي عام ١٩٥٨ كانت سوريا جزءًا من «الجمهورية العربية المتحدة»، ومنذ ١٩٦١ أصبح اسم البلاد الرسمي «الجمهورية العربية السورية». أما الدستور فينص على كون لغة البلاد الرسمية هي العربية، وأنّ سوريا جزء من «الأمة العربية». كما ينص قانون الجنسية على منح جنسية «عربي سوري» لجميع المواطنين بمن فيهم الكرد أو الأرمن.

تبلغ نسبة العرب في سوريا نحو ٨٤٪ من مجموع السكان، ويمكن تقسيم عرب سوريا من ناحية التاريخ أو الأصول أو اللهجة العربية المستخدمة إلى:

أ- **القبائل العربية التي استقرت في سوريا قبل الميلاد ابتداءً من القرن التاسع قبل الميلاد.**

ب- **القبائل العربية التي استقرت منذ مرحلة سوريا الأنتيكية**، فقد شكلت في الأنتيك قوافل تجارية عبر بادية الشام، وبعض المستعمرات الزراعية والرعوية، وبعد الفتح، شكلت عماد المؤسسة العسكرية الأموية، وكبار مُلّاك الأراضي الزراعية، وفي الحالتين مكثت أقلية في البلاد. هذه المجموعة ذابت في النسيج العام خلال غزوات المغول للشام، ما عدا بعض العائلات التي من الممكن نسبتها لتلك المرحلة نظرًا لحفاظها على نسبها مثل الأسرة الهاشمية في سوريا.

ج- **القبائل العربية التي هاجرت من نجد إلى وادي نهر الفرات خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر**، وتمددت نحو ريف محافظة حلب الشمالي وتحديدًا منطقة منبج، وتشكل نحو ٧٠٪ من البلاد، ويصنّف الشوايا من ضمنها، وتتميز باللهجة العربية النجدية. وفي الفترة الزمنية نفسها التي هاجرت فيها هذه القبائل، انتقلت مجموعات من الدروز من وادي التيم، والبقاع، إلى جرود شرق حوران خلال القرن الثامن عشر، وغدا جبل العرب - محافظة السويداء اليوم - ذا أغلبية درزية من حينها، ومع كون الدروز ذوو خليط عرقي، فإن بعض العائلات الدرزية تنتسب مباشرة لقبائل عربية يمنية أو قيسية.

د- **مستعربو سوريا**، وهم حوالي ٢٠-٣٠٪ من البلاد، استعربت غالبيتهم بحلول القرن الحادي عشر للميلاد وبشكل تدريجي، ويشكلون القاعدة السكانية في الأرياف والمدن على حد سواء، وهم المتحدّرون نظريًا من خلفية آرامية، ويشملون عدة طوائف ومذاهب، ويستخدمون اللهجة السورية العامة.

ورد في أقدم الوثائق المتاحة عن العرب، وهي آشورية، أن الملك شلمنصر الثالث انتصر على العرب في معركة قرقر قرب حماة، وأن قائد العرب في تلك المعركة كان اسمه جندب عام ٨٥٣ قبل الميلاد، وهذه ليست أقدم إشارة إلى العرب في سوريا فحسب، بل أقدم إشارة إلى مصطلح عرب على وجه العموم.

في سوريا الرومانية، كان اسم العرب يطلق على مجموع القبائل المنتشرة في الصحراء السورية، وشرقًا نحو الصحراء العراقية في المنطقة الممتدة من جنوب البحر الميت المسماة في التوراة

باسم «وادي عربة» وحتى نهر الفرات، حيث كانت تسيير القوافل التجارية عبر الصحراء هو السبب الرئيس لوجودها، وهو ما يشمل تقديم الجمال، والأدلاء، والسلاح، والخفارة العسكرية «التي يستحيل بدونها عبور الصحراء»؛ أما العمل الثاني للعرب، فكان تربية الماشية سيّما الجياد والجمل الوحيد السنام، وفي الواقع من لم يشتغل من العرب في تجارة المسافات الطويلة، اعتمد حكماً على تربية الماشية. وتدل المكتشفات الأثرية في مناطق شرق حوران على سهوب جبل الدروز، في محافظتي درعا والسويداء، أنه حتى القرن الأول للميلاد، كانت القبائل تقصد هاتين المنطقتين لترعى قطعانها فيها، تاركة آثارًا أو تسجيلات على صخور المنطقة؛ أما قبل هذه المرحلة، أي مرحلة اشتغال العرب بالتجارة، فكما يشير سترابون في القرن الأول قبل الميلاد فإن القبائل كانت تعتمد على تربية الجمال، ونهب القوافل.

العمل في التجارة خلق اتصالاً بين العرب وبين الحواضر والمدن السورية الواقعة على هوامش الصحراء، مثل دورا أوربوس، وتدمر، والبتراء، وقد احتفظت هذه الحواضر بعلاقات جيدة مع القبائل الرحّل في المنطقة؛ ويبدو ذلك واضحًا من انتشار آلهة عربية في تدمر وبعض مناطق الفرات، لاسيّما اللات، ونجمة الصبح أي الزهرة أو العزى، وذو الشرى إله سلالة الأنباط؛ كذلك الأمر فقد كُرِّس معبد بصرى الشام لعبادة اللات ومناة وذو الشرى، وقد شبهت اللات العربية، بالإلهة أثنيا الإغريقية، وعشتار السريانية، على أنّ التوفيق بين الآلهة كان شائعًا في سوريا ومعظم مناطق العالم القديم الأخرى.

بعد اندراس وزوال دولة الأنباط عام ١٠٦، استحدث الرومان ولاية عربية عاصمتها بصرى، كبديل عن حكم الأنباط الذاتي، علمًا أن الأنباط ومعظم سكان العربية، استعملوا الأبجدية الآرامية في كتاباتهم. بعد سقوط تدمر عام ٢٧٢ ظهرت في منطقة الصحراء السورية - العراقية، حركات قبلية كبرى أثرت بشكل مباشر على سوريا الرومانية، إذ أعلن عمرو بن عدي تأسيس

"عرب سوريا، هم أكبر مكونات الشعب السوري، كانت سوريا موطنًا للعرب منذ القرن التاسع قبل الميلاد، وقامت على أرضها مجموعة ممالك وإمارات عربية (مملكة تدمر، مملكة حمص، مملكة رها، إمارة أفاميا)، غير أن استعراب غالبية البلاد لم يتم إلا بحلول القرن الحادي عشر، أي حديثًا، فإنه بعد اضمحلال الدولة العثمانية، كان أول كيان قد قام واتخذ اسم المملكة السورية العربية."

إمارة في الحيرة، وإذ ناصر الساسانيين، تأثرت طرق التجارة عبر الصحراء في الإمبراطورية سلبًا. أما خليفته امرؤ القيس فبسط سيطرته على معظم القبائل الرحّل، وليس في الصحراء السورية فحسب، بل حتى في شبه الجزيرة العربية، ودعا نفسه ملك كل العرب، وهو اللقب الذي يظهر للمرة الأولى في التاريخ على شاهدة قبره المكتشفة في النمارة في جبل الدروز ضمن محافظة السويداء الحالية في سوريا. حاول الرومان من جديد كسب قبائل الصحراء السورية لصالحهم، لاسيّما بعد انتشار المسيحية فيما بينهم، وتمكنت الإمبراطورية بالفعل من التعاون مع تنوخ وصالح ومجموعة من القبائل الصغرى والأقل نفوذًا، غير أن أهم قبيلة بكل تأكيد كانت غسّان، إذ أسس الغساسنة منطقة حكم ذاتي شملت الأردن وجنوب سوريا الحالية حتى حدود دمشق؛ وتمكنت عدة شخصيات غربية بارزة في سوريا من استحواذ مراتب شرفية في البلاط الإمبراطوري لدورها كشرطة حماية حدود الإمبراطورية؛ وهذا ما يظهر بشكل

واضح على سبيل المثال من خلال قصر ابن وردان، العسكري والإداري الذي شيّد حامية عام ٥٦٤ على حدود الصحراء إلى الشرق من حماه، لضبط حركة القوافل وحمايتها من قطاع الطرق، فضلاً عن كونه حامية في حال هجم الفرس على الإمبراطورية، وقد ألحِقت بالقصر ثكنة كبيرة وكنيسة ضمت ثلاثة صحون ورواقاً. هذا الدور السياسي والاجتماعي لقبائل العرب في سوريا، لم يمنع بعضها من الاستقرار وترك التنقل لمصلحة العمل في الأرض، فاستقرت على حواف غوطة دمشق وحمص، وكذلك في الجزيرة السورية، بعض القبائل العاملة بالزراعة؛ ومن الواجب التنبيه في هذا الخصوص أنّ التواجد العربي في سوريا الرومانية كان هامشيًا بالنسبة للداخل السوري، وشكّل أقلية أمام الكتلة الرئيسية من السكان الناطقة بالسريانية والعاملة بالزراعة، والمنفتحة على حضارة البحر المتوسط الإغريقية الرومانية، يقول موريس سارتر على سبيل المثال: «**أيًا كانت أهمية العرب في اقتصاد سوريا الزراعي، فإن البلد بقي أولاً بلدًا حضريًا، وبالتالي بلد قرى، أكثر من سبعمئة بلدة، كانت مزدهرة في الكتلة الكلسية الشمالية من أفاميا وحتى أنطاكية وحدها**».

بعد الفتح العربي الإسلامي

خلال الفتح الإسلامي، وإبان حصار دمشق من قبل خالد بن الوليد، فإنّ من أبرم اتفاق تسليم المدينة، اسمه عربي وهو منصور بن سرجون، جد القديس يوحنا الدمشقي، وقد نصّ الاتفاق على «**لا يعرض لهم [لأهل دمشق] إلا بالخير إذا أعطوا الجزية**». بُعيد الفتح استوطنت قبائل عربية أخرى في البلاد، وكانت القبائل المستوطنة تقيم في مضارب لها قرب المدن والمراكز الحضرية ولكن خارجها وأكبر تلك المناطق الجابية، وبحسب ما نقل مؤرخو العرب لاحقًا فإنه من نتائج مؤتمر الجابية الذي ترأسه الخليفة عمر بن الخطاب بعدم السماح للوافدين الاختلاط بالسكان الأصليين عربًا كانوا أم غير عرب، والامتناع عن مخالطة المواطنين «حفاظًا على نقاوة الدم»، كما حظر عليهم اقتناء المزارع أو العمل فيها، فشكلوا طبقة أرستقراطية عسكرية أساسًا. غير أن هذه المقررات لم توضع موضع التنفيذ بشكل حاسم، فإن معاوية بن أبي سفيان على سبيل المثال كانت زوجته عربية سورية - أي من عرب ما قبل الفتح - ومسيحية وهي ميسون بنت بحدل الكلبية، من عرب الجنوب اليمانيين خلافًا لأغلب مستوطني ما بعد الفتح وهم من عرب الشمال الحجازيين. كما كانت نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان بن عفان هي بدورها من عرب سوريا قبل الفتح ومن بني كلب، التي كانت تتنقل في بادية تدمر.

إن هذه الزيجات المختلطة، والتي سرعان ما تحولت إلى زيجات من سكان البلاد، أو علاقات مبنية مع جوارٍ مستوردات من فارس أو القوقاز، أنهى صفاء الدم العربي في سوريا، وكان يزيد بن الوليد أول خليفة ليس من أبوين عربيين، إذ أنّ أمه كانت سبيّة فارسيّة، وهكذا «**انهار الافتخار التقليدي بصفاء النسب**». خلال عصر الدولة العباسية في القرن الحادي عشر، بدأت حركة استعراب بشكل واسع وواضح، أي اندماج الكتلة الكبرى من السوريين في الثقافة العربية، وقد تمثّل ذلك بشكل أساسي في استعمال العربية كلغة تخاطبٍ يومي في الريف على وجه الخصوص، بعد تطعيمها باللهجة السورية. يقول الباحث «فيليب حتّي» إن استعراب سوريا بدأ في القرن التاسع، غير أنه مكث حركة ضعيفة ونظر إلى «العرب الجدد» بعين من الريبة، واستمرّ الوضع على ما هو عليه حتى القرن الثالث عشر، فإن الغزوات المغولية قد «خلطت الشعب بعضه ببعضه»، فأخذ الخط الفاصل بين العرب وغير العرب، وبين العرب القدماء والعرب المستجدّين في الاضمحلال، وسرعان ما غدا الجميع عربًا بلا تمييز؛ وفي عهد المماليك دُعي جميع السكان «**أولاد العرب**» في حين دُعيت القبائل وسكان البوادي «**الأعراب**».

أما فيما يخصّ القبائل المستقرة وشبه المستقرة الموجودة في بادية الشام وغيرها من المناطق

السورية حاليًا، فإن استقرارها فيها حديث نسبيًا. فمثلاً قبيلة عنزة لم تستقر قبل النصف الثاني من القرن السابع عشر، بعيد استقرار قبيلة شمر، القادمين من نجد.

الكرد في شمال شرق سوريا – تاريخياً:

يمتد تاريخ الكرد في سوريا الحالية إلى ما قبل التاريخ حيث الكرد هناك كانوا جزءاً من السوباريين الذين كانوا يعرفون بالهورو Huru أو الخوريين، والعالم هورست كلينكل يقول إن الهوريين بدؤوا بالظهور في سوريا منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، واستطاعوا تسلّم القيادة السياسية في عدد من الحواضر السورية.

وبحسب بعض المصادر أيضاً فإن مواطن الهوريين كانت تمتدّ غرباً لغاية جبال أمانوس على الساحل الشمالي الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. استمر الخوريون حتى القرن السابع عشر قبل الميلاد والذين انفصلوا عن الشرق ليستقطبوا أقواماً آريّة كردية أخرى ليشكلوا مملكة ميتاني، والذين برزوا بشكل كبير في القرن السادس عشر قبل الميلاد. لكن تحول الحكم من الأكراد الخوريين في كردستان سوريا إلى حكم الآشوريين عام ٧٣٢ ق.م. ولكن هذا لم يستمر طويلاً حيث عاد الأكراد الميديون كقوة كبرى في شرقي كردستان خلال القرن السابع قبل الميلاد، فقد تمكنوا من القضاء نهائياً على الآشوريين عام ٦١٢ ق. م ثم تقاسموا مع حلفائهم البابليين بلادهم التي كان الآشوريون يسيطرون عليها.

فنال البابليون كلاً من جنوب بلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين حيث تشكلت الإمبراطورية البابلية الثانية.

أما الميديون فقد استردوا شمال ما بين النهرين وباقي كردستان بكاملها بما فيها مناطق الهوريين والميتانيين، إضافة إلى بلاد فارس وكبادوكية مناطق الحثيين في أواسط الأناضول، حيث تشكلت إمبراطورية ميديا الكبرى. ومع مرور الزمن تم في هذه الإمبراطورية اختلاط

"في سوريا الرومانية، كان اسم العرب يطلق على مجموع القبائل المنتشرة في الصحراء السورية، وشرقا نحو الصحراء العراقية في المنطقة الممتدة من جنوب البحر الميت المسماة في التوراة باسم "وادي عربة" وحتى نهر الفرات، حيث كانت تسيير القوافل التجارية عبر الصحراء هو السبب الرئيس لوجودها، وهو ما يشمل تقديم الجمال، والأدلاء، والسلاح، والخفارة العسكرية التي يستحيل بدونها عبور الصحراء"

كافة الفئات الكردية فيما بينها بشكل عام بما فيها الهوريون والميتانيون.

على أن خط الحدود التي رسماها بين إمبراطوريتيهما منذ ذلك الزمن، يؤكد ما كانت عليه مواطن الهوريين والميتانيين أي شمال سوريا الحالية والجزيرة العليا مناطق أساسية من كردستان، إذ كان خط الحدود بين الإمبراطوريتين بعد انحرافه غرباً واختراقه نهر دجلة إلى الشمال من مدينة - أكاد - كان يتجه شمالاً في قوس كبير إلى الغرب من آشور و الموصل تاركاً إياهما ضمن كردستان ثم ينحني غرباً باتجاه شمال سوريا الحالية ليجتاز نهر الخابور ويمر من جنوب جبل عبد العزيز، ويجتاز نهر الفرات ويمر بجنوب جبل الأكراد ليصل إلى الساحل الشمالي الشرقي للبحر الأبيض المتوسط.

كما أن الآثار التي اكتشفت حديثاً في شمال شرق سوريا وبالتحديد في إقليم الجزيرة، تعود للمملكة الهورية الميتانية القديمة والتي لها دلالاتها البينة على أن هذه المحافظة بأرضها

وسكانها هي كردية.

ذكرت منذ أقدم العصور المدن الكردستانية في سوريا. فقد جاء في كتاب «إيبلا = إبلا ص «٣١ أن بعثة أثرية بريطانية برئاسة ماكسويل مالاوان حققت في تل شاغر بازار الواقع جنوب القامشلي، حيث عثر فيه على أثريات هامة يتراوح تاريخها بين عصور ما قبل التاريخ والألف الثاني قبل الميلاد.

تل براك: شمال الحسكة، حققت نتائج باهرة حيث أزاحت الستار عن معبد يرقى تاريخه إلى مطلع الألف الثالث قبل الميلاد. واكتشف إثر ذلك مدينة ميتانية والقصر الملكي فيها وكذلك الكثير من رُقم ملوكها. ثم قامت بعثة أثرية ألمانية برئاسة أنطوان مورتان بين عامي (١٩٥٥-١٩٥٦) بمواصلة التحريات في موقع تل الفخيرية شمال سوريا، في أعالي نهر الخابور حيث سبق لهذه البعثة أن اكتشفت آثار مدينة يعود تاريخها إلى العهد الهوري الميتاني في الألف الثاني قبل الميلاد. وحديثاً اكتُشف فيها آثار أخرى تؤكد افتراض المنقّبين السابق بأن عاصمة الميتانيين المعروفة باسم واشوكاني تقع في ثنايا هذا التل.

تل موزان: قرب بلدة عامودا الذي اكتشف فيه جورجيو بوتشيلاتي قصر الملك توبكيش الهوري - وسبق الحديث عنه - ومن الآثار الهورية الرائعة هو ضريح النبي هورو الذي لايزال قائماً منذ ذلك الزمن القديم سليماً حتى اليوم في جبل الأكراد شمال غربي حلب. ولا شك في أن ما كان عليه هذا النبي من مكانة مقدسة بين الهوريين قد جعل اسمه يتمثل في اسم الهوريين أنفسهم. وهكذا نرى في ذلك كله ما يثبت بشكل قاطع استيطان الأكراد في شمال سوريا منذ أقدم العصور، وينفي نفياً قاطعاً ادعاء الدكتور ذكار سهيل من أن الأكراد لم يستقروا في الجزيرة قط.

حدثت الهجرات العربية إلى كردستان مع الهجمات السامية المتمثلة بالآراميين الساميين والآشوريين، هذا قبل الإسلام، أما بعد دخول البلاد الإسلام وبالتحديد في عهد الخليفة المنصور (٧٥٤-٧٧٥م) الذي كلف يزيد بن أسيد بالتوجه إلى حران الواقعة بين تل أبيض جنوباً وأورفا شمالاً لتحريرها من البيزنطيين، وبعد أن نجح في مهمته فإنه نظمها وأقام فيها. وفي هذه الفترة كانت هذه المنطقة من كردستان هدفاً لنزوح بعض القبائل العربية إليها والاستقرار فيها كالقبائل اليمنية وبني قيس والنزارية، فكانت تلك هي المرة الثانية بعد الآراميين لتغلغل العناصر العربية إلى هذه المناطق الكردية، والتي أصبحت فيما بعد على طرَفي الحدود بين تركيا وسوريا. ومنذ القرن العاشر الميلادي وبعد اضمحلال الدولة العباسية وضعف البيزنطيين في الغرب، وكذلك انقسام الدولة السلجوقية التركية إلى دويلات أتابكية والصراع بينها وبروز بعض الإمارات الكردية، تمثّل دورها على مسرح التاريخ والشرق الإسلامي كان قد أصبح هدفاً سهلاً للصليبيين من الغرب، ثم لقمة سائغة للمغول من الشرق، ولما كان للأكراد الدور الرئيسي في الحروب الصليبية والانتصار فيها، فمن المعروف أن الدعم الكردي للزعيم صلاح الدين الأيوبي كان يأتيه من جميع أنحاء كردستان وتصله عبر تجمعه في الموصل وجزيرة بوتان وديار بكر، وهذا ما يؤكد ثانية على كردية الجزيرة في سوريا الحالية.

أما بعد الحروب المذهبية بين الإيرانيين والعثمانيين على أرض كردستان ثم احتلال العثمانيين للبلاد العربية منذ عام ١٥١٦م والذين تقاسموا كردستان مع الإيرانيين، فكان هناك كردستان الإيرانية وكردستان العثمانية التي من ضمنها كردستان سوريا، التي عرّفها العثمانيون باسم ولاية حلب العثمانية. كما أنّ تلك الإمارات الكردية السابقة الذكر قد أصبحت منذ عام ١٧٤٧م تحت حكم الدولتين المباشر.

إن ما عاناه الأكراد من الفرس بين العهد المكدوني وأخيراً من العثمانيين، ما لبث أن أصبح حافزاً قوياً أثار المشاعر ضد كل ما هو مجحف بحقهم كأمة لها كيانها، خاصة لما كانت عليه العصور الحديثة آنذاك من خصائص الروح القومية بين

الشعوب. فكان أن حدث انعطافهم التاريخي نحو المصلحة القومية الكردية، الأمر الذي أدى مجدداً إلى بروز إمارات كردية حديثة ثارت ضد العثمانيين المحتلين، الذين نجحوا في القضاء عليها تباعاً. وقد اخترنا من هذه الإمارات في كردستان ما كانت مناطق كل منها تشمل أجزاء من شمال سوريا الحالية أبان احتلال العثمانيين للبلاد العربية، وعدم وجود أية حدود سابقة، وعلى الرغم من فشل هذه الثورات فإن الباب العالي كان يبقي على علاقته بتلك القاعدة الاجتماعية الكردية التي كان بوسعه الاعتماد عليها في حروبه، وكم من مرة نال البعض من زعماء هذه الثورات العفو السلطاني العثماني.

إن أولى هذه الثورات كانت في إمارة جان بولات = جنبلاط ١٦٠٧م وكان مركزها كلّس التي كانت تشمل جبال الأكراد إلى الغرب منها، وكذلك منطقة حلب إلى الجنوب الشرقي منها أيضاً، وبعد أن قتل العثمانيون أميرها الأمير حسين الذي كان يتولى شؤون الإمارة من حلب، لأنه لم يلتحق ورجاله بالسلطان العثماني في إحدى حروبه، فما كان من أخيه الأمير علي إلا أن أعلن الثورة من حلب ولكن العثمانيين قضوا عليها.

كما أن إمارة بدرخان باشا بين الأعوام (١٨١٢-١٨٤٨ م) كان مركزها جزيرة بن عمر = بوتان الواقعة في تركيا الحالية قرب الحدود السورية في أقصى الشمال الشرقي منها.

أما إمارة إبراهيم باشا المللي فكان مركزها ويران شهر الواقعة إلى الشمال من بلدة رأس العين، وكانت تمتد إلى الجنوب من رأس العين لمسافة تزيد عن ٥٠ كم داخل شمال سوريا الحالية أيضاً، وقد ثارت هذه الإمارة بعد أن اتحد الأكراد والقبائل العربية التي كانت تستقر في هذه المنطقة منذ أيام العباسيين. إلا أن العثمانيين ضيقوا الخناق على إبراهيم باشا في جبل العزيز وقبضت عليه وأعدمته عام (١٩٠٨ م) ويقول البعض من أبناء المنطقة والعارفين بأحوالها إن إبراهيم باشا دفن في قرية صفيا الحالية شمال مدينة الحسكة.

"كانت أولى الثورات في إمارة جان بولات = جنبلاط ١٦٠٧م وكان مركزها كلّس التي كانت تشمل جبال الأكراد ومنطقة حلب، وبعد أن قتل العثمانيون أميرها الأمير حسين الذي كان يتولى شؤون الإمارة من حلب، لأنه لم يلتحق ورجاله بالسلطان العثماني في إحدى حروبه، فما كان من أخيه الأمير علي إلا أن أعلن الثورة من حلب ولكن العثمانيين قضوا عليها"

وعلى ذلك فان المناطق الكردية من هذه الإمارات في شمال سوريا الحالية تثبت أيضاً قِدم استقرار الأكراد فيها، ومدى ما كان بين هؤلاء الأكراد ـ أصحاب الأرض الأصليين ـ وبين العرب والآشوريين من علاقات وطيدة.

أما منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وما حدث للأكراد من مآسٍ بعد قضاء الأتراك على ثوراتهم الآنفة الذكر وغيرها، فإن مناطق هؤلاء الأكراد في شمال سوريا وبالأخص منطقة الجزيرة، قد أصبحت مرة أخرى عرضة لتواجد بعض القبائل العربية فيها بدءاً بقليل من الأعراب الشوايا الذين تبعثروا على ضفاف الخابور جنوب الحسكة. وعن هذه الفترة فان السيد عبد الحميد درويش وهو من أبناء المنطقة والعارف بأحوال الجزيرة يقول في كُتيبه (لمحة تاريخية عن أكراد الجزيرة): «كانت الجزيرة في أوائل هذا القرن يسكنها عدد قليل من السكان قُدّر آنذاك بحوالي أربعين ألف نسمة، وكانوا ينتمون إلى العنصر الكردي والعربي وقليل من اليعاقبة. وكانت العشائر العربية في

> **”قرب بلدة عامودا الذي اكتشف فيه جورجيو بوتشيلاتي قصر الملك توبكيش الهوري هو من الآثار الهورية الرائعة، فهو ضريح النبي هورو الذي لايزال قائماً منذ ذلك الزمن القديم سليماً حتى اليوم في جبل الأكراد شمال غربي حلب. ولا شك في أن ما كان عليه هذا النبي من مكانة مقدسة بين الهوريين قد جعل اسمه يتمثل في اسم الهوريين أنفسهم.“**

حالة البداوة وهي الطيّ، وكانت تسكن جنوب القامشلي والجبور وحول الحسكة ثم البكارة في منطقة جبل عبد العزيز، والشرابيين في منطقة رأس العين، وعدد قليل من عشيرة شمّر التي كانت في غالبيتها الساحقة في العراق. أما الأكراد فكانوا نصف حضر يسكنون إلى الشمال من هؤلاء العرب وفي الجزيرة العليا جنوب سلسة جبل طوروس في العديد من القرى، وهم ينتمون لعدد من العشائر الكردية». وينقل عن السيد محمد علي إبراهيم باشا في مخطوطته المعدّة للطبع تعداده للعشائر الكردية الموجودة في الجزيرة عندما قامت عشيرة شمّر عام (١٩٠٤) بحملة واسعة ضد عشيرة الملية الكردية التي كانت تنافسها على النفوذ في منطقة الجزيرة، وأن العشائر الكردية في الجزيرة آنذاك كانت ميران - سنان - آشيتية - عباسيان - آليان - دقورية- ملاني خضر – كيكية، وهذا منقول عن شهادات العشرات من المعمّرين عرباً وكرداً وعن العديد من المؤرخين والوثائق المكتوبة، ما يثبت وجود العشائر الكردية المذكورة في هذه المنطقة منذ أمد بعيد، على عكس ادعاءات الدكتور رزكار من أنهم قدموا إليها بعد ثورة الشيخ سعيد عام ١٩٢٥م أما بعد خروج العثمانيين من البلاد العربية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) واحتلال الفرنسيين والإنكليز لها واقتسامها بينها، بموجب اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦، فإن هذه الاتفاقية الاستعمارية قد اشتملت على تقسيم كردستان العثمانية أيضاً، بحيث قُسِّمت بين تركيا وكل من العراق وسوريا اللتين أنشِئتا حديثاً، وبقي القسم الشرقي من كردستان تحت الحكم الإيراني، فكان أن حُرم الأكراد من الانتفاع بمبدأ تقرير المصير للشعوب الواقعة تحت السيطرة العثمانية الذي أعلن رسمياً آنذاك، الأمر الذي أصيب معه الأكراد بأكبر نكسة عرفها تاريخهم الحديث.

ما إن تم رسم الحدود بين تركيا وسوريا فإن الخط الحديدي الذي أنشئ بينهما قد قسّم تلك العشائر الكردية والعربية إلى قسمين، قسم بقي ضمن حدود الدولة التركية والقسم الآخر أصبح تابعاً للدولة السورية.

وعن العشائر الكردية التي أصبحت إلى الجنوب من هذه الحدود، ينقل السيد عبد الحميد درويش في كتابه عن الأستاذ أحمد مصطفى زكريا، بتعرّضه لهذه العشائر في كتابه (عشائر الشام ١٩١٧) حيث يقول إن السواد الأعظم من عشائر الأكراد يقطن محافظة الجزيرة، وتمتدّ من أقصى شمالها الشرقي في قضاء ديريك قرب نهر دجلة ويتجه نحو الغرب إلى قضاء القامشلي ثم إلى ناحية رأس العين (ص٦٥٨) ثم يعدد هذه العشائر من الشرق إلى الغرب كما يلي:

ميران- الحسنان- هاوركية- آليان- آشيتية -أطراف شهر- بوبلان- الموسينية- بينارعلي- ملاني خضر- دقورية- الكابارة- الكيكية- الملية ص٦٥٩-٦٦٤

وما إن استقرت الأحوال في سوريا بعد الاستقلال، حتى بدأت الأوساط الشوفينية منذ أوائل الخمسينات تدعو المسؤولين من أجل القيام

بتطبيق سياسة التمييز القومي حيال الأكراد، بهدف القضاء على تطلعاتهم القومية، وذلك عبر إجراءات استثنائية من شأنها العمل على هجرة الأكراد من الجزيرة وصهرهم في المجتمع العربي، وكان على رأس هؤلاء – محمد طلب هلال - ضابط الأمن السابق في الحسكة الذي جاهر علانية عام ١٩٦٢ بكل ما يتعلق بهذه الإجراءات العنصرية وتم الأخذ بها، فكان أن بدأ بتطبيقها في محافظة الجزيرة حيث تم أولاً تنفيذ مشروع الإحصاء الاستثنائي بتاريخ ٥-١٠-١٩٦٢ الذي أدى إلى تجريد ١٥٠ ألف مواطن كردي في محافظة الجزيرة من جنسيتهم السورية، واعتبروا لاجئين بعد أن حُرموا من حقوقهم المدنية، وبعد سنوات تم تنفيذ المشروع الاستثنائي الآخر الذي سمي بالحزام العربي، حيث جرى بموجبه مصادرة الأراضي التي كان يستقر فيها آلاف العائلات الفلاحية الكردية، ويستثمرونها أباً عن جدّ وتوزيعها على العائلات العربية التي جُلبت من الناطق التي غمرتها مياه سد الفرات، ومن مناطق داخلية أخرى وإسكانها في قرى أنشئت لهم على طول الشريط الشمالي للجزيرة والمتاخم للحدود التركية، فكان أن تم ما هدفت إليه الأوساط الشوفينية والفصل بين أكراد سوريا وتركيا على طرَفي الحدود. هذه الإجراءات الاستثنائية وسياسة التمييز العنصري كان لها فاعليتها وتأثيراتها اللاإنسانية المباشرة، على كافة الأكراد في الجزيرة دون غيرها من القوميات الأخرى، سواء من الناحية الاقتصادية وأقلها ندرة العمل الزراعي وفرص العمل الأخرى، أو الاجتماعية من حيث الفقر والحاجة والتخلف أو الثقافية وحرمان الكثيرين من الأكراد من الارتقاء بمستواهم الثقافي عبر المراكز الثقافية والمعاهد العليا أو السياسية، ومنع الأكراد من مزاولة حقوقهم الثقافية الكردية وممارسة فلكلورهم الشعبي، علاوة على معاناة المجرّدين من الجنسية وحرمانهم من الحقوق المدنية، الأمر الذي جعلهم محرومين من اللحاق بركب الحضارة البشرية المتطورة. ومما زاد في هذه المعاناة عندما استقدمت الدولة آلاف الموظفين العرب، الذين شغلوا الوظائف في مختلف دوائر الدولة ومؤسساتها ومدارسها ومعاهدها الثقافية، وقدمت لهم ولعائلاتهم التسهيلات اللازمة للسكن في الجزيرة، في الوقت الذي مُنع فيه العنصر الكردي من شغل هذه الوظائف، حتى إنه مُنع من نقل مسكنه من مكان لآخر ضمن حدود المحافظة الإدارية، وإذا ما أراد بناء دار أو ترميمه أو شراء مسكن أو أراضٍ زراعية أو آلية، فقد وجب عليه مراجعة الجهات الأمنية بخصوص ذلك.

أما أسلوب التعريب فقد شمل أسماء القرى والبلدات المعروفة بأسمائها الكردية منذ القديم، واستبدلت بأسماء عربية تبعاً لما سبق لتركيا وقامت به في كردستان الشمال حتى جبل الأكراد منطقة عفرين، التابع لمحافظة حلب والمعروف بهذا الاسم منذ القديم، قد استبدل باسم جبل حلب.

التركمان في شمال شرق سوريا – تاريخياً:

تركمان سوريا أو تركمان سوريون، هم مواطنون سوريون من أصل تركي، أقاموا في محافظات سورية في عهد الإمبراطورية السلجوقية والدولة الأتابكية الزنكية والمملوكية والإمبراطورية العثمانية، وظلوا فيها حتى الاستقلال وتأسيس دولة سوريا المعاصرة. والتركمان هم رابع أكبر مجموعة عرقية في سورية بعد العرب والكرد والأرمن، كان لهم وجود واضح في شمال شرق سوريا من القِدم وإلى يومنا هذا، يتواجدون في يومنا هذا بكثرة في ريف الحسكة وفي مدينة منبج، وفي ريف حلب وصولاً لجبل الأكراد في ريف إدلب.

ويُعتقد أن الأقلية التركمانية في سوريا، تشكل امتداداً للأقلية التركمانية في العراق، وهي لا تختلف عنها كثيراً من حيث اللهجة والتشكيلات القبلية، مع أنه من الصعب القول بوجود روابط وصلات بين التركمان عبر الحدود السورية العراقية، حيث يرِد أن قدومهم إلى المنطقة يسبق العثمانيين بقرون عديدة، ويعود بالضبط إلى أواخر القرن السابع الميلادي، عندما اندفعت القبائل التركمانية من موطنها في

” استقدمت دولة البعث في سوريا آلاف الموظفين العرب من خارج المحافظة، الذين شغلوا الوظائف في مختلف دوائر الدولة ومؤسساتها ومدارسها، وقدمت لهم ولعائلاتهم التسهيلات اللازمة للسكن في الجزيرة، بالمقابل مُنع العنصر الكردي من شغل هذه الوظائف، ومُنع من نقل مسكنه من مكان لآخر ضمن حدود المحافظة الإدارية، وإذا ما أراد بناء دار أو ترميمه أو شراء مسكن أو أراض زراعية أو آلية، فقد وجب عليه مراجعة الجهات الأمنية “

وسط آسيا غرباً.

إن المصادر التاريخية تُرجِع زمن هجرة التركمان إلى شرق المتوسط إلى أواخر القرن السابع الميلادي، حيث اندفعت القبائل التركمانية من موطنها في وسط آسيا غرباً باتجاه شرق المتوسط، وأخذت تستقر في العديد من المناطق، بينما استقر قسم منها في إيران، وقسم آخر في العراق ومناطق من بلاد الشام أقصى الشمال، ليستقروا فيما بعد في المناطق ذات التماس بين الدولة العربية ـ الإسلامية والدولة البيزنطية، وأماكن الثغور من العراق شمالاً وحتى شمال آسيا الصغرى.

إن أغلب الإسكان الذي تم شمال سوريا وغربها كان من داخل سوريا، فمعظم عشائر التركمان نُقلت من أماكن ومواقع سورية أخرى، أي إن العشائر التركمانية سوريّة قديمة أقدم من دخول العثمانيين إلى سوريا بمئات السنين منذ بدايات القرن الثالث عشر، ولم تأتِ مع العثمانيين في القرن السادس عشر، ولم يأتِ بها العثمانيون من الأناضول كما يظن البعض خطأً، فهناك بعض العشائر التركمانية التي أتى بها العثمانيون لكن أغلب هذا البعض هرب أيام الحكم العثماني وعاد إلى حيث أتى.

النزوح إلى بلاد الشام:

ورد أول نزوح للقبائل التركمانية إلى بلاد الشام ونزولهم في دمشق وأطرافها، في كتاب معجم البلدان للبلاذري، في الصفحة ٢٢٨ الجزء الخامس حيث قال:

“ فنزلت القوافل بدمشق وهي لقوم من التركمان يقال لهم بنوا المراق، كانوا يسكنون دمشق سنة ١٠٥ للهجرة الشريفة، الموافق سنة ٧٢٣ للميلاد.”

وردت في كتاب البرق الشامي، للقاضي الإمام عماد الدين الأصفهاني، ٣٦٢ إشارة إلى أوضاع التركمان وبطولاتهم وفتوحاتهم وجهادهم ورباطهم لثغور بلاد الشام، في حلب وحماة واعزاز واللاذقية ودمشق، وأحوال قبائلهم وجيوشهم وأمرائهم أمثال الأمير ياروق، الذي بنى محلة الياروقية الكبيرة في مدينة حلب وشمالها، حيث نزل فيها مع عسكره ورجاله وعمّر فيها دوراً ومساكن، ومات ياروق هذا في سنة ٥٦٤ للهجرة، الموافق لسنة ١١٦٨ للميلاد.

وكان من أمراء السلاطين التركمان شجرة الدرّ وعلاء الدين أيبك التركماني وقطز والظاهر بيبرس ونور الدين زنكي. أما الرحّالة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ثم الطبخي المعروف بابن بطوطة، **فيذكر في الجزء ١ الصفحة ٩٩ من كتابه رحلة ابن بطوطة:**

“ ثم سافرت إلى الجبل الأقرع وهو أعلى جبل بالشام وأول ما يظهر منها إلى البحر وسكانه التركمان، وفيه العيون والأنهار. ”

صاحب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية الجزء الأول صفحة ١٥٩، يذكر المعلومات الاتية:

" ومن صائب رأي الشهيد آتابك الزنكي وجيده أنه سير طائفة من التركمان الإيوانية مع الأمير الياروق إلى الشام، وأسكنهم بولاية حلب وأمرهم بجهاد الفرنج وملّكهم كل ما استنقذوه حرروه من البلاد التي للفرنج، وجعله ملكاً لهم، فكانوا يغادون الفرنج بالقتال ويراوصونهم وأخذوا كثيراً من السواد، وسدّوا ذلك الثغر العظيم ولم يزل جميع ما فتحوه في أيديهم إلى نحو سنة ٦٠٠ للهجرة، الموافق لسنة ١٢٠٣ للميلاد. "

وفي الصفحة ٢٤٣ من نفس الجزء يستطرد مؤلف الروضتين ويقول:

ثم جمع القائد أسد الدين إليه العدد الكثير من شجعان التركمان وقاتلوا المشركين ووصلوا إلى بعلبكّ في العسكر من مقدمي التركمان وأبطالهم للجهاد، وهم في العدد الكثير والحجم الغفير واجتمعوا بنور الدين وتقررت الحال على قصد بلاد المشركين لتدويخها والابتداء بالنزول على بانياس، وقدم نور الدين دمشق لإخراج آلات الحرب وتجهيزها... وعن **أحداث سنة ٨٢٤ للهجرة، الموافق لسنة ١٤٢١ للميلاد يقول مؤلف شذرات الذهب في الجزء ٤ الصفحة ١٦٤:**

" كان جقمَق من أبناء التركمان أصبح دويداراً ثانياً (أي وزير) عند الملك المؤيد قبل سلطنته، وكان يتكلم العربية.

لا يشكّ فيه جالسه أنه من أولاد الأمراء، ثم استقر دويداراً كبيراً إلى أن قرّره (عيّنه) الملك المؤيد في نيابة الشام، فبنى السوق المعروف بسوق (جقمَق) وأوقفه على المدرسة التي بناها قرب الأموي."

يفصّل كتاب وفيات الأعيان في جزئه السادس، الصفحة ١١٧ أخبار ياروق التركماني فيقول:

" هو ياروق بن آرسلان التركماني، كان مقداماً جليل القدر في قومه وإليه تنسب الطائفة الياروقية من التركمان وكان عظيم الخلقة هائل المنظر، سكن بظاهر حلب من جهتها القبلية وبنى شاطىء (قويق) فوق تل مرتفع، وبنى هو وأهله وأتباعه أبنية كثيرة مرتفعة وعمائر متسعة عرفت باليا روقية وهي شبه القرية، وسكنها هو ومن معه وبنى سوق الياروقية وتوفي في محرم سنة ٥٦٤ للهجرة، الموافق لسنة ١١٦٨ للميلاد. وقويق نهر صغير بظاهر حلب يجري في الشتاء والربيع وينقطع في الصيف."

وفي الكتاب الموسوعي الصادر حديثاً في باريس بعنوان «دمشق لؤلؤة الشرق وملكته»، من تأليف جيرار دوجرج. جاء ما يلي:

" وفي زمن تضعضع السلطة العباسية، ارتبطت دمشق بالدولة الطولونية قبل أن تخضع للخلافة الفاطمية، ...وبعد الفاطميين، بسط السلاجقة سلطتهم على دمشق التي حكمها

" بعد الحروب المذهبية بين الإيرانيين والعثمانيين على أرض كردستان ثم احتلال العثمانيين للبلاد العربية منذ عام ١٥١٦م والذين تقاسموا كردستان مع الإيرانيين، فكان هناك كردستان الإيرانية وكردستان العثمانية التي من ضمنها كردستان سوريا، التي عرفها العثمانيون باسم ولاية حلّب العثمانية. كما أن تلك الإمارات الكردية السابقة الذكر قد أصبحت منذ عام ١٧٤٧م تحت حكم الدولتين المباشر. "

بعض الأتابكة في شكل شبه مستقل. قاوم معين الدين أنر الفرنجة وصدّ الحصار الذي فرضته قواتهم، وجاء من بعده نور الدين محمود الزنكي، فوحّد المشرق. وتابعه من بعده صلاح الدين الأيوبي وحرر القدس، فبعد وفاة صلاح الدين فيها عام ١١٩٣ للميلاد الموافق لسنة ٥٨٨ للهجرة، تصدعت الدولة الأيوبية، وأصيبت دمشق بالبلاء العظيم قبل أن تسقط في أيدي المغول.وقد تصدّ للمغول قادة مماليك التركمان كل من قطز وظاهر بيبرس في معركة عين جالوت، وهُزم الجيش المغولي على يد جيش المماليك."

التركمان في شمال شرق سوريا خلال العصر العثماني:

استمر المماليك في الحكم إلى أن جاء الفتح العثماني للمنطقة في معركة مرج دابق شمال حلب عام ١٦١٥ ميلادية بقيادة ياوز سليم الأول. وفي ظل الحكم العثماني وسياسة الإسكان التي أعقبت عصر تأسيس الإمبراطورية العثمانية وعصور التوسع والانتشار، لم يكونوا موضوع بحث ودراسة، مع أن الإمبراطورية العثمانية كانت عرضة لتغيرات كثيرة في كافة المجالات، محكومة في ذلك بظروف كل عصر، وهكذا برزت سياسة الإسكان كنتيجة فرضتها الظروف، فمن أهم التغيرات التي طرأت على الإمبراطورية العثمانية الاضطرابات الاجتماعية التي هدمت القرى وشتّتت الفلاحين الذين يشكلون القاعدة الأساسية للبنية الداخلية للمجتمع، وكان أهم ما يهم الدولة العثمانية المعتمدة أساساً في اقتصادها على الزراعة، الرسوم التي تجنيها من الفلاحين؛ القاعدة الأساسية للمجتمع، لكن هؤلاء الفلاحين الذين ما عادوا قادرين على الزراعة نتيجة تخريب أراضيهم خرجوا من دائرة المنتجين دافعي الرسوم، وأمام هذا الخطر وجدت الحكومة نفسها وجهاً لوجه أمام مسألة إسكان داخلي، وكانت إحدى التدابير المتخذة لإعادة إعمار القرى هي المباشرة بتوزيع القرى وذلك بإعطاء القرية لمن يطلب تعهّدها شريطة أن يجلب سكاناً من خارج المنطقة، لاستيطانها وإعمارها واستصلاحها وإعادة استثمارها زراعياً، كما نلاحظ إن سياسة الإسكان العثمانية في القرن السابع عشر كانت تهدف إلى إعادة تعمير البنية الداخلية.

وقد اندمج التركمان في الحياة العامة للدولة العربية ـ الإسلامية بعد اعتناقهم الإسلام ديناً لهم، وانخرط عدد كبير منهم في جيش الدولة، وهو الأمر الذي مهّد لهم فيما بعد؛ وخاصة في العهد العباسي، لأن يلعبوا دوراً مهمّاً في بعض المراحل السياسية. كما تبوّأت شخصيات منهم مناصب رفيعة في الدولة، وبرز منهم كثير في قائمة النخبة العليا في تاريخ المجتمع العربي ـ الإسلامي، حيث شارك التركمان في الدفاع عن بلاد الشام أثناء الحروب الصليبية دفاعاً مميتاً حتى وُصفت تلك الحروب بحروب الفرنج والتركمان، وهم المعروفون بفروسيتهم وشجاعتهم، بدأ بحكم السلاجقة والأتابيكية الزنكية والمملوكية التركمانية والمملوكية الجركسية، حيث كان بين قادة جيوش صلاح الدين الأيوبي، قائد تركماني بارز هو مظفر الدين كوجك (كوكبورو) أحد قادة صلاح الدين وزوج شقيقته، وهو أمير دولة الأتابكة في هولير، حيث شهد المعركة الكبرى في حطين، وقد انضم إلى جيش صلاح الدين فيما بعد القائد التركماني يوسف زين الدين وهو أمير أتابكة الموصل في شمال العراق، والظاهر بيبرس القائد التركماني هو آخر من حرر القدس من الفرنج.

وللتركمان مآثر كبيرة في تحرير مدينة اعزاز التي كانت محتلة من قبل الفرنج. يقول مؤلف كتاب الروضتين، سبق الإشارة إليه، في الجزء الأول الصفحة ٢٤٣:

«ومعظم هؤلاء التركمان امتهنوا الرعي في فترات سابقة، لكنهم استقروا وأخذوا يمارسون الزراعة نتيجة سياسة الإسكان الممارَسة في عهد الحكم العثماني، إن أبرز ما يميّز التركمان هو علاقاتهم مع المجتمعات التي عاشوا فيها، حيث إنهم احتفظوا بعلاقاتهم مع تلك المجتمعات بعد سقوط الدولة العثمانية، وخروج الأتراك العثمانيين من البلاد العربية عقب الحرب العالمية

الأولى (١٩١٤-١٩١٨) حيث استمر وجودهم في مجتمعاتهم، مؤكدين حقيقة الانتماء إلى الكيانات الوطنية التي ظهرت في المنطقة.... فقد لعب التركمان من أبناء قرى حلب بقيادة نويران أوغوز، وتركان بولاد دشو دوراً مشرّفاً في سبيل الاستقلال الوطني من الانتداب الفرنسي، ولهم مآثر مشهورة لدى أهالي منبج لدى وقيعة شيخ يحيى، إلا أنه لم يتم تدوينه في ظل الأنظمة القومية العربية بغية إنكار الوجود التركماني في المنطقة، وكما هو الحال في الجولان لهم دور معروف في المقاومة الشعبية التي ظهرت في الجولان أثناء حرب ١٩٦٧. عما كانوا أيام الحروب الصليبية، أي أن التركمان أصبحوا ينظرون إلى الدول التي يقيمون بها باعتبارها أوطاناً لهم وأنهم مواطنون فيها».

الإيزيديون في شمال شرق سوريا – تاريخياً:

تعود الديانة الإيزيديّة إلى عصور ما قبل الإسلام خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، استقروا في جبل سنجار في شمال شرق سوريا والعراق. وتشتت معظمهم في تركيا وأرمينيا وسوريا والعراق، إلا أن العراق هو مركز حياتهم الدينية وموطن أميرهم، وقبر أكثر قديسيهم الموقرين، الشيخ عُدي. ويستقر معظم الإيزيديين في المناطق شبه البدوية وليس لديهم رؤساء كبار، ويتحدثون اللهجة الكرمانجية.

الإيزيديون شعب قديم قدم التاريخ، كما أنهم من سكان سوريا الأصليين، ولازموها منذ فجر تاريخها، ويعود تاريخ الإيزيديين حسب كل الأبحاث التاريخية دون تفريق وحسب التنقيبات المحايدة التي أجريت من قبل الباحثين، إلى أجدادهم الأوائل مثل السومريين والهوريين والحثيين، وقبل هؤلاء إلى الذين كانوا موجودين في منطقة ميزوبوتاميا (بلاد مابين النهرين) قبل ظهور السومريين هناك بهذا الاسم، وكانوا يسمون بأسماء متنوعة ومتفرقة كما ذكرت قبل قليل، ولكن بعقيدة واحدة، وأنشؤوا ممالك المدن ومن ثم ممالك حقيقية ودولاً مثل دولة الحثيين التي امتدت حتى مصر، وكانت عاصمتها (آش

”ترجع المصادر التاريخية زمن هجرة التركمان إلى شرق المتوسط إلى أواخر القرن السابع الميلادي، حيث اندفعت القبائل التركمانية من موطنها في وسط آسيا غرباً باتجاه شرق المتوسط، وأخذت تستقر في العديد من المناطق، بينما استقر قسم منها في إيران، وقسم آخر في العراق ومناطق من بلاد الشام أقصى الشمال، ليستقروا فيما بعد في المناطق ذات التماس بين الدولة العربية ـ الإسلامية والدولة البيزنطية“

وكاني) ودولة الخالدين (أورارتو) وكانت عاصمتها مدينة وان الحالية، وكلتاهما في شمال كردستان، وكذلك الدولة الداسنية في جنوب كردستان ومملكة ميديا ٦١٢ ق م كانت أبرزها، ولكن الأكراد الإيزيديين تعرضوا لهجمات الشعوب المجاورة من الجنوب والشرق والشمال وكذلك الغرب، وسيطر الكثير من هؤلاء على وطن الكرد الإيزيددين ولكن لم يستطع هؤلاء الغزاة بهجماتهم السيطرة على عقيدتهم وإنما ازداد إيمان الإيزيديين بدينهم وعقيدتهم، وفي العصر الحديث وبعد تقسيم المنطقة من قبل الآخرين تم تقسيم وطنهم بين الناس الغرباء، وبسبب ذلك تم تقسيم الإيزيديين أيضاً بموجب هذه التقسيمات، وصاروا في دول متعددة كما هاجر قسم كبير منهم بسبب الظلم الذي تعرضوا له إلى دول غريبة، ولكن مع كل ذلك لم ينسوا وطنهم وإنما بقوا مرتبطين به حتى بعد الموت، فهناك تجد أن الذي يموت من الإيزيديين يوصي قبل أن يموت أن تُرسل جنازته إلى وطنه وأن تُدفن هناك في أرض الوطن، وهذا ما لا يفعله الآخرون، والآن صار الإيزيديون موزّعين بين

"وما إن استقرت الأحوال في سوريا بعد الاستقلال، حتى بدأت الأوساط الشوفينية منذ أوائل الخمسينات تدعو المسؤولين من أجل القيام بتطبيق سياسة التمييز القومي حيال الأكراد، بهدف القضاء على تطلعاتهم القومية، وذلك عبر إجراءات استثنائية من شأنها العمل على هجرة الأكراد من الجزيرة وصهرهم في المجتمع العربي، وكان على رأس هؤلاء – محمد طلب هلال - ضابط الأمن السابق في الحسكة."

دول العالم.

ـ التوزّع الجغرافي للإيزيديين في سوريا:

يتوزع الإيزيديون في سوريا على شكل جزر متناثرة هنا وهناك وبالشكل التالي:

. منطقة الجراح: وهذه المنطقة تقع شرق سوريا وعلى طرفي نهر يدعى بنهر الجراح الذي ينبع من شمال كردستان

ويتوجه نحو الجنوب ماراً بسوريا، وتضم:

١- بلدة القحطانية نفسها كان يسكنها ٥٠ عائلة إيزيدية

٢- قرية دريجيك يسكنها ٥٠ عائلة أيضاً تقريباً.

٣- قرية مزكفت يسكنها ٤٠ عائلة.

٤- قرية تل خاتون يسكنها ٧٠ عائلة.

٥- قرية اوتلجة يسكنها ٣٠ عائلة.

٦- قرية آلا رشا يسكنها ٣٥ عائلة.

وكان يسكن في كل من شلهومية وكركي شامو عائلات إيزيدية أيضاً، كما كانت عدة عائلات إيزيدية تسكن القامشلي في الفترة الأخيرة، هاجر عدد من تلك العائلات إلى بلدة القحطانية كما هاجر قسم منها إلى خارج الوطن، لكن بقي عدد جيد من أبنائها فيها رغم ذلك، وهم يزورونها بين الحين والآخر دون انقطاع.

هذه القرى الإيزيدية كان بعضها يضم الإيزيديين فقط مثل أوتلجة، ومنها خليط من الإيزيديين والمسلمين مثل تل خاتون ومنها خليط من الإيزيديين والمسلمين واليهود والمسيحيين مثل مزكفت، كما إن هذه القرى كانت تضم الإيزيديين من مختلف العشائر الإيزيدية، ففي آلارشا تكاد تجد فقط الكفناسة، في حين تجد في تل خاتون الداسكا والبعجولا والبحنمنية والخالتا والتاقا والخرابية والنمرداني، وفي أوتلجة تجد الكيوخية والمحوكا وفي مزكفت تجد النمرداني والشفقتا والباجني والمحوكي، وفي دريجيك تجد الافشي وفيما بعد من مختلف العشائر الايزيدية بمعنى أنّك تجد الإيزيديين بمختلف عشائرهم في تلك القرى وهم متضامنين وكالاخوة دون تمييز، وكانوا يعرفون بالجرحية أو بالايزيدية دون ذكر اسم العشيرة من قبل غير الإيزيديين وحتى أنّ الإيزيديين باتوا يتركون الاسم العشائري ويركزون على اسمهم كإيزيديين.

ـ منطقة الحسكة: المنطقة الثانية من المناطق التي يسكنها الإيزيديون هي منطقة الحسكة ويسمون الغربية وهي أيضاً من عشائر متنوعة أهمها الشرقية ومنها التورنا والدنا والملا والسوعانا وقراهم:

١- قرية طولكو ٢- تل طويل ٣- السليمانية
٤- دوكوركي ٥-برزان كلو ٦- برزان الكبير

وكل قرية من تلك القرى تحوي أكثر من ٣٠ عائلة فبرزان وحده يحوي أكثر من ٧٠ عائلة

ـ منطقة عامودا: هي المنطقة الثالثة من المناطق التي يسكنها الايزيديون في سوريا ومن قراهم:

١. خربة ديلان ٢- خربة خوي ٣- دوكوركة

٤- عاكولة ٥- جتلة

ـ منطقة رأس العين: مثل قرية جان تمر والاسدية

ـ منطقة عفرين وحلب:

يسكن في هذه المناطق عدد جيد من الإيزيديين، ورغم أنهم كانوا بعيدين من مناطق الإيزيديين في سوريا، إلا أنهم كانوا قريبين من مناطق الإيزيديين في شمال كردستان، ولاقى الإيزيديون هناك الكثير من الظلم والاضطهاد على يد غير الإيزيديين من أبناء الديانات الأخرى وخاصة المسلمين، مما دفع هؤلاء إلى ارتكاب بعض الأخطاء من الناحية الدينية، فكما نعرف لا يجوز للإيزيديين الزواج من غير الإيزيديين، إلا أن في مناطق عفرين نجد هذا الشيء وهذا يعود إلى الخوف والظلم اللذين تعرضوا لهما هناك، فمن الإيزيديين من تزوج من المسلمين نساء ورجالاً، وكذلك يتم الزواج بين مختلف الفئات من الإيزيديين من شيخ وبير ومريد، وفي الوقت الحاضر نتيجة حدوث اتصال بينهم وبين الإيزيديين في المناطق الشرقية نأمل في إزالة هذا الأمر وتصحيح الواقع غير المقبول في الدين الإيزيدي.

١- ضمن مدينة حلب وفي الأحياء التالية: الشيخ مقصود – بستان الباشا – السريان القديمة – السريان الجديدة – سيف الدولة.

٢- في بلدة عفرين.

٣- في قرى مثل:

- قيباري (عشقيبار).

- قسطل جندو.

- فقيرة.

- جندريس.

الإيزيديون بسبب الاضطهاد الذي لاقوه من قبل غيرهم اضطروا على أن يتجمعوا في مناطق خاصة تجمعهم، لذلك نجد قراهم في مناطق بعيدة بعض الشيء من مناطق الآخرين، ككل الشعوب التي عانت من الاضطهاد مثل الدروز والعلويين في سوريا، وفي المدن نجدهم أيضاً متجمعين في حارات خاصة وقريبين من بعضهم، وعلاقاتهم بالآخرين قائمة على الحذر والخوف، ولكن مع ذلك فإنهم يحبّون التجمّع والمناقشة الحرة والعيش مع الآخرين في سلام وأخوّة، وتراهم يتعاملون مع الغير بكل احترام وأدب، وهم يحبّون الضيف كثيراً ويكرمونه، لكن بسبب ما لاقوه من غدر من الغير فإن تعاملهم يبقى ضمن نطاق الخوف والحذر كما قلت.

والإيزيديون كما قلت عشائر وقبائل وهم قريبون من الحياة البدوية في التعامل ومن الحياة المدنية كذلك، فهم يعيشون حياة وسط بين هذا وذاك ولا يضمرون أي حقد أو كراهية ضد أحد، وإن صدرت منهم بعض التصرفات فإن ذلك يعود إلى ما تعرضوا له من قديم وحديث على يد أتباع الديانات الأخرى، فمثلاً تعرضوا لمذابح جماعية كثيرة بلغت ٧٢ مذبحة، والآن يتعرضون لاعتداءات مستمرة مثل خطف نسائهم، على مرأى ومسمع من الدولة التي يعيشون فيها، وكما نعرف هذا روح الإرهاب في المجتمع اليزيدي، وترى حياة خاصة وفي مقدمتها الزواج والكريفانية، فكما هو معروف يتألف المجتمع اليزيدي من ثلاث فئات: ١- الشيخ ٢- البير ٣- المريد

ويحدث الزواج ضمن هذه الفئات، أي الشيوخ يتزوجون ضمن فئتهم وكذلك البيَرة، وكذلك المريد فلا يجوز لفئة من تلك الفئات الزواج من غير فئتها أو من أتباع الديانات الأخرى، وهذه نقطة يستغلها الأخرون من أتباع الديانات الأخرى لضرب الإيزيديين ودينهم، وحتى إن كل الشيوخ لايتزوجون من بعضهم فهم فروع ويجب أن يتزوج كل فرع من فرعه وكذلك البيَرة، أما المريدون فإنهم يتزوجون ضمن فئتهم بحرية في المجتمع

الإيزيدي، فهناك ترابط عائلي قوي وشديد وقد تجد من أبناء العائلة من تزوج وبلغ عمره ٦٠ سنة، ولايزال ضمن العائلة، وهناك عادات وتقاليد خاصة بهم وأخرى تشبه العادات والتقاليد التي تجدها عند الآخرين من الجوار مثل التعازي والزواج، فهي متشابهة، وكما قلت فإنهم من الذين يتوقون إلى الحرية وإلى السلام والوئام، ويقيمون علاقات مع الآخرين على هذا الأساس، الوضع الاجتماعي بين الإيزيديين مؤسَّس على أساس قبلي عشائري ولم يأخذ الطابع السياسي، وهو غير منظم كما سياتي لاحقاً.

الإيزيديون في سوريا وشمال سوريا مثلهم مثل الغير، فهم يعيشون بمعظمهم في القرى، ولذلك فإن حياتهم الاقتصادية تعتمد على الزراعة وتربية الحيوانات، وفي الآونة الأخيرة قلّت حيواناتهم أيضاً، لذلك بقيت الحياة الزراعية تلعب الدور الرئيسي في حياتهم الاقتصادية وهم في مجملهم فقراء لأن اعتمادهم على الزراعة أيضاً لا يدرّ عليهم المال الوفير، فمنذ ١٩٧٠ استولت الدولة على أراضيهم وجلبت العرب المعروفين بعرب الغمر من مناطق حلب والرقة، وأعطت الدولة أراضي الإيزيديين لهؤلاء العرب، وبذلك حرمتهم الدولة من تلك الأراضي أيضاً، كما أنهم في معظمهم أجانب أو مجرّدين من الجنسية السورية، وبذلك فإنه لا يجوز لهم العمل في الوظائف الحكومية، ليس لأنهم غير سوريين بل لأسباب سياسية، فمثلًا كتب (فرماز غريبو): أملك الجنسية السورية وخدمت في الجيش السوري كضابط، وبعد أن أنهيت الخدمة العسكرية جرّدتني الدولة من الجنسية السورية دون سبب، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه لا توجد في مناطق الإيزيديين معامل للعمل، وإن وجدت بعض الحِرَف اليدوية فإنها لم تعدْ تدرّ مالاً، ومعظم المحاصيل الزراعية بعلية وإنتاجها قليل، وكذلك نجد نظام الإنتاج مناصفة أي يعطي الشخص أرضه لآخر (مزارع) فيزرعه ذلك المزارع وبعد جني المحصول يقسَّم مناصفة بينه وبين مالك الأرض.

القمح – الشعير – القطن – العدس وفي مناطق عفرين الزيتون، بالإضافة إلى أن الخضراوات من أهم المحاصيل الزراعية التي يعتمد عليها الإيزيديون ويتقنونها في مناطق تواجدهم، ولكن رغم كل ذلك فإن المردود ضعيف في الفترة الأخيرة، وبعد هجرة الإيزيديين إلى أوروبا صار المهاجرون يرسلون الأموال إلى أهلهم في الوطن، مما ساعد على تحسين وضعهم المعيشي بعض الشيء وساعد البعض على ممارسة بعض الأعمال التجارية الخفيفة، كتجارة الحبوب والبيع المفرّق، ولكن سياسة الدولة تحدّ من نشاطهم لكون معظمهم مجرّدين من الجنسية.

الوضع التعليمي:

الإيزيديون من الناس الذين يحبون العلم والمعرفة، لذلك يبحثون عن العلم والمعرفة بكل شغف، ولكن كما ذكرت فإن الخوف من أتباع الديانات الأخرى بسبب عقيدتهم اليزيدية جعلهم بعيدين عن مجالات العلم لوقت طويل جداً، وعندما أنشئت المدارس في قراهم أرسلوا أولادهم إلى تلك المدارس من الذكور والإناث، ولكن كانت النسبة بين الإناث ضعيفة بسبب الوضع الاجتماعي والديني معاً ليس بين الإيزيديين فقط وإنما بين المجتمع الشرقي عموماً، وقد تابع الطلاب الإيزيديون الدارسة في المراحل الإعدادية والثانوية أيضاً رغم كل الصعوبات، وحتى بالمراحل العليا من الدراسة في الجامعات والمعاهد، وتخرّجت أعداد جيدة منهم من تلك الجامعات من مدرّسين ومحامين وغير ذلك، **ولكن وضعهم الديني وسياسة الدولة انعكسا عليهم بشكل سلبي مثل:**

١- الدين.

٢- الهجرة.

٣- سياسة الدولة وتجريد عدد كبير منهم من الجنسية السورية.

٤- الوضع المعيشي والفقر.

الأرمن في شمال شرق سوريا – تاريخياً:

بدايات الوجود الأرمني في شمال شرق سوريا وعلى وجه التحديد في مدينة قامشلو. تعود إلى العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي بحسب مؤرخين أرمن. حيث لم يخرج الأرمن من هول مصيبتهم حتى بنوا كنيسة ثم مدرسة ابتدائية وبعدها إعدادية. وكان هناك عدد من القرى سكنها الأرمن. إلا أن الهجرة إلى أرمينيا أخلت هذه القرى من سكانها. إذ بُنيت المنازل الأولى فيها عام ١٩٢٤. والأرمن هم أول من بدأ الهجرة إلى هذه المدينة. حيث فضّلوا العيش فيها على أمل العودة إلى وطنهم في أرمينيا يوماً ما.

وفي عام ١٩٣٨. قام سكان قامشلو ببناء ما يقرب من عشرين قرية أرمنية في فترة قصيرة .وهم أول من زرع الأراضي. وأسسوا في هذه القرى سلسلة من ١٨ مدرسة. لِتصبح هذه القرى مهملة وخالية من السكان بعد هجرة جزء كبير من الأرمن إلى أرمينيا بعد الحرب العالمية الثانية. حيث ترك ٣,٥٠٠ أرميني تقريباً المنطقة عام ١٩٤٦ وتوجهوا إلى أرمينيا خلال الهجرة الأولى. تبعَ ذلك موجة هجرة ثانية مؤلفة من ٦,٥٠٠ أرميني خلال الفترة ١٩٦٥ –١٩٦٦. ثم هاجر باقي السكان إلى مركز مدينة قامشلو وتُركت القرى الأرمنية خالية بالكامل.

عمل الأرمن بشكل أساسي في مجالات التجارة. والزراعة. والحرَف اليدوية. توجد مدارس أرمينة في القامشلي (مرحلة الروضة. ومرحلتي التعليم المتوسط والثانوي) وتضم هذه المدارس حوالي الـ ١,٢٠٠ طالب وبها هيئة تدريس تصل إلى ٤٠ مدرساً. مهمتهم تعليم الأطفال الأرمن والحفاظ على الهوية الوطنية. وهناك كنيسة القديس هاكوب. كنيسة الأرمن بالقامشلي. كما يواصل نادي الهومنتمن تقديم خدماته إلى الجيل الجديد عن طريق برامجه التعليمية والرياضية. وفريق الكشّافة الذي يملأ قلوب الأرمن بالقامشلي بالفرح في احتفالاتهم الخاصة والعامة. حيث تقوم الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية بالمساعدة في أنشطتها الخيرية. وتقوم مؤسستا كاراكوزيان وجينيشيان أيضاً بمساعدة الأسَر المحتاجة من خلال إسهاماتها الخيّرة.

ولدى الأرمن الكاولك أيضاً كنيستهم ومدرسة تسمى السلام. وفيها ما يقرب من ٣٠٠ طالب وطالبة وأبناؤهم يدرسون من مرحلة الروضة وحتى نهاية مرحلة التعليم الاساسي.

الأرمن في القامشلي موجودون اليوم ويحتفظون بقيَمهم وروحهم الأرمنية. ولديهم إيمان عميق بالمستقبل رغم الظروف القاسية التي تمر بها بلادهم سوريا.

المراجع:

1-- خبر أرمني — موقع شامل مختص بشؤون الأرمن المهاجرين حول العالم.

2-- العرب في شمال سوريا عبر التاريخ — ويكيبيديا — مؤرخات الرحالة الغربيين مترجمة للعربية متوفرة على النت.

3-- موقع مدارات كرد.

4-- شباب بوست.

نهب الممتلكات الثقافية بين الواقع والقرارات الدولية

ياسر شوحان

ـ الاتفاقيات الدولية لمكافحة الإتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية:

تسعى معظم الدول في العالم على التصديق على الاتفاقيات ذات العلاقة والاهتمام بحماية الممتلكات الثقافية من الإتجار بها وحمايتها، وخصوصاً اتفاقية عام 1970[1] المتعلقة بالوسائل المستخدمة في منع استيراد أو تصدير أو نقل الممتلكات الثقافية أو ملكيتها بطرق غير مشروعة.

وحيث أنّ هذه الاتفاقية تُعدّ واحدة من النصوص القانونية المتعلقة بالإتجار غير المشروع، فإنها تطرح في مبادئها مبدأ الوقاية بكونه أمراً أساسياً بالإتجار غير المشروع، منها:

١ ١٤ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٧٠ خلال الدورة السادسة عشر للمؤتمر العام لليونسكو.

ـ إقامة قوائم جرد بشكل منتظم.

ـ تطبيق سياسات الرقابة وإنفاذ اعتمادات التجار.

ـ إبرام شهادات تصدير.

ـ تطبيق نظام العقوبات للمخالفات الإجرامية والإدارية.

ـ تنظيم الحملات المعلوماتية والتثقيفية.

وذلك فيما عدا عن مبدأ إعادة الممتلكات الثقافية /المادتان ٧ و١٣ من الاتفاقية/ وعلى أحكام تنص على استرداد وإعادة الممتلكات، حيث تنص الفقرة (ب) «٢» من المادة رقم ٧ بخصوص القطع المدرجة في قوائم الجرد والمسروقة من متحف أو من أثر عام، ديني أو علماني، على أن تتعهّد الدول الأطراف في الاتفاقية باتخاذ التدابير المناسبة لمصادرة واسترداد وإعادة الممتلكات الثقافية المسروقة والمستوردة. وتنص المادة ١٣ على تحمّل الدول الأطراف على الصعيد الوطني مسؤولية استرداد الممتلكات، والتآزر فيما بينها بهذا الخصوص[٢] وإيقاف تهريب الآثار أو التنقيب السرّي عنها والمتاجرة بها، كما وفّرت الحماية اللازمة للتراث الثقافي والتقاليد المرتبطة به، ويبدو ذلك واضحاً من خلال ازدياد أعداد الدول الأطراف الملتزمة بهذه الاتفاقية.

وعلى الرغم من هذا فإن هذه الاتفاقية ما تزال دون المستوى المأمول مع تزايد أو انتشار أعمال التنقيب السرّي عن الآثار في دول الصراع، ولا سيما سوريا والعراق أو غيرها من الدول التي لم تدخل في نزاعات مسلحة، ناهيك عن النهب المستمر والمتاجرة بالممتلكات الثقافية وبيعها، مما أتاح ظهور منهجيات جديدة لمكافحة هذه الظاهرة والحد منها، فيما عدا عن التعاون الدولي للحد من هذا الانتشار الواسع لها، إلا أنه ما يزال هناك حاجة إلى بذل المزيد من الجهود لتطبيقها من قبل الدول الأعضاء في اليونسكو.

فيما ينص بروتوكول اتفاقية لاهاي لعام ١٩٥٤ المعنيّ بحماية الملكية الثقافية في حالة نزاع مسلّح، على استعادة وردّ الممتلكات الثقافية المصدّرة بطريقة غير قانونية من أراضٍ محتلة[٣]. وعلى الرغم من وجود العديد من القطع الأثرية في المتاحف العالمية لا تحمل وثائق خاصة بها، إلا أن منظمة اليونسكو UNEESCO تستبعد سنّ قانون أو أي اتفاقية دولية تُجبر دور العرض والمزادات أو حتى المتاحف العالمية، على إبراز وثائق تدقيق في مصادر القطع الأثرية التي بحوزتها. كما أن ليس من اختصاص منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة UNEESCO العودة للقطع الأثرية ومراجعتها للتأكد من صحة عملية بيعها وشرعيتها، إنما تستطيع تزويد الدول الأعضاء بالأدوات اللازمة لتنفيذ اتفاقية ١٩٧٠[٤]، كما تتيح اللجنة الحكومية الدولية لتعزيز إعادة الممتلكات الثقافية إلى بلدانها الأصلية، أو ردّها في حالة الاستيلاء غير المشروع ICPRCP[٥] للدول الأعضاء في اليونسكو، تتيح المطالبة بإعادة آثارهم إلى بلدانها الأصلية، كما تعتمد نموذجاً محدداً للمطالبة باسترداد الآثار إلى بلدانها الأصلية تظهر فيها الأدلة والمعلومات المطلوبة لتوثيق طلبات العودة واستعادة الحقوق.

وفي هذا السياق لا بدّ هنا من الإشارة إلى واحدة من أهم الاتفاقيات، وهي اتفاقية UNIDROIT لعام ١٩٩٥ والمتعلقة بالممتلكات الثقافية المسروقة أو المصدّرة بطرق غير مشروعة، حيث تم وضع القوانين اللازمة لاسترداد الممتلكات الثقافية المسروقة، وتحديد القطع الأثرية التي

٢ https://fighttrafficking/org.unesco.ar//:https ١٩٧٠/

٣ اعتُمد في الوقت نفسه بروتوكول بشأن الممتلكات الثقافية أثناء الاحتلال (البروتوكول الأول) عام ١٩٥٤. ورغم أن اتفاقية عام ١٩٥٤ تعزز حماية الممتلكات الثقافية، إلا أن أحكامها لم تُنفَّذ على نحو مستمر وثابت. ولمعالجة هذه المشكلة، اعتُمد بروتوكول ثانٍ إضافي لاتفاقية عام ١٩٥٤ في ٢٦ آذار/مارس ١٩٩٩. وعلاوة على ذلك يتضمن البروتوكولان الإضافيان (المؤرخان في ٨ حزيران/يونيو ١٩٧٧) إلى اتفاقيات جنيف أحكاماً الممتلكات الثقافية (المواد ٣٨ و٥٣ و٨٥ من البروتوكول الإضافي الأول، والمادة ١٦ من البروتوكول الإضافي الثاني).

٤ هامش: للاستزادة https://:org.unesco.ar/fighttrafficking/ ١٩٧٠

٥ the Intergovernmental Committee for Promoting the Return of Cultural Property

تم التنقيب عنها بشكل سرّي. كما تعتبر أن القطع الأثرية المصدّرة بشكل غير قانوني قطعاً مسروقة، وتحدد معرفة موقع القطع الأثرية وتحديد مالكها. كما تضع ثلاثة مبادئ أساسية وهي:

- يجب على مالك المادة الثقافية المسروقة إعادتها.

- تحديد إمكانية دفع تعويض مادي لمالك القطعة الأثرية المسروقة، حيث تم الحرص على تجنّب حيازة الممتلكات الثقافية المسروقة، وتشمل معايير إثبات معايير ظروف الشراء، وطبيعة الأطراف المعنية، والسعر المدفوع وغياب شهادة التصدير.

- يجب إعادة القطع الأثرية المُصدّرة بطريقة غير مشروعة إذا كانت القطعة ذات أهمية ثقافية كبيرة للدولة المُطالبة بها.

وعلى الرغم من هذه الاتفاقية التي بلغ عدد الدول الموقعة عليها /٣١/ دولة، إلا أنها لم تُصدّق بعد، وبالتالي ليست نافذة إلا بعد عملية التصديق[٦].

ـ في القانون والقرارات الدولية:

في الإطار القانوني الدولي والإقليمي لمكافحة الإتجار بالممتلكات الثقافية، فإن قرار مجلس الأمن رقم ٢١٩٩ (٢٠١٣) قد تطرّق لهذا الموضوع فيما عدا عن الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، والذي يُدين فيه تدمير التراث الثقافي في العراق وسوريا، ولا سيما من قبل تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) وجبهة النصرة ANF. وقد ألزم هذا القرار جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة باتخاذ كافة التدابير اللازمة لمنع الإتجار بالممتلكات الثقافية، وغير ذلك من المواد ذات الأهمية الأثرية والتاريخية والدينية والدنيوية والتي تمّ إخراجها بشكل غير قانوني

"-رغم وجود العديد من القطع الأثرية في المتاحف العالمية لا تحمل وثائق خاصة بها، إلا أن منظمة اليونسكو تستبعد سن قانون أو أي اتفاقية دولية تجبر دور العرض والمزادات أو حتى المتاحف العالمية، على إبراز وثائق تدقيق في مصادر القطع الأثرية التي بحوزتها. كما أن ليس من اختصاص أية منظمة العودة بالقطع الأثرية ومراجعتها للتأكد من صحة عملية بيعها وشرعيتها."

من العراق منذ ٦ / آب ١٩٩٠، ومن سوريا منذ ١٥ / آذار ٢٠١١. ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه حتى لو لم تقع القطع الأثرية سواء السورية أو العراقية ضمن نطاق هذا القرار، فإن هذا لا يُشير بالضرورة إلى أن القطع الأثرية تمّ تصديرها بشكل قانوني.

كما يحظر قانون الاتحاد الأوربي رقم ١٣٣٢ / ٢٠١٣ استيراد وتصدير ونقل السلع الثقافية السورية، حيث أن معظم القطع الأثرية التي تمت حيازتها هناك، توجد حولها أسباب للاشتباه حول نقلها بدون موافقة مالكها الشرعي أو تُشكّل انتهاكاً للقانون السوري أو الدولي.

ويسري هذا الحظر فيما لم يتم «إثبات» أن القطعة الأثرية تم تصديرها من سوريا قبل ٩ / أيار ٢٠١١، أو أن البضائع يتم إرجاعها بأمان إلى أصحابها الشرعيين، وأيضاً إذا لم يتمكن الحائز أو المحترز للقطع الأثرية من تقديم أي مستند، أو فيما لو لم تتمكن سلطة التحقيق من العثور على أي دليل يشير إلى تصدير قانوني قبل ٩ / أيار ٢٠١١[٧].

٦ للاستزادة حول هذه الاتفاقية: https://www.unidroit.org/instruments/cultural-property/convention-١٩٩٥

٧ ART COMBATING :ATTALI-CHICHE Sydney

ومن الملاحظ أن القانون السوري يتعامل بحزم صارم اتجاه المتاجرة بالآثار في فترة ما قبل الأزمة السورية عام ٢٠١١، كما يفرض العقوبات بحق البائع والمشتري سواءً أكانت (حيازة أو احتراز).

وبالمقارنة مع قوانين الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، نجد أن هذه القوانين تهدف إلى معاقبة المتعاملين بالآثار أو بائعيها، لكن القليل منها موجّه إلى المشترين، حيث لا يفرض القوانين في هذه الدول أي غرامات على الذين يساهمون بشكل مباشر أو غير مباشر في نهب المواقع الأثرية، من خلال معاقبة التعامل مع الآثار المنهوبة والإتجار بها[٨].

ـ واقع التعاون الدولي والمنظمات العالمية في الحدّ من تهريب الآثار[٩]:

على الرغم من الكثير من نهب الممتلكات الثقافية السورية أو غيرها، إلا أن العديد من الدول تحاول إثبات حُسن النوايا تجاه الآثار المسروقة، لا سيما من الشرق الأوسط، وتُعدّ القضايا التي نشطت في هذا الجانب من القضايا التي أثارت الكثير من النشاط التحقيقي والتي احتاجت للكثير من المتابعة. ويشير الباحث «ساموئيل سويني» إلى أن التعاون الدولي يُعدّ خطوة أولى لعملية استرداد القطع الأثرية، ومن ناحية ثانية التشديد على المواد المنقولة أو التي يتمّ عرضها للبيع من خلال المزادات العالمية.

وبالعودة إلى هذه القضايا التي أثمرت وبشكل جيد في استعادة ممتلكات أثرية منهوبة من المنطقة، حيث قضية «**هوبي لوبي**» التي بدأت في كانون الثاني سنة ٢٠١١ بطردٍ بريدي يحوي خمسين رُقيماً مسمارياً، حيث تم كشفها من خلال التباين بين التصريح الجمركي (بلاط مصنوع باليد في تركيا) مع التباين في قيمة الموجودات، وقد اكتشفت السلطات الأمريكية أن شركة «هوبي لوبي» هي إحدى الشركات الكبرى في أمريكا والتي تبيع موادّ للفنون والحِرَف، كما كانت تستورد قطعاً أثرية مُهرَّبة من العراق من تاجر إماراتي وتاجرين إسرائيليين، الذين أعطوا الشركة أوراقاً مُزيّفة تقرّ بأن مصدر القطع إسرائيل، وتم شراؤها بشكل قانوني في ستينيات القرن الماضي في الأسواق المحلية الإسرائيلية، إلا أنه وبعد إجراءات قانونية استغرقت أكثر من سبع سنوات (عام ٢٠١٨) تم إرجاع القطع الأثرية إلى العراق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، ودفعت الشركة غرامة ثلاثة ملايين دولار أمريكي[١٠].

أما القضية الثانية والتي أُطلق عليها (**قضية معبد أشمون**)

فقد بدأت في عام ١٩٨١ بعد أن سُرقت حوالي /٦٠٠/ قطعة أثرية من مستودعات جبيل في لبنان، وقد ظلت معظم هذه القطع الأثرية مجهولة حتى عام ١٩٩٦ عندما بدأت إحدى القطع المسروقة والتي تمثل رأس ثور بالظهور للعلن، من خلال شرائها بسعر مليون ومئتي ألف دولار، وفي عام ٢٠٠٩ تم بيع هذه القطعة بقيمة مليون وخمسمئة ألف دولار. وبالعودة إلى أوراق وتسلسل ثبوتيات المشتريات، أكدت شراءها من جورج لطفي لبناني الجنسية بدون تصاريح جمركية ولا وثائق شحن ولا فواتير من المالكين المفترضين سابقاً، غير أنه من المفروض أن القطعة انتقلت بين عدة دول خلال هذه الفترة، وكان يجب أن يكون لها أوراق رسمية، وفي عام ٢٠١٧ أصدر القاضي في ولاية نيويورك حكماً لصالح الدولة اللبنانية، وتم

DILIGENCE DUE AND ASPECTS TRAFFICKINGLEGAL, Training- 22-23-24 November 2020, Himayaproject, Qatar. (Notes on this topic via Zoom program, National Library).

٨ Middle East: Mounir ,Morag-Bouchenaki ,Kersel and North Africa ,The Oxford Handbook of International Cultural Heritage Law ,edited by Francesco Francioni and Ana Filipa Vrdoljak ,Jul.2020

٩ سويني، ساموئيل: (واقع التعاون الدولي والمنظمات العالمية في الحد من تهريب الآثار في سورية) مجتزأ منقول من بحث مشارك في ندوة حوارية علمية حول واقع التراث الثقافي السوري خلال الأزمة تحت عنوان «معاً لحماية التراث السوري»، المنعقدة برعاية هيئة الثقافة في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سورية في مدينة الرقة السورية بتاريخ ١٩ أيلول ٢٠١٩.

١٠ الوثائق الرسمية المتعلقة بالقضية موجودة في موقع ecf. gov.uscourts.nyed برقم قضية 1:2017-cv-03980.

إرجاع رأس الثور الذي تم تهريبه من لبنان. وهو الآن معروض في المتحف الوطني في بيروت مع قطع منهوبة أخرى من معبد أشمون تم استردادها أيضاً[١١].

القضية الثالثة هي المعروفة بقضية «موسى خولي»[١٢]

حيث ظهر في أحد مواقع البيع رأس تمثال عراقي منهوب ومعروض من قبل موسى خولي، الذي هاجر من سوريا إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٢ ويملك شركة اسمها ويندزور، وكانت عائلته تمتلك معرضاً للأنتيكات في دمشق. إلا أن هذا التمثال لم يكن إلا مدخلاً لقضية شملت في طيّاتها العديد من القطع الأثرية المهرَّبة من سوريا والعراق ومصر. وأن الإمارات كانت محوراً لعملية نقل أو تهريب للآثار إلى أمريكا. وقد تعامل موسى الخولي مع مجموعة من الأشخاص لتوريد الآثار إلى أمريكا. مع قيامه بتزييف أوراق عن أصل القطع الأثرية. كما صرّح أن معظم هذه الآثار تم جمعها من قبل أبيه في إسرائيل في ستينيات القرن الماضي. وتم إرجاع القطع الأثرية المنهوبة من مصر إليها في عام ٢٠١٥. ومن الجدير ذكره أن موسى خولي غيّر اسم شركته إلى Palmyra Heritage "معرض تراث تدمر». وفي سنة ٢٠١٦ وثّقت مدونة تتابع سوق الآثار أنه باع رأس تمثال يعود لمدينة تدمر مع أوراق جمركية تعود إلى إسرائيل وتبدو مزيفة. ولم يكن هناك متابعة من قبل أي سلطات قانونية[١٣].

"-يحظر قانون الاتحاد الأوربي رقم ١٣٣٢ / ٢٠١٣ استيراد وتصدير ونقل السلع الثقافية السورية، حيث أنّ معظم القطع الأثرية التي تمت حيازتها هناك، توجد حولها أسباب للاشتباه حول نقلها بدون موافقة مالكها الشرعي أو تشكّل انتهاكاً للقانون السوري أو الدولي. ويسري هذا الحظر فيما لم يتم "إثبات" أن القطعة الأثرية تم تصديرها من سوريا قبل ٩ / أيار ٢٠١١."

وفي القضايا الثلاث كان التوثيق الدقيق للقطع الأثرية المفقودة أساسياً في كشف الجريمة وإثباتها. وفي معظم الأحيان تصدر المعلومات عن هذه المبيعات من أكاديميين لهم معرفة في الآثار وليس من السلطات. ولربما أن السلطات تستطيع أن تُجري تحقيقاً أو تلاحق المهرّبين. ولكنها لا تمتلك الخبرات أو الموارد في آلية البحث عن المفقودات.

١١ الوثائق الرسمية المتعلقة بالقضية موجودة في موقع ecf. gov.uscourts.nysd برقم قضية ١٧-cv-٠٤٧٥٥-KPF، وكتبت مديرة المتحف الوطني في بيروت، آن ماري عفيش، عن القضية في مجلة BAAL باللغة الفرنسية:

Maila Marie-Anne ,Afeiche: « La restitution au Liban de cinq sculptures d'Echmoun », BAAL 18, 2018, p. 5-18

١٢ الوثائق الرسمية المتعلقة بالقضية موجودة في موقع ecf. gov.uscourts.nyed برقم قضية 11-cr-1:00340، وهناك مقالة عن القضية في جريدة إنترناشونال بيزنيس تايمز في الرابط التالي:

https://www.ibtimes.com/egyptian-25m-returns-us-antiqui-ties-experts-call-tougher-punishment-smugglers-1892622

١٣ http://www.crime-art-blogspot.com/2016/11/auction-alert-ancient-i-palmyran-html

الكتب التي قرأها المفكّر عبد الله أوجالان في المعتقل

إعداد: هيئة التحرير

حسب تسلسل الأحرف للكتّاب

A

آلبرت آينشتاين

- التأثير الشخصي والعلمي والعالمي، منشورات المعرفة
- تطور الفيزياء، منشورات الشرف
- آينشتاين، منشورات لولبية
- نظرية النسبية وآينشتاين

أمين معلوف:

- الحروب الصليبية بعيون العرب، منشورات تيلوس
- حدائق النور، منشورات قروض البناء

- هويات قاتلة
- الام ادريانا

- **أنطوني كوين**:
- فهم الحداثة، منشورات الفا
- نتائج الحداثة، المنشورات التفصيلية
- علم الاجتماع السياسي والنظرية الاجتماعية، منشورات ميتيس
- الدولة القومية والعنف، منشورات الثورة

عباس فالي: إيران ما قبل الرأسمالية –تاريخ نظري، منشورات آفستا

أوغست بايلي: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، منشورات مركز الكتاب

أندريه بونار: الحضارة اليونانية القديمة (الأول والثاني والثالث)، منشورات عالمية

أليكس بورين: لجنة الحقيقة والمصالحة، منشورات آرام

ألفريد Wكروسبي: العالم ملكي – الإمبريالية البيئية الأوربية "٩٠٠-١٩٠٠" منشورات الكتب

ألدوس هوكسلي: عالم جديد شجاع، منشورات إيثاكي

أدريان بيري: شواطئ الخلود، منشورات توبيتاك

ألبرت حوراني: تاريخ الشعوب العربية، منشورات الاتصال

آرثر فيليبس: جنس الديمقراطية، منشورات ميتيس

آلان وودز – تيد كرانت: ثورة العقل، دار نشر التوعية التاريخية

آن تشامبرلين: صفية سلطان "٣ مجلدات " منشورات الثورة

انتوني ب كوهين: التأسيس الرمزي للمجتمع، المنشورات الودية

بروميثيوس المضروب بالسلاسل، منشورات العمل المصرفي

أنديرومانجو: أتاتورك، كتب الصباح

آلان سوينغوود: أسطورة الثقافة الجماهيرية، منشورات العلم والفن

آرثر شوبنهاور: الأمثال، منشورات العمل البنكي

أديد دافيشا: الجنسية العربية (من النصر إلى اليأس) منشورات أدبية

أوستن هنري لايارد: نينوا ورفاتها، منشورات آفستا

أمير حسن بور: اللغة والقومية في كردستان، منشورات آفستا

أبراهام مولس: علوم عدم اليقين

آلان تورين: لفهم عالم اليوم

بوكشبان: أكراد اذربيجان، منشورات خرافية

أنتوني د. سميث: عرق الامم، منشورات ودية

ويليام ماكنيل، ك.إيكول، جوناثان فريدمان، ديفيد ويلكنسون، سمير أمين، جانيت أبولغد، إيمانويل والرشتاين، النظام العالمي، منشورات صورية " ذهنية"

أندريه بيرتين، دوبلودا سيلفيرا، هيرفيه بورتويس، (المجمعون) الليبراليون والتجمعيين، المنشورات الودية

البروفيسور ابراهام غالينتي: تقاليد

سابتاي سيفي وسابتايجي. منشورات الغزلان

أندريه كلوت: هارون الرشيد والعصر

العباسي، منشورات الوطن مؤسسة التاريخ

الكسندر كويف: مقدمة في فلسفة

هيكل، آلان كوربين، جان اجوس كوكتين،

جورجس فيجاريلو (من أعداد)**:** تاريخ الجسد ١- من عصر النهضة إلى التنوير.

عبد الرحيم زابسو: التاريخ الإسلامي العظيم، منشورات الرسالة

احمد أولفي توراباش: الفلسفة وعلم الاجتماع والقانون والحكومة، منشورات دير

أكين بيردال: يدي اليسرى، منشورات وثائقية

ألتان أويمن: طفل واحد العصر الواحد، منشورات دوغان

علي شان اكبنار: القبلية، المدرسة، الدولة، منشورات آرام

عزرا إرهات: قاموس الأساطير ومنشورات رمزي

أتيللا نالبانت: الدولة الموحدة

الاستاذ الدكتور أ. فيياز كولجوكلو،

بروفيسور د. أ. شرف كوزبويوك: اتفاقيات وممارسات المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان، منشورات مكتبة تورهان

علي بيركتاي: التحديث التركي العثماني، منشورات تراكمية

عدنان نور بايكال: أسرار القيادة لـ مصطفى كمال أتاتورك، نشر النظام

أحمد إينسل: نقد إيديولوجية الاقتصاد، منشورات التراكم

علي بوسكول أوغلو: القاموس التركي، منشورات الاصدقاء

أحمد أوكتاي: الفن والسياسة، افريست للنشر

علي آغا: جوهر الإسلام والعلوية والبكتاشية . الوجود للنشر

أيهان أكتار: القومية التركية، منشورات الاتصال

أحمد داوود أوغلو: العمق الاستراتيجي، الكروية للنشر

B

بنجأمين باربر: الديمقراطية القوية، منشورات تفصيلية

بيرنارد لويس:

- الهويات المتعددة للشرق الأوسط، صباح للنشر
- الثقافات المتضاربة، منشورات مؤسسة التاريخ الوطنية
- العرب في التاريخ، منشورات العنقاء
- اليهود في العالم الإسلامي، منشورات الصور
- أزمة الإسلام، اصدارات أدبية

باكونين: الله والدولة، منشورات وثائقية

بيي بابا عبد الله بن المصطفى: كليلة ودمنة، منشورات النسل

بورشار – سونيا برينتجيس: ابن سينا (أفيسنة) منشورات النافذة

بوغوس ليفون زيكيان: الارمن والحداثة، منشورات آرام

بارينكتون مور جونيور: الاصول الاجتماعية للديكتاتورية والديمقراطية، منشورات الصور

بيل جوردان: السلطة والمال والجنس – التحول في الحياة الجماعية، منشورات الصور

بريان موريس: دراسات أنثروبولوجية حول الدين، منشورات الصور

برتراند بديع: من يخاف من النظام الدولي الجديد من القرن الحادي والعشرين، منشورات NTV

دوي درارياسما: استعارات الذاكرة، منشورات ميتيس

بيلما اكسورا: الفيلم الدولة الكردي ١٩٢٥-٢٠٠٧، منشورات القوس

بكر جاغلار: سجل دستوري، منشورات الماء

باسكن وهران: السياسة الخارجية التركية، منشورات الاتصالات

ـ الاقليات في تركيا، مفاهيم، النظرية، لوزان، التشريع الداخلي، الفقه، الممارسة، منشورات تيسيف

بولنت تانور: سلطات الكونغرس في تركيا (١٩١٨-١٩٢٠)

بوراك أوراك أوغلو: خيالات الظل في انقرة، منشورات تيماس

C

كارل شميت:

-أزمة الديمقراطية البرلمانية، المنشورات الودية

- المفهوم السياسي، منشورات ميتيس

-اللاهوت السياسي (٤ فصول عن مفهوم السيادة) منشورات المكتبات الودية

كارولين فينكل: العثمانية من الحلم إلى الإمبراطورية، منشورات تيماش

كلود كاهن: الأناضول قبل الإمبراطورية العثمانية، المنشورات الوطنية لمؤسسة التاريخ

كاثرين ماكينون: نحو نظرية نسوية للدولة، منشورات ميتيس

كولن أليستر رونان: تاريخ العلوم، منشورات توبيتاك

كريستوفر بيرسون: الدولة الحديثة، الكتابات المسمارية

كريستيان جاك: الشامبليون المصري، منشورات آريون

تشارلز كيت ميزلز: ولادة الحضارة، منشورات الصور

تشارلز فريمان: مصر، اليونان، وروما، منشورات الودية

كامبانيلا: بلاد الشمس، منشورات اجتماعية

كارل ساكان: في عالم مظلم، منشورات توبيتاك

تشارلز بيرسي سنو: الثقافتان، منشورات توبيتاك

كريستيان ديلا كامبان: الفيلسوف والطاغية (تاريخ التأمل) منشورات العمل البنكي

تشارلز ليند هولم: الشرق الأوسط الإسلامي، منشورات الصور

كلود ليفي ستراوس: فكر البرية

تشاجلار كيدر: إفلاس التنمية الوطنية، منشورات يتيس

جمال يلدرم: رواد العلوم، منشورات توبيتاك

كونيت أركيوريك: ثلاثة رجال في نقطة تحول الديمقراطية، منشورات إعلامية

كونيت أركيوريك: حلم الرجل المنتظر، منشورات إعلامية

البروفيسور الدكتور جوشكون جان اتاكان: من دولة متداخلة إلى دولة محدودة، منشورات تركيا الجديدة

جنكيز أوزاكنجي: صعود وسقوط العلم في الإسلام، منشورات التشريح

جنكيز أوزاكنجي: فهم القرآن الكريم للغة والدين بالشكل الصحيح، منشورات التشريح

D

ديباك شوبرا: الكم – شفاء، منشورات الثورة

ديفيد هارفي: دراما ما بعد الحداثة، منشورات ميتيس

دانييل كولمان: الذكاء العاطفي، منشورات الاصول

دونا روسنبيرغ: الأساطير العالمية، منشورات الصور

دانتي: الكوميديا الالهية، منشورات الجدي

ديفيد مورلي كيفن روبنس: مواقع الهوية، منشورات تفصيلية

دوستويسكي: الأخوة كارامازوف، منشورات اجتماعية

دانييل غانسر: الجيوش السرية للناتو، المنشورات الحالية

دوجوبيرينجك: ٢٨ شباط والجيش، منشورات المصادر

ديليك كوربان: مواجهة الهجرة القسرية، منشورات تيسيف

ديمير كوجوك آيدن: الكمالية في الاتجاه المعاكس، مكتبة التطبيق العملي

ديمير كوجوك آيدن: النقد الماركسي للماركسية، مكتبة التطبيق العملي

دوجوبيرينجك: السياسة الكردية في حرب الاستقلال، منشورات المصدر

E

إيريك هوبس باوم:

- اختراع التقليد، مكتبة أغورا
- الصناعة والإمبراطورية، منشورات الودية
- موجز عن القرن العشرين (١٩١٤-١٩٩١) عصر التطرف، إيفيريست للنشر
- العصر الثوري (١٧٨٩-١٨٤٨) منشورات ودية
- الديمقراطية والارهاب، مكتبة أغورا
- عصر رأس المال (١٨٤٨- ١٨٧٥)، المنشورات الودية
- عصر الإمبراطورية (١٨٧٥- ١٩١٤)، منشورات ودية

إدوارد ويلسون: التاريخ السري للطبيعة، منشورات توبيتاك

إدوارد كيبون:

- تراجع وانهيار الإمبراطورية البيزنطية، منشورات علم الآثار والفنون
- تراجع وانهيار الإمبراطورية البيزنطية، منشورات البنك السعودي الفرنسي

إريك فروم: أصول التدمير البشري، منشورات بايل

إريك فروم: ثورة الأمل، منشورات بايل

إرنستولاكلاو: العالمية والهوية والتحرير ومنشورات التراكم

إدوارد شور: التاريخ السري للأديان، المنشورات الروحانية

إدوارد سعيد: القضية الفلسطينية في الألفية الجديدة، منشورات آرام

إميل لودويغ: نابليون، منشورات كاستاش

إيفا كانسيك – كيرشباوم: الآشوريون (تاريخ – مجتمع – ثقافة) إيليا للنشر

إدوارد هاليت كار: ما هو التاريخ؟ منشورات الاتصالات

إيمانويل تود: انهيار النظام الامريكي، مكتبة دوست

إردموت هيلر: الأرابيسك والتعويذات، منشورات الصور

استر بنباسا – آرون رودريغو: تاريخ يهود البلقان في تركيا، منشورات الاتصالات

اردم صبيح آنلان: السلاطين وشبكات القانون أيضاً، دار إتكين للنشر

أكرم آكوركال: تاريخ ثقافة الأناضول، منشورات توبيتاك

أردال شفق: هل إمرالي المقر الجديد لحزب العمال الكردستاني؟ لماذا الكتاب

إمري كونغار: مواجهة تاريخنا، مكتبة رمزي

أكرم اكوركال: حضارات الأناضول، منشور سياحي واضح

أيوب ديمير: مقدمة في الجماليات، منشورات المشكلة

إيرول سفر: التاريخ الآشوري، منشورات المصدر

إمري كونغار: قواعد التغيير الاجتماعي وواقع تركيا، مكتبة رمزي

F

فرانسيس فوكوياما:

- الثقة، منشورات العمل البنكي
- مبنى الدولة، مكتبة رمزي

فرناند بروديل:

- الحضارة المادية (ثانيا- هياكل الحياة اليومية) منشورات الصور
- الحضارة المادية (ثالثا - ألعاب التبادل) منشورات الصور
- مقالات عن التاريخ، منشورات الصور
- في فترة فيليب الثاني البحر الابيض المتوسط وعالم البحر الابيض المتوسط، منشورات الصور
- البحر الابيض المتوسط وعالم البحر الابيض المتوسط (المجلد الثاني) منشورات الصور

الحضارة المادية – زمن الاقتصاد العالمي والرأسمالية، منشورات الصور

فريدريكومايور -أغوستوفورتي: العلم والسلطة، منشورات توبيتاك

سعيد بور: تراث صلاح الدين الايوبي، منشورات آفستا

فرانز ويرفل: أربعون يوماً على جبل موسى، منشورات الوثائق

فريد هاليداي: العالم في القرن العشرين، منشورات جامعة اسطنبول

فيليسيان تشالاي: تاريخ الأديان، منشورات الوجود

الفردوسي: شاهنامه (المجلد الرابع) منشورات وزارة الثقافة

فالح عبد الجبار: الحركة والمقاومة الشيعية في العراق، مكتبة أغورا

فاطمة كول بركتاي: المرأة في مواجهة الأديان التوحيدية، منشورات ميتيس

فاروق بيلديريجي: أحببت الصورة الظلية لتركيا

فؤاد دوندار: الأقليات في تعدادات النفوس في تركيا، منشورات دوز

فسون أوستل: المواطنة والديمقراطية، المنشورات الودية

- سعياً وراء المواطن المقبول، منشورات الاتصالات

فكرت بيلا: أي حزب العمال الكردستاني؟ أوميت للنشر

فرحات أونلو: مرآة أيمور ومنشورات بالأبيض والأسود

فايق بولوت:
- رأس المال الأخضر إلى أين، المياه للنشر
- العلوية بدون علي، منشورات برفين
- القومية والدين والمرأة في لجنة الاتحاد والترقي ومنشورات المياه
- الديمقراطية في دولة الله، جميع الأوقات للنشر
- الاسم الرمزي: حزب الله، أوزان للنشر

فرحات إبراهيم: مشاكل المجتمع المدني في الشرق الأوسط، منشورات الاتصال

فرحان أومروك: (يونيو) اختبار الاشتراكية مع القومية، مكتبة براكسيس

فرات إيدن كايا: اصل الفاشية الجديدة، العودة الابدية، منشورات الوثائق

فاروق بيلديريجي: ليلة القسم (قصة حياة ليلى زانا) منشورات دوغان

فاطمة كول بيركاي: جنس التاريخ، منشورات ميتيس

G

جورج أورويل: مزرعة الحيوانات، جان للنشر

جيل ديليوز: نيتشه، منشورات مستقلة

جيل ديليوز C- **بارنيت:** حوارات، منشورات النص

جيل ديليوز – فيليكس كوتاري: كافكا، الأدب الصغير

جيل ديليوز: مفاوضات، منشورات نوركونك

غراهام T. **اليسون – كاليبسونيكولايديب:** المفارقة اليونانية، منشورات دوغان

غراهام فولر لان ليسير: الإسلام والجغرافيا السياسية للغرب، كتب الصباح

ج. باومان: لغز التعددية الثقافية، مكتبة دوست

جيوردانوبرونو: حوارات، منشورات برفين

جيرالد مسادي: داوود، كتاب دوغان

غراهام فولر: حقيقة الإسلام السياسي، منشورات تيماش

جورج ريتزر: سحر العالم المحبط، منشورات التفاصيل

كور فيدال: انا حفيد سيروس زرادشت، منشورات الصبار (كاكتوس)

جيرمان بازين: تاريخ الفن والمنشورات الاجتماعية

كوردون تشيلد: الرجل العصامي، منشورات الأصول

كوردون تشيلد: إليادة، منشورات جان

كوردون تشيلد: التطور الاجتماعي، آلان للنشر

جورجي لوكاس: التاريخ والوعي الطبقي، منشورات الوثائق

جورج باسلا: تطور التكنولوجيا، منشورات توبيتاك

جيوفانا بورادوري: الفلسفة في أيام الإرهاب

جورج فيلهلم فريد ريش هيكل:
- ظواهر الروح، منشورات الأفكار
- فلسفة التاريخ ومنشورات الأفكار
- العقل في التاريخ، منشورات كاباجي

- موسوعة العلوم الفلسفية لعلوم المنطق، منشورات الأفكار
- الفلسفة المعنوية، منشورات الأفكار

غوته: فوست، منشورات أخرى
آلام الشاب ويرثر، منشورات أخرى

جورجيواغامبين: حالة الاستثناء، منشورات مستقلة

كوران ثير بورن: إيديولوجية السلطة، القوة الإيديولوجية، منشورات الحاشية

كورول سوزين: الحضارة تحت غيوم الأناضول، المنشورات المصرفية

كول جيجك كونيل: سياسة النمط الواحد: التتريك، منشورات الوثائق

H

حنا أرندت:
- حالة الإنسان، منشورات الاتصال
- مصادر الشمولية ١- معاداة السامية، منشورات الاتصال
- مصادر الشمولية ٢- الإمبريالية، منشورات الاتصال

هنري كوربين: تاريخ الفلسفة الإسلامية، منشورات الاتصال

هارالد برايم: كلكامش الاسد اوروك، منشورات وطنية

هوميروس: أوديسا، منشورات الحياة

خليل جبران
- الرمل والصغير – المنشورات الرئيسية
- الرسول، المنشورات الرئيسية
- جنيات الوادي، منشورات رئيسية
- قطرة وابتسامة، منشورات رئيسية
- يسوع ابن الإنسان، منشورات رئيسية
- الولي، منشورات رئيسية

هنري كيسنجر: هل أمريكا بحاجة لسياسة خارجية؟ - مطبعة ميتو

هنري بيركسون: مصدران للأخلاق والدين، منشورات بين الشرق والغرب

H.C **آرمسترونغ:** بوزكورت منشورات أربع

هنري بينا روير: ماهي العلمانية؟ منشورات جنداش الثقافية

هيربرت ماركوس: الإنسان أحادي الأبعاد، منشورات الفكرة

هرقل ميلاس: ولادة الأمة اليونانية، منشورات الاتصال

هارييت مونتغمري: أكراد سوريا الشعب المنبوذ، منشورات آفستا

هايدن وايت: ما بعد التاريخ، منشورات مكتبة دوست

حميد داباشي: إيران، الشعب المحظور، منشورات ميتيس

هالوك جرجر - إرتوغرول كوركجو-راغب زاراكولو- ديمير كوجوك آيدن: مشروع الشرق الأوسط الكبير والاستراتيجية الاشتراكية منشورات الاعراف

خليل إينالجك:
- قطب المؤرخين، منشورات بنك الاعمال
- العصر الكلاسيكي للإمبراطورية العثمانية (١٣٠٠- ١٦٠٠)
- التاريخ الاقتصادي والسياسي للإمبراطورية العثمانية (١٣٠٠- ١٦٠٠) المجلد ١
- التنظيمات، منشورات عمل البنك الثقافية
- مقالات الشرق والغرب (مجلد١) منشورات الشرق والغرب

خليل أولسوي: أجمل الكلمات، منشورات الفا

حسن جمال: الأكراد، منشورات دوغان

- أحببنا الجمهورية كثيراً، منشورات دوغان

حسن أوندر: الفلسفة البيئية، منشورات دوروك

هالوك جرجر: الولايات المتحدة الامريكية الشرق الأوسط تركيا، منشورات جيلان

حيدر أكين: السحرة ومطاردة الساحرات في أوربا في العصور الوسطى، دوست للنشر

حكمت كفلجملي: اشتراكية ثورة التاريخ، منشورات تجميعية

I

إيمانويل والرشتاين:

- تحليل النظم العالمية، منشورات آرام
- تراجع الهجرة الامريكية، منشورات آرام
- أنظمة العالم الحديث، منشورات باشاك (العذراء)
- نهاية العالم كما نعرفه، منشورات ميتيس
- انتخابات مثالية أو تاريخية للقرن الحادي والعشرين، منشورات آرام
- من أجل علم اجتماعي جديد، منشورات آرام
- التعليقات الحالية، منشورات آرام
- العالمية الأوربية، بلاغة السلطة، منشورات آرام

ريتشارد E لي: تجاوز ثقافتين، منشورات ميتيس

I.R سانشيز: الإسلام الثوري، الكتاب البيضاوي

إيرام لابيدوس: تاريخ المجتمعات الإسلامية، منشورات الاتصالات

I. ستيوارت: أرقام الطبيعة، منشورات الاسقاط

إيان تشامبرز: الهجرة، الثقافة، الهوية، منشورات تفصيلية

عزالدين مصطفى رسول: أحمدي خاني ومم وزين، منشورات آفستا

إبراهيم محمد أبو ربيع: الفكر العربي المعاصر، منشورات أنكا

عزت الله عزيتي: إيران والجغرافيا السياسية للمنطقة

إلبر أورتايلي:

- الوقت لا يختفي، منشورات البنك
- إعادة اكتشاف الإمبراطورية العثمانية، منشورات تيماش
- أطول قرن من الإمبراطورية، منشورات ألكم

إسماعيل أونارلي: شاه اسماعيل، منشورات جان

إبراهيم أصلان أوغلو: بير سلطان عبد الله، منشورات جان

إلهامي سيدار: رواية داغلي بير ميفارقين، منشورات آرام

إسماعيل زكي أيوب أوغلو: أرض الأناضول التي خلقها الله، دير للنشر

إبراهيم كاب أوغلو: الحق البيئي، منشورات الصور

J

جوزيف كامبل:

-الأساطير الغربية، منشورات الصور

- الأساطير الشرقية، منشورات الصور
- الأساطير الابداعية، منشورات الصور
- الأساطير البدائية، منشورات الصور

جاي جولد: داروين وما بعده، منشورات

توبيتاك

جيمس ت كوشينغ: المفاهيم الفلسفية في الفيزياء، (ا) منشورات جامعة كامبردج

جورج سيمبرون: الجبل الابيض، منشورات الحياة

جيرمي بلاك: لماذا نقاتل؟ منشورات تيماش

جوزيف راتزينغر: البابا بينديكتوس السادس عشر، منشورات جنداش الثقافية

جون بوركيس، جيمس بوين: الإباحية في القرن الحادي والعشرين، منشورات تفصيلية

جويل كوفيل: عدو الطبيعة، منشورات ميتيس

جاك بادوز: كائنات هشة، منشورات توبيتاك

جيرمي برنشتاين: آينشتاين، نار للنشر

جون رونالد رويل تولكين: سيد الخواتم (المجلد الثالث) منشورات ميتيس

جوزيف سيلك: لمحة تاريخية عن الكون، منشورات توبيتاك

جويل باكان: المؤسسة المرضية في البحث عن أرباح الشركة وقوتها، منشورات تفصيلية

جوركن هابرماس: الغرب المنقسم

- كون الآخر والتعايش مع الآخر
- العولمة ومصير الدول الوطنية، منشورات عامة
- التقنية والعلوم كإيديولوجية

جان بودريلارد: المحاكاة، منشورات الشرق والغرب

جيمس م جاسبر: فن الاحتجاج الأخلاقي، منشورات التفاصيل

J **بريشر** T **كوستيلو:** العولمة من الأسفل، منشورات آرام

جيمس جويس: يوليسيس، منشورات قروض البناء

جان ماري غيهينو: نهاية الديمقراطية، منشورات دوست

خورخي لويس بورخيس -جيمس ودال: الرجل في مرآة الكتاب، منشورات الاتصال

جون بيلامي فوستر: الكوكب الضعيف، منشورات إيبوس

جان ماري بيلت: التاريخ الأجمل للنباتات، منشورات ثقافية

جوزيف كامبل: رحلة البطل التي لا نهاية لها، منشورات كابالجي

جاريد دايموند: البندقية، الجرثومة والصلب، منشورات توبيتاك

جوزيف صامويل ناي جونيور، مفارقة القوة الأمريكية، منشورات الأدب

جون هولواي: تغيير العالم بدون قوة، منشورات الاتصال

جنكينز غريفيث: نظرة الهروب إلى الوقت، منشورات التفاصيل

J **ويسهوفر:** التاريخ الفارسي القديم، منشورات تيلوس

جينري مورغنثاو: قصة السفير مورغنثاو، منشورات الوثائق

جون بولكينك هورن: ما وراء العلوم، منشورات التطور

جون م هوبسون: الأصول الشرقية للحضارة الغربية

جون تيرمان: غنائم الحرب، آرام للنشر

جورج سيمبرون: الجبل الابيض، منشورات جان

جون بولكينغ هورن: ما وراء العلوم، المنشورات التطورية

ستيوارت ميل: على الحرية، منشورات الوثائق

جيمس ج فريزر: الغصن الذهبي (جذور الدين والفلكلور) المجلد الثاني، منشورات بايل

جان ليكا: الأمم والقومية، منشورات ميتيس

جون لينيهان: العلم في العمل، منشورات توبيتاك

جاك رانسيير: على حافة السياسة، منشورات ميتيس

جون سانبون ماتسو: أمير ما بعد الحداثة، منشورات السياق

جون بروكمان: الخمسين (٥٠) سنة القادمة منشورات NTV

جون بروكمان: حقائق بلا دليل، منشورات NTV

جاك أتالي: لمحة تاريخية عن المستقبل، منشورات الصور

جاك كراي: ترويض العقل المتوحش، دوست للنشر

جاك ديريدا: عيد نيتشه، منشورات مستقلة

جون كراي: دراسات الفكر السياسي ما بعد الليبرالية، دوست للنشر

جان لوك ماتيو: الاتحاد الأوربي، دوست للنشر

K

كارل بوبر:

- المجتمع المفتوح وأعداؤه (المجلد الثاني أفلاطون) مكتبة رمزي
- المجتمع المفتوح وأعداؤه (المجلد الثاني هيجل، ماركس وما بعده) مكتبة رمزي
- بؤس التاريخية، منشورات الإنسان

كيفن داناهر: الاقتصاد العالمي والديمقراطية، منشورات ميتيس

كلاوس شميدت: غوبكلي تابا (القمة البدينة) أقدم معبد يوناني وعلم الآثار والمنشورات الفنية

كمال مظهر آمد: كردستان في الحرب العالمية الاولى، منشورات دوز

كسينوفون: التاريخ اليوناني، منشورات الجمعية التاريخية التركية

كان أرسلان أوغلو: الطب النفسي السياسي، منشورات آدم

كان دوروكان: أربعة وجهات نظر حول المعضلة بين الشرق والغرب، منشورات البنك

كورهان كايا: الكتب المقدسة للبوذيين، منشورات الصور

كمال درويش: الديمقراطية الاجتماعية المعاصرة وتركيا، كتاب دوغان

L

لورانس م فريدمان: المجتمع الأفقي، منشورات البنك

لوك فيري: النظام البيئي الجديد

لويس موم فورت: كل رجل نمر، منشورات مفصلة

- المجتمع القديم المجلد الأول والثاني

لويس كوهين: خاسرون مجيدون، خمس وأربعون مطبوعة

لويس دي بير نييرس: الكابتن كوريلي مندوليني

لودوينغ ويتغينسيتين: تراكتاتوس لوجيكو– فيلسوف، منشورات ميتيس

لودوينغ ويتجنشتاين: التحقيقات الفلسفية، منشورات ميتيس

M

ميرسيا إلياد: الشامانية، منشورات الصور

مايكل فوكو: - ملخصات الدرس
- وجوب الدفاع عن المجتمع
- الوظيفة السياسية الفكرية، منشورات تفصيلية

م كولين: ٥ معادلات غيرت العالم، منشورات توبيتاك

مايكل C كوربباليس: من الإشارة إلى الكلام، دار نشر الكتاب

مارسيلا فرانجيبان: ولادة الدولة في الشرق الأدنى، منشورات علم الآثار والفنون

ماهر كايناك –O لطفي ماتا: من يحكم العالم؟ منشورات تيماش

م. غويرين: سقراط ونيتشه، منشورات دراما

ماركس هورك هايمر – تيودور W أدورنو: جدلية التنوير، منشورات كاباجي

ماركس هورك هايمر: كسوف العقل، منشورات ميتيس

مانويل دي لاندا: التاريخ غير الخطي، منشورات ميتيس

ميكافيلي: السيادة – كلاسيكيات العالم، منشورات الشعلة

مايكل هارد وأنطونيو نيغري:
- العمل ديونيسوس، منشورات الاتصال
- الإمبراطورية، منشورات تفصيلية
- التعددية، منشورات تفصيلية

ميرجوسالفيني: أورارتو التاريخ والثقافة، علم الآثار والمنشورات الفنية

ماركوس أوريليوس أنطونيوس: الفيلسوف – الإمبراطور: علم الآثار والمنشورات الفنية

ماركريت ر باين: أورارتو- كتالوج الوثائق المسمارية المكتوبة، علم الآثار والمنشورات الفنية

مونتيسكو: رسائل إيرانية، منشورات أنكا

م فينوك: قرن المثقفين، منشورات البوسفور

م بوكشين:
- فلسفة الإيكولوجيا الاجتماعية، منشورات كاباجي
- إيكولوجيا الحرية، منشورات تفصيلية
- إعادة بناء المجتمع، منشورات ميتيس

ميرلين ستون: عندما كانت الآلهة نساء، منشورات بايل

مايكل آلبرت: طريق التغيير، منشورات آرام

ماريا ميس، فيرونيكا بينهولد – تومسن، كلوديا فون ويرلهوف: المستعمرة الأخيرة، المرأة، منشورات الاتصال

مارفن هاريس: آكلو لحوم البشر والملوك – أصول الثقافات، منشورات الصور

موسى إسرائيل فينلي: الاقتصاد القديم، منشورات علم الآثار والفنون

مارك فيرو: التاريخ الاستعماري، منشورات الصور

ماري دوغلاس: الطهارة والخطر، منشورات ميتيس

مارسيل موس: علم الاجتماع والانثروبولوجيا، منشورات الشرق والغرب

محمد عابد الجابري: عقلية الثقافة العربية الإسلامية، مكتبة أكرم دميرلي

ميرسيا إلياد: أسطورة العودة الابدية، منشورات الصور

مارتن هايدجر: الوجود ووقته، مكتبة أغورا

مايكل روزن – جوناثان وولف: (المجمعون) الفكر السياسي، دوست للنشر

مصطفى بالباي: العلاقات التركية الالمانية في مستنقع العراق، منشورات الجمهورية

مقداد قاضي أوغلو: نهاية الطقس الذي تعرفه، المنشورات الحالية

ماجد كوك برك: تاريخ الفلسفة، منشورات رمزي

مسعود بارزاني: البرزاني وحركة الحرية الوطنية الكردية، منشورات دوز

مصطفى جمال: مجتمعات المساواة، منشورات الوثائق

متين آيدوغدو: النظام العالمي الجديد الكمالية وتركيا، منشورات التشريح

ماهر كاينـاك:

- تحليلات استراتيجية حول تركيا وبوب، منشورات طروادة
- عصر جديد في العالم، منشورات اكتوبر
- ماهر كاينـاك: ولاية ديرين، منشورات تيماش
- الفهم من الامس لليوم، منشورات ملف التعريف
- حزب العمال الكردستاني العميق (مع لطفي ميتي)، منشورات تيماش

محمد فرج: القاعدة توركا من البرجين التوأمين إلى غلاطة، منشورات اليوم

مراد اتكين: الفخ الكردي: أوجلان من دمشق إلى إمرالي ، منشورات رمزي

البروفيسور الدكتور محمد سميح جمال

ماز: مقدمة في النظرية العامة لقانون حقوق الإنسان القومية، منشورات بيتا

مظفر سنجر: حقوق الإنسان مع الوثائق ومنشورات بيتا

معتزة إلمي تشيغ:

- كلكامش، منشورات المصدر
- أصول القرآن، الكتاب المقدس والتوراة في سومر، منشورات المصدر
- النبي إبراهيم، منشورات المصدر
- حب إنانا، الإيمان والزواج المقدس في السومرية، منشورات المصدر
- لوديريرا السومرية، رواية علمية استعادية، منشورات المصدر

-هتلر هاتوشتا (الهيتيتس والهاتوتشا، كما كتبها عشتار) منشورات المصدر

معمر كاليان: الكماليون – الحركة الإسلامية ومستقبل تركيا العلمانية، منشورات رمزي

مسعود يغن: من تركيا المستقبل إلى ما يسمى بالمواطنين والجمهورية والاكراد، منشورات الاتصال

مراد بيلغي: القومية، منشورات الاتصال

متين أوزبك: الإنسان من الماضي إلى الحاضر، منشورات الصور

- الإنسان في تشايونو، منشورات علم الآثار والفنون

محمد ألتان: اقتصادية الضربات، الرجل الطيب، الكتاب الآن

- إضفاء الطابع الإنساني على المشكلة الكردية والكتاب الآن

شكري هاني أوغلو: العقلية والسياسة

والتاريخ من الإمبراطورية العثمانية إلى الجمهورية، منشورات نصية

مدني فرحو: السيد الرئيس- رسائل إلى أوجلان، منشورات دو

ممتاز توركون: التركية، الكردية، كتاب الأفق

ماهر آيدن: مغامرة مسعف، منشورات آرام

مدحت سنجار: الحساب مع الماضي، منشورات الاتصال

مساعد الدكتور، مظلوم أويار: أساسيات سلطة العلماء الشيعة، منشورات كاكنوس

N

ناعوم تشومسكي:

-١١ ايلول (سبتمبر) وما بعدها منشورات آرام

- الوقوف ضد الإمبراطورية، منشورات آرام

- الأكاذيب والحقائق في النظام العالمي الجديد، منشورات الجزيرة الزرقاء

- فهم السلطة، منشورات آرام

ناعوم تشومسكي، إدوارد سعيد: الحرب تسعى لعدوها، منشورات افرست

نوبرت إلياس: في الوقت المحدد، منشورات التفاصيل

نوال السعداوي:

- امرأة في نقطة الصفر، منشورات ميتيس

- مات الإله على ضفة النيل ومنشورات الوثائق

- أعد شعرك للقاهرة ومنشورات افرست

الملحمة الشعبية نارت لاراسيتين

نظام الملك: كتاب سياسي، منشورات الجمعية التاريخية التركية

نيكولا دي سواك: المعارضة اليسارية في العراق، منشورات التطبيق العملي

نزهة هاشم سنان أوغلو: الأساطير اليونانية والرومانية، منشورات المصدر

نهاد سارغن: مذكرات السجن، منشورات توستاف

نوري فرات: نقطة الانهيار للنظام القذر – ملف شمدينلي، منشورات آرام

نزهة بيدر: الإمبراطور جوليانوس، منشورات علم الآثار والفن

O

أوليفر روي: إفلاس الإسلام السياسي، منشورات ميتيس

أوصمان دوغرو:

- دليل قرارات المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان، منشورات نقابة المحامين في إسطنبول

- التشريعات الدولية لحقوق الإنسان، منشورات بيتا

ورهان خنجر لي أوغلو:

- قاموس فلسفي، مكتبة رمزي

- تاريخ الفكر، مكتبة رمزي

عمر تنجر: هنا الأناضول، منشورات الفن وعلم الآثار

أوزجان حيدر: الثقافة اليهودية، منشورات إنسانية

عمر بويوكا: الإبداعات الأولى وفقاً لمصادر قوقازية، الإنسانية الأولى والحقيقة القوقازية، منشورات أبخازيا

P

باول دولوخانوف: البيئة والعرق في الشرق الأوسط القديم، منشورات الصور

بول كينيدي: أثناء التحضير للقرن الواحد والعشرين، منشورات البنك

باتريك مور، دليل الكواكب، منشورات توبيتاك

بول كويلو: الجبل الخامس، منشورات جان

بيتر ج بولير: قصة الطبيعة (مجلدين)، منشورات الإسقاط

بول فيرابند: ضد الطريقة، منشورات التفاصيل

بيتر غالبريث: نهاية العراق –هل هي نهاية الدولة القومية؟ كتاب دوغان

بيتر واكنر: علم اجتماع الحداثة، منشورات تفصيلية

بول فيراد بند: العلم في مجتمع حر، منشورات تفصيلية

باتريك ر كيف – ايكلون: منظمات الاستخبارات المستمعة للعالم، دار نشر دفني

بيتر بيرك: النهضة في أوربا (المراكز والأطراف)، منشورات الأدب

بيتر مارشال: تاريخ الفوضوية –المطالبة بالمستحيل، منشورات الصور

فيليب ديفيس: سجل الرياضيات، دار نشر دوروك

فيليب بيتيت: الجمهورية، منشورات تفصيلية

بول كينيدي: صعود وسقوط القوى العظمى، منشورات البنك

بيتر أرنيت: مباشر من ساحة المعركة من فيتنام إلى بغداد، منشورات الاتصال

باتريك جيرارد: رواية قرطاج -أسد الصحراء هاميلكار، منشورات يومية

بيري أندرسون: تأملات في الماركسية الغربية، منشورات تراكمية

باول سالمون: امرأة الشمس، نافذة المنشورات

بول رايسر: الوقت وسرده، مؤامرة زمنية سياسية

فيليب ك بوك: الأسس الثقافية للسلوك البشري، منشورات الصور

بول هيرست، جراهام طومسون: تساؤل حول العولمة، منشورات دوست

بيتر ايتل: تاريخ الصهيونية، منشورات جيلان

باول جونسون: التاريخ اليهودي، منشورات ودية

بيرس بول ريد: فرسان الهيكل، منشورات ودية

بيري نورا ك: أماكن الذاكرة، منشورات ودية

فيليب كرينبروك -كريستين أليسون: الهوية والثقافة الكردية، منشورات آفستا

P. **سانيك**: الدولة المبكرة، منشورات الصور

بيلين يني كون ديليك: المجتمع المدني يرصد الميزانية، منشورات تسف

بنار سيليك: لم نستطع صنع السلام، منشورات إيثاكي

R

روبرت كوبر: انهيار الدولة القومية (النظام والفوضى في القرن الحادي والعشرين) منشورات يومية

رولت كانتسن: أقل عدد من الدول، المزيد من المجتمعات، منشورات تفصيلية

ريني جيرارد: كبش الفداء، منشورات الجناح

روبرت J برايدود: إنسان ما قبل التاريخ، منشورات علم الآثار والفنون

روبرت غليمور: أليس في بلاد العجائب –

الرمزية في فيزياء الكم، منشورات يومية

روجر لوين: أصل الإنسان الحديث، منشورات يومية

روجر بينروز: الكمبيوتر والاستخبارات، منشورات يومية

ريتشارد دوكينز: آلجين الأناني، منشورات توبيتاك

ريتشارد سينيت: سقوط الرجل العام: منشورات تفصيلية

رودني ج. بيفر: الماركسية، الأخلاق والعدالة الاجتماعية، منشورات تفصيلية

روبرت تشاني: الأسنين وأسرارهم، منشورات الروح والمادة

روجر بينروز: لغز الفيزياء، منشورات توبيتاك

- أين العقل؟ منشورات توبيتاك

ريتشارد فيليبس فينمان: الديناميكا الكهربائية الكمية، منشورات نار

ريني كروست: تاريخ الأرمن – من البداية حتى عام ١٠٧١، منشورات آراس

ريتشارد كلوك: تاريخ اليونان الحديث، منشورات الاتصال

روجر لوين: أصل الإنسان المتحضر، منشورات توبيتاك

رانجيت جوها: التاريخ على حافة التاريخ العالمي، منشورات ميتيس

R G **كولينغ وود:** مبادئ التاريخ

راينر فونك: أنا ونحن التحليل النفسي لرجل ما بعد الحداثة

روبرت مونتران: تاريخ الإمبراطورية العثمانية (الأول والثاني)، منشورات الكيم (قوس قزح)

ريتشارد تابر: المهاجرون على طول الحدود الإيرانية، منشورات الصور

ريني جيرارد: العنف والمقدسة، كتاب الجناح

راي توكي: الهجرة والمفارقة في سرية الجمهورية الإسلامية الايرانية، منشورات الأكوادور

روبرت موصل: رجل غير مؤهل

رافايل اشانيان: تاريخ الأرمن من البداية حتى القرن الثاني، منشورات الوثائق

رمضان كاراكال: بحثاً عن الذرّة، مكتبة الثورة

راسم أوز: كمال الأتراك على المنصة

روجبين بريشان: الشعر والظلال، منشورات آرام

روشن شاكر: المشكلة الكردية التركية، منشورات ميتيس

S

شنك ين: اكتساب عقلية بوذا، المحيط للنشر

سلوفا زيزيك:

- المفعول الأسمى للإيديولوجيا، منشورات ميتيس
- الاتصال الهش، منشورات ميتيس
- نظرة ملتوية، منشورات ميتيس

ستيفن واينبرغ: الجسيمات دون الذرية، منشورات توبيتاك

ستالينوس ألسيو: حضارة مينوس، منشورات الفنون وعلم الآثار

ستيفانوس اندرسون: الآشوريون، منشورات المصدر

صموئيل نورث كرامر: التاريخ يبدأ في السومرية، منشورات كاباجي

ستانلي ويلز: شكسبير -المؤلف وأعماله

صموئيل بوينلس: الديمقراطية والرأسمالية، منشورات تفصيلية

سيلا بن حبيب: الديمقراطية والاختلاف، المكتبة الديمقراطية

سعدي: - كليستان، منشورات MEB
- البستان، منشورات MEB

صامويل فيليبس هانتغتون: صراع الحضارات، منشورات الوادي

توماس صامويل كون: التوتر الأساسي، منشورات كاباجي

سترابو: جغرافية الأناضول القديمة، منشورات الفنون وعلم الآثار

شهرزاد مجاب: نساء دولة غير حكومية، منشورات آفستا

ستيفن واينبيرغ: أول ثلاث دقائق، منشورات تويتاك

شالوم نقديمون: الموساد في العراق والشرق الأوسط، منشورات اليبس

ستيف جونز: تقريباً حوت (نظرة معاصرة لأصل الأتراك) منشورات عالمية

ستيفن شابين: الثورة العلمية، منشورات الإسقاط

ستيفن اندرسون: الآشوريين، منشورات المصدر

سيدات شين أوغلو: العدم ما بعد الحداثة، منشورات جيلان

سعاد بارلار: الأتراك والأكراد: تقاليد القوة والثورة في الشرق الأوسط، منشورات بغداد

سرور تانيلي: جدلية التغيير والثورة، منشورات الإنسان

سيفكي اكتور: مدن العصر الحديدي في الأناضول، منشورات مؤسسة التاريخ

سونر يالجن:
- السر العظيم للمسلمين البيض، كتاب دوغان
- أنتم من تخدعون، كتاب دوغان

سيفيم بوداك: السياسة البيئية لتركيا والاتحاد الاوروبي، منشورات منحنية

S شن: الكساد الأيديولوجي في الشرق الأوسط، منشورات فردية

سليمان سيفي أوغن: الثقافة السياسية التركية، منشورات الفا

سمرا سومر سان: العرق في العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة العلوم

سيدات الب: الأناضول في العصر الحثي، منشورات توبيتاك

سايجي أوز تورك: التقرير الكردي لعصمت باشا، كتب دوغان

SH

شفيق جان: الأساطير اليونانية الكلاسيكية، مكتبة الثورة

شولة توركر: جندي عديم الجنسية – نابليون، دار نشر إتكين

شامل طيار: عملية أرغانكون، منشورات تيماش

شريف ماردين: (محرر) التحولات الثقافية في الشرق الأوسط، منشورا الشرق والغرب

T

تولستوي: الحرب والسلام، منشورات جان

طارق علي: المقاومة الإمبراطورية والتمرد، مكتبة أغورا

توماس P.M بارنيت: الخريطة الجديد للبنتاغون (المجلد الثاني)، منشورات ألف وواحد كتاب

طارق علي: صلاح الدين ومنشورات فيرسو

تيودور W ادرونو: منيما موراليا (تأملات من الحياة التالفة) منشورات ميتيس

توماس رودولف بيتر ميلكي:

- سوط الله – اتيلا (مجلدين)، منشورات الوطن
- آلهة الحب إينانا، منشورات الوطن

ثيودور هـ ثبسيس: طقوس، أسطورة، الدراما في الشرق الأدنى القديم، منشورات الوطن

تيش نهاد هانة: عقيدة بوذا، منشورات المحيط

تيموثي بويس: التجسيد والقلق في أواخر الرأسمالية، منشورات ميتيس

توماس س خان: التوتر الأساسي، دراسات مختارة حول التقليد العلمي والتغيير، منشورات كاباجي

طيار آري: الشرق الأوسط من الماضي إلى الحاضر، منشورات ألفا

تحسين يوجل:

- كذبة (رواية) منشورات الحياة
- مؤشرات (التجربة)، منشورات الحياة

تونجا أوزكان: العمليات، منشورات ميتيس

ت ضياء أكينجي: الأمة والقومية، الدولة والقضايا الدستورية، منشورات جيم

U

بروكلين: الانضباط، منشورات التفاصيل

أورسلا ك لوغوين: المحرومون، منشورات ميتيس

أومبرتوإيكو: اسم الوردة، منشورات جان

أوفوك أوراس: مقابلات ODP منشورات ميدانية

أوميت أوز داغ: القومية التركية من جديد، منشورات بيلكي أوغوز

V

فال بلوم وود: الحركة النسائية والسيطرة على الطبيعة، منشورات ميتيس

فيرجيل أينيس: جميع الأعمال، منشورات أخرى

فاليري بيغوا: تاريخ أبخازيا، منشورات رائدة

فانادان شيفا: حروب المياه، منشورات آرام

الاستاذ الدكتور فاكاهن ن دادريان: الإبادة الجماعية للأرمن في المصادر التركية – مقالات مجمعة -٢ منشورات وثائقية

فورال صافاش: الديمقراطية المتشددة ضد الرجعية والانفصالية، منشورات إعلامية

فورال صافاش: الديمقراطية المتشددة، منشورات إعلامية

فيدات توركالي: الثقة، منشورات إفرست

فيدات توركالي: الروايات المفقودة، منشورات إفرست

وجدي أرباي: تركيا تسعى للسلام، منشورات آرام

W

وليام كيث تشامبرز غوثري: تاريخ فلسفة العصر البدائي، منشورات الشروق

فيرنر هايسنبرغ: الفيزياء والفلسفة

وليام Eكونولي: الهوية والاختلاف، - الحلول الديمقراطية للمعضلات السياسية، منشورات تفصيلية

والتر روبن: البوذية حسب الحضارات القديمة، منشورات المحيط

وليام رومين إيفر ديل: الحديثة الأولى

وليام كريدر: عالم واحد، المنطق المهووس للرأسمالية العالمية، منشورات الصور

وديع جويدة: الأصول التاريخية وتطور القومية الكردية، منشورات الاتصال

Y

يفغيني بريماكوف: العالم ما بعد ١١ ايلول والتدخل في العراق، منشورات دوغان

يلدز سيبر أوغلو: الحجاب السحري لشعر المرأة، منشورات بايل

يالجين كوجوك:

- الحرب المتقلصة، منشورات حلزونية
- عبرية الأسماء، منشورات حلزونية
- التاريخ السري - منشورات حلزونية
- الزنزانة المضيئة، منشورات المصدر

يلماز سيزكين

- ليالي الإعدام في سينوب، منشورات آرام
- التحول إلى نظام العد، منشورات آرام

يوكسل كينج: التمسك بالسلام، منشورات الوثائق

يابراك زيهين أوغلو: ثورة بدون نساء، منشورات ميتيس

ينر أوركن أوغلو: نيتشه والوجه الحقيقي لما بعد الحداثة، منشورات جيلان

يالجن إنان من الكم إلى الذرة (المجلد ٢)، منشورات الجزيرة الزرقاء

يشار اتان: آلهة البحر الابيض المتوسط، نشر الطبعة العالمية

Z

زيغمونت باومان: - العولمة، منشورات التفاصيل

- ما بعد الحداثة والاستهلاكية، منشورات التفاصيل
- الحداثة والغموض، منشورات التفاصيل
- الوفيات والخلود واستراتيجيات الحياة الأخرى، منشورات التفاصيل
- البحث عن السياسة، منشورات ميتيس

زبيكنيو بريزينسكي: حان وقت إيران، منشورات الملف الشخصي

قائمة الكتب من ٢٠٠٩ إلى ٢٠١١

إيريك جون هوبس باوم: عصر الإمبراطورية، منشورات مكتبة دوست

إريك جون هوبس باوم: نظرة على الثورة الفرنسية، مكتبة أغورا

إريك جون هوبس باوم: على التاريخ، مكتبة أغورا

إيان برونا – افيشاي مارغا ليت: الاستغراب، الغرب في عيون أعدائه

جيل ديليوز: الموافقة على ماشر مازوش (المازوشية العابرة: البرودة والقسوة)، نور كونك للنشر

فاطمة كول بيركتاي: جنس التاريخ، منشورات ميتيس

جوديث بتلر: الحياة النفسية للسلطة، منشورات تفصيلية

أمين معلوف: بدايات

- القرن الأول بعد بياتريس

- ليون الإفريقي

ليوبانيتش- كولن ليز: النقاط العالمية المتألقة، منشورات اجرائية

زيبينغيو بريزينسكي – برينت سكوكروفت: أمريكا والعالم، منشورات الملف الشخصي

جورجيواغامين: الانفتاح على الإنسان والحيوان

إيلان بابيه: فهم الشرق الأوسط، منشورات NTV

علي شريعتي: العلوم الإسلامية، ١-٢

جون لويس جاديس: الحرب الباردة

أرنست بريزاش: كتابة التاريخ،

ستيفن جاي كولد: التنوع الكامل للحياة، منشورات المقابل

كاظم كارا بكر: جمعية الاتحاد والترقي،

ويليام ج مارتن: الحركات الاجتماعية ١٧٥٠-٢٠٠٥، منشورات المقابل

ميل تونر: عملية امريكا في كردستان

إيتالوكالفينو: مجموعة الرمال

مارغريت يور سينار: مذكرات هادريان، منشورات هليكوبتر

طلعت شالك:

طلب أوجلان في إمرالي، كتب الجمهورية

جيرالد ماك ليون: التطلع إلى الشرق

M **سردار كوينجو**: كيف تحل المسألة الكردية؟

هاني بلانك: العذراء، التاريخ الذي لم يلمسه أحد، منشورات الاتصال

إريك جون هوبس باوم: الأمم والقومية، منشورات التفاصيل

- قطاع الطرق، مكتبة أغورا

- أوقات مثيرة للاهتمام: منشورات الاتصال

- على حافة القرن الجديد، منشورات اجرائية

أمين معلوف: موانئ الشرق

- اختلال العالم

إميل ميهاي سيوران: كتاب الأوهام منشورات ميتيس

زينب كوتل أي: مقاربات نسوية في الثقافة والسياسة، منشورات Bgst

كوجين كاراتاني: العمارة كتعبير مجازي، منشورات ميتيس

نيلوفر غول: التشابكات، منشورات ميتيس

روبرت موصل: الرجل بدون صفات (٢ مجلد)

بنديكت اندرسون: المجتمعات المتخيلة، منشورات ميتيس

بنديكت اندرسون: تحت ثلاثة أعلام، منشورات ميتيس

عبد الوهاب مدب: مرض الإسلام، منشورات ميتيس

إدوارد هاليت كار: تاريخ روسيا السوفيتية الثورة البلشفية (٣ مجلدات)، منشورات ميتيس

تيودور W **أدورنو**: كتابات أدبية، منشورات ميتيس

بولنت تانور: التطورات الدستورية التركية العثمانية

أرفاند ابراهام يان: تاريخ إيران الحديثة، منشورات الصور

كوجين كاراتاني: ترانسكريتيك، منشورات ميتيس

إميل ميهاي - سيوران: الخاسر الابدي، منشورات ميتيس

والرشتاين بالبار: الهويات الغامضة للطبقة القومية العرقية، منشورات ميتيس

والرشتاين بالبار: بعد الليبرالية، منشورات ميتيس

آرنست كيلنير: الأمم والقومية، منشورات هيل

الملا أحمد جزيري: ديوان، منشورات نوبهار

جان بيير شانجوكس: لماذا نفكر؟ منشورات ميتيس

توماس مان: يوسف وأخوته، (٤ مجلدات) منشورات الهجاء

والتر بنيامين: مذكرات موسكو، منشورات ميتيس

راين هارت كوسيل ليك: تاريخ المفاهيم، منشورات الاتصال

خليل إينالجك: الدولة العليا، منشورات البنك

إميل ميهاي سيوران: الانفعال، منشورات ميتيس

اكين أوزكر: تعددية إسبانيا، منشورات الصور

خليل إينالجك: دراسات التاريخ، منشورات الشرق والغرب

فيلهلم ديلثي: دراسات في تاريخ الروح الألمانية، منشورات الزمن الجديد

موريس مارلو-بونتي: العين والروح، منشورات ميتيس

مانويل كاستلس: نهضة مجتمع التواصل، منشورات جامعة العلوم

مصطفى اك داغ: مفاهيم الحيوية والانتظام للشعب التركي

والتر بنيأمين: مرات

جورجيو أغامبين: فكرة النثر، منشورات ميتيس

روبرت برناس كوني: من اخترع مفهوم العرق، منشورات ميتيس

موريس ميرليو: العالم المدرك، منشورات ميتيس

ايمانويل ليفيناس: زمن وآخر، منشورات ميتيس

مانويل كاستلس: قوة الهوية، مطبعة جامعة العلوم

حميد احمدي: بناء الهوية الوطنية الإيرانية، منشورات كورة

رولان بارت: كيف نعيش معاً؟ سيل للنشر

ماهر كايناك: العمليات السرية، منشورات طروادة

نادرة مطر: شارع جميل، منشورات ميتيس

فيليب كور كوف: مشكلة الفردية، منشورات المقابل

موريس بلان شوت: السامية، منشورات كاباجي

نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، المرفأ للنشر

ديمير كوجوك آيدن: السيرة الذاتية النظرية والسياسية لثوري

أرفين D يالوم: عندما بكى نيتشه، منشورات

التفاصيل

جان بودريلارد: في ظل الجماهير الصامتة، منشورات الشرق والغرب

ابوبكر حازم تبيران: حرب الاستقلال مع الوثائق، منشورات كورة

فيرنر سوم بارت: البرجوازية، منشورات الشرق والغرب

إرفاند ابراهام يان: الخمينية، منشورات ميتيس

جيامبا تيستا: العلم الجديد، منشورات الشرق والغرب

مانويل كاستلس: نهاية الألفية، منشورات الشرق والغرب

دفريم سيفيم اي: سلسلة الأحداث، منشورات الحرية

آلان نيفينس: تاريخ الولايات المتحدة، منشورات الشرق والغرب

دوغان أوزليم -غوجلوآتيش أوغلو: فلسفة التاريخ، منشورات الشرق والغرب

جوليان بندا: خيانة المثقفين، منشورات الشرق والغرب

سانم يازجي أوغلو: في الذكرى المئوية لميلاد حنا أرندت

يالجين كوجوك: التاريخ السري – الانهيار، مكتبة مزراق

سونر يالجن: هؤلاء المتدينون لا يشبهون أولئك المسلمين، كتاب دوغان

بريجنسكي: الفرصة الثانية، مكتبة الثورة

نورا شني: الاستشراق والتحالف الخيري

أحمد أوزر: الأكراد والاتراك، منشورات الكتاب الفوري

إلفين أرنست هايز: أكاديمية أورفا، منشورات بابا

جير ترود لوثيان بيل: الإدارة المدنية في بلاد ما بين النهرين، منشورات بابا

فيليكس أوكا: وحدة أوربا (يكيتيا أوربا)

هاينز هربرت شوفلر: أكاديمية كوندي شابور، منشورات بابا

أرجين بوي: الحركة الثورية والتحرير من النشوء العملاق حتى الوقت الحاضر

هاري ج غيلبر: الصين والعالم

سوزان باك نورس: جدلية الرؤية، منشورات ميتيس

رافائيل دي نوجالس: أربع سنوات في الجيش العثماني، منشورات بابا

محمد سعيد يلدرم: الأكراد والثقافة في حضارة الشرق، منشورات آرام

ماثيو سميث أندرسون: السؤال الشرقي

جميل كوجاك: الحزب الثاني، منشورات الاتصال

اورهان دوغان: نيف جيان – منتصف الحياة، منشورات الاتصال

حنا أرندت: رداءة الشر، منشورات ميتيس

إدي شير: أكاديمية نصيبين، منشورات بابا

أندريه كوندر فرانك: الولادة من جديد، منشورات الصور

شرف الدين خان: شرف نامه، منشورات بابا

جيمس ريد جواي: كلّ شيء للبيع، منشورات ميتيس

تيودور أدورنو - ماكس هورك هايمر:

جدلية التنوير، منشورات كاباجي

فيليب إريس –جورج دوبي: تاريخ الحياة الخاصة

ماهر كايناك: إعادة بناء النظام، منشورات مقربة

نوراي بايندر: إذا تم اتخاذ خطوات

أحمد ديميريل: نواب الجمعية الأولى، منشورات الاتصال

سورين كير كيغارد: المرض حتى الموت، منشورات الشرق والغرب

إيبك جالشلار: خالدة أديب، كتاب دوغان

الاستاذ الدكتور رشيد كوجوك: حضرةُ علي

سونكور سافران: إبراهيم كايباكايا: أكياي للنشر

اوشو: امرأة، كتاب الغنج

أفشار تيموجين: تاريخ الفكر (١-٢-٣)، منشورات السحاب

فيجتي: المثالية الألمانية، منشورات الشرق والغرب

فاتح ياشلي: من الهيمنة إلى الديكتاتورية، منشورات تان

حنيفة إفجي: السيمونيين الذين يعيشون في القرن الذهبي، أنكورا للنشر

مسعود ديغير: هل الكرد مشكلة؟ جيم ويب أوف سيت

يالجين كوجوك: التاريخ السري – فتنة، دار نشر الرمح

دافيد فرومكين: الحرب التي انهت السلام، دار نشر ايبسيلون

قمران باشا: أم المؤمنين، دار نشر ايبسيلون

J.K غيبسون غراهام: نهاية الرأسمالية كما عرفناها، منشورات ميتيس

هوليا دورودوغان: دراسات النوع الاجتماعي في تركيا، منشورات جامعة كوتش

تالان جينتاي: قوة الأيمان، منشورات آرام

جان هيبوليت: دراسات حول ماركس وهيجل، منشورات الشرق والغرب

جان بودريلار: الروح المباعة للشيطان، منشورات الشرق والغرب

يالجن كوجوك: المريض المستبد، درا نشر الرمح

أوميت كارداش: أزمة الديمقراطية والقانون، منشورات الاتصال

أوميت حسن: ابن خلدون، منشورات الشرق والغرب

إسكندر بالا: الشاه والسلطان، منشورات الباب

إسماعيل جولاك: التاريخ السري للسلطنة العثمانية، منشورات النسل

إسماعيل نجار: قمة أربكان السرية لحزب العمال الكردستاني، كتاب آريس

سيفكي أكتور: مدن العصر البرونزي في الأناضول، منشورات مؤسسة التاريخ

خليل إينالجك: العثمانيون خلال فترة التأسيس والإمبراطورية، منشورات تيماش

حمزة أكسوت: العلويين، منشورات الوطن

علي ابونعمة: حرب العراق الأمريكية، منشورات آرام

مجيد كوك بيرك: تاريخ الفلسفة، منشورات رمزي

أوركون أوجار: العاصفة المعدنية، منشورات تيماش

معهد المراقبة العالمية: حالة العالم ٢٠٠٥ "إعادة تعريف الأمن العالمي" كتاب قوانين التشريع الجزائي

معمر كايلان: الكماليون، الحركة الإسلامية ومستقبل تركيا العلمانية، مكتبة رمزي

مدرسة فرانكفورت، منشورات الشرق والغرب

كتب ٢٠٠٤

نساء غامضات في العصر البرونزي

جوزيف راتزينغر: أوربا: الماضي والحاضر للأفكار التي تستند عليها، منشورات ثقافة كينداش

مصر، يونان، روما، (حضارات البحر الابيض المتوسط القديمة) منشورات دوست

العلم والفكر، الفلسفة الامريكية، المنشورات العالمية

جيغدم مينيلجي أوغلو: الفيلسوف الإمبراطور انطونيوس، منشورات الفن وعلم الآثار

العلم والفكر – سلسلة الكتاب – النقد الوضعي الحديث، منشورات عالمية

إيمي غوتمان تشارلز تايلور (متعة): الاعتراف بالتعددية الثقافية السياسة الآلية الوقائية الوطنية

فورتمبرغ: أقدم الآثار الإنسانية منذ ١٢٠٠٠ عام، الأناضول، منشورات وزارة الثقافة العولمة الديمقراطية والإرهاب، مكتبة أغورا

ماريا ميس: المستعمرة الأخيرة؛ النساء، منشورات الاتصال

مايكل روزن –جوناثان وولف (مجمع): الفكر السياسي، منشورات ودية

محمد عابد الجابري: البنية الذهنية للثقافة العربية الإسلامية، كتاب اكرم ديمير لي

مساعد. الدكتور. مظلوم اويغار: أسس سلطة علماء الشيعة، منشورات كاكنوس

مكسيم رودنسون: السيد محمد، منشورات الفاعل

الروسي إريك تروم: الجيش الاحمر

برنامج الجمهورية الديمقراطية (CHP)

المنصور الحلاج، منشورات الوطن

السيدة عائشة، منشورات الوطن

موسى (المجلد الثاني) منشورات دوغان

قنوات ري أورارتو في شرق الاناضول، منشورات الفن وعلم الآثار

مسيرة إلى ملحمة الحرية، منشورات التقليد

ملحمة مي آلان، منشورات جما

جيمس وودال: الرجل في مرآة الكتاب (خورخي لويس بورجيس)، منشورات الاتصال

مصطفى كمال: محادثات إيسكي شهير – إزميت، منشورات المصدر

جميع اعمال أتاتورك (٣ مجلدات)، منشورات المصدر

العصيان المدني (دعوة إلى الضمير العام)، منشورات المصدر

ألتان تان: من تراب الدين إلى بيري

دينيز كزميش - حسين إنان – يوسف أصلان – محضر البرلمان التركي، منشورات BDS

البروفيسور الدكتور. جوشكون جان أكتان: من دولة متداخلة إلى دولة محدودة، منشورات تركيا الجديدة - المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان

P.Dr.A. **فياض كول جولوك** –P.Dr.A.

شنر كوزوبويوك: الاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان وتنفيذها، مكتبة تورهان

البروفيسور الدكتور محمد سميح جمال

ماز: مقدمة في النظرية العامة لقانون حقوق الإنسان فوق القومية، بيتا للنشر

الاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان للتطبيق الفردي، نقابة المحامين في إسطنبول

النظام الداخلي للمحكمة الأوربية لحقوق الإنسان، نقابة المحامين في إسطنبول

قانون مكافحة الإرهاب، سلسلة النصوص القانونية

نهاية العصر (المفكرون العظماء يفسرون عصرنا)، منشورات البنك

ارتوس (مجلة الثقافة والفن)، ربيع ٢٠٠٠

نارت لار – ملحمة آسيتين الشعبية

الكتاب المقدس: العهدين القديم والجديد – التوراة، الزبور (المزامير) الإنجيل، ترجمة القرآن الكريم

توماس رودولف بيتر ميلكي: آلهة الحب إينانا، منشورات الوطن

مناقشات العلوم والتاريخ، منشورات توبيتاك

العلوم والسياسة، مراجعة فصلية، مجلة البحوث والثقافة

قضية الموصل وكركوك وتقاسم كردستان – وثائق عصبة الأمم، منشورات المد

مونتيسكو: رسائل إيرانية ومنشورات أنقا

أين تركيا في الحرب؟ (تجميع)، منشورات ميتيس

اجتماع نوروز الذي شهده التاريخ

جوكيتو: حيوان، صورة، رمز، واقع

توماس مور: يوتيوبيا، آلتر للنشر

أحمد كهرمان: حياة القيادة

جوريكي ماين: سياسة الولايات المتحدة والشرق الأوسط

والتر لورد: دراما غنائية

جورج بلوند: ولد ليطير، منشورات كاستاش

هانز سبيدل: خلف كواليس هبوط نورماندي، منشورات كاستاش

كورنيليوس راين: أطول يوم، منشورات كاستاش

علي بولوش – ديحا

ثورة سيفيم آي: سلسلة الأحداث، منشورات حرة

آلان نفينس: تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، منشورات الشرق والغرب

دوغان أوزلم – كوجلوآتيش أغلو: فلسفة التاريخ، منشورات الشرق والغرب

جوليان بيندا: خيانة المثقفين، منشورات الشرق والغرب

سانم ياوجي أوغلو: في الذكرى المئوية لميلاد حنا أرندت

يالجين كوجوك: التاريخ السري – الانهيار، مزراق للنشر

الشرق الأوسط الديمقراطي

وصلت المجتمعات إلى يومنا الراهن وهي تتخبط منذ بزوغ فجر الحضارة في متاهات الأساليب الإدارية والاستعمارية لكل سيد أو استبدادي أو طبقة حاكمة، وتجتر حتى النخاع مخاضات كذبهم ورياءهم وديماغوجياتهم وتعذيباتهم ومجازرهم. ولا يزال "الفرد الحر" و"الشعب الحر" حُلماً وأملاً، إذ يتمتع أصحاب السلطة الهرمية فقط بنسبة معينة من الحرية الظاهرية في مناطق نفوذهم، بينما نراهم لا يدّخرون جهداً في إغداق الوعود الكاذبة والآمال الفارغة والأماني المستحيلة التي لا نهاية لها، على الشعوب والأفراد. في الوقت الذي وطدت فيه شعوب المنطقة منذ القدم أجواء تنعم فيها بالحياة الآمنة المشتركة منذ قرون سحيقة، ولولا جشع الشرائح البورجوازية – الإقطاعية العليا لمصالحها الخاصة، لاستمرت هذه الشعوب في حياتها المتداخلة حيث يسودها الوئام والصداقة والود والأمن. وكأن مرض النزعة القومية المتعصبة لدى الرأسمالية قد نَفَثَ سُمَّه في عُرى هذه الصداقة المقدسة، ليزجها في عداوات يشعل بذلك فتيل الإبادة والفناء المقدر على تقاليدِ وثقافةِ حياةٍ استمرت آلافاً من السنين. إنه حريق لهّاب، يصاب فيه من في الأعلى بالانعزال والانفراد، ومن يكون في الأدنى يحترق بناره الملتهبة. فأصحاب النزعات القومية المتطرفة ، والذين يتحركون بمعزل عن الحقائق والوقائع، قد ألحقوا الضربات القاصمة والقاضية بشعوبهم موضوعياً.

فصلية فكرية تحليلية حرة تعنى بشؤون الشرق الأوسط

رقم الاعتماد

لدى نقابة الصحفين العراقيين 148

رقم الإيداع

دار الكتب و الوثائق في بغداد 868 لسنة 2005

لدى وزارة الثقافة المصرية

دار الكتب و الوثائق في القاهرة

رقم 24217